جامعة الحاج لخضر – باتنة–
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

الأسلـــوب البلاغـي فـــي القـــرآن الكريــــم

(سورة الكهف نموذجا دراسة وصفية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها (تخصص البلاغة والأسلوبية)

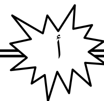
إعداد الطالب:
– محمد بولحية

إشـــــراف الأستاذ الدكتور :
– عبد السلام ضيف

السنة الجامعية 2010/2009 م
(1430-1431 هـ)

مقدمـــــة :

أودع المولى عز و جل في كتابه أسرار البيان، وجعله علما على معالم الهدى، و رسالة خالدة على مرّ الزمان ثابتة لا تتغير ما اختلف الملوان، وتعاقب الفرقدان إلى يوم الدين، وتحدى به الناس على اختلاف ملكاتهم وتعدد قدراتهم ليظل آية للعالمين، فهدى عباده إلى محكمه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فبفضل المولى عز و جل هذا الخير الذي لا ينقطع من دوام النظر في كتابه العظيم ، و البحر العميق الذي لا تنفذ عجائبه، و لا تنقطع غرائبه، فهو النبأ العظيم، و الذكر الحكيم، الذي لا يخلق على كثرة الرد، فهو مأدبة الله تعالى، وحبله المتين، ونوره المبين الذي لا يعوجّ فيقوّم، و لا تنقضي عجائبه أبد الأبد و منتهى العدد بلا أمد، فليس كتاب في هذا الوجود نال من العناية ما نال هذا الكتاب العظيم، و لا جرى له من الذكر مثله، فمنذ أن أنزل المولى عز وجل القرآن على الحبيب المصطفى صلى الله عليه و سلم إلى غاية يوم الناس هذا، و الدراسات القرآنية لم تنقطع، بحثا وتأليف، وأحيانا معارضة كما فعل ابن المقفع ومسيلمة الكذّاب و من على شاكلتهم من الدجالين، فبعض الأخيار سحرتهم البلاغة القرآنية، وأسرت أنفسهم فراحوا يضربون في بطون الأرض بحثا على إنجاز يشفي غليلهم، فألّفوا كتبا في التفسير و أخرى في المعاني و أخرى في غريب اللفظ، و لكننا في عصرنا هذا وبظهور المناهج الحديثة تنوعت و تعددت الدراسات القرآنية و أصبحت أكثر تنوعا و تخصصا من ذي قبل، فلا يزال هذا القرآن دفّاق الفيض مستمر العطاء، لأن البحث فيه متشعب الأطراف، لذا تعاقبت عليه أفهام العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فاحتجّ به النحوي، ونهل منه البلاغي، و نظر فيه المفسّر، وتأمل فيه الفقيه، وتوقّف عنده المتكلّم، و أفاد منه المناظر والأديب، فكل واحد وجد فيه بغيته فنعم الورد المورود ، لأن من تذرّع بالعلم حاز فضل السبق وارتفع وبرع ، فالعلم أبلغ من القول ، والناس أبناء ما يحسنون ، وفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل ، فالقرآن الكريم متعدد المعاني مع تعدد الأيّام ، وهذا من دلائل إعجازه الذي بهر العالمين من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد دمغ الباطل ، وذكّر العاقل ، وسفّه الخاتل ، وعلّم الجاهل وقوّم المائل ، وأخرج النّاس من حياة الأنعام إلى حياة الكرام ، حتى أصبح كلّ من يقرأ القرآن ، ويتذوّقه يسمو ويرتقي في أقواله و أفعاله ، ولا شكّ أن ينعكس ذلك أيضا على أفكاره ، فتجود قريحته بمختلف التّصانيف التّي تخدم هذا الكتاب الجليل ، وستبقى ما دامت تنـــزّلات الرحمة موصولة بين السّماء و الأرض .



موضوع البحث:

انطلاقا مما سبق ذكره كان منطلقنا و اختيارنا هو موضوع : **الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم** حيث وجدت في نفسي الرغبة الملحة في دراسة هذا الموضوع، و من ثمّ وضع لبنة في هذا الصرح العظيم الذي تعاقب عليه علماء و هبوا أنفسهم لإبراز هذا الجانب من جوانب علوم القرآن الكريم .

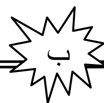
أسباب اختيار الموضوع :

لقد كانت دوافع اختيار هذا الموضوع انطلاقا من الاعتبارات التالية :

* إيماني بأن موضوع هذا البحث من أجَلِّ ما يصرف طالب العلم فيه وقته و جهده، ذلك لأنه مرتبط بكلام الله تعالى، فهو أعظم ما صرفت فيه الأعمار.
* يقيني بأن القرآن الكريم هو خير مجال لضبط أصول وبيان العربية و التعرّف على أساليبها.
* اعتقادي بأن في دراسة المفسرين للقرآن ممّا يضيف جديدا للبلاغة العربية، فإننا نجد في كتب التفسير بلاغة لا نجدها في كتب البلاغة لأن التفسير تحليل وفهم و ذوق.
* إدراك جمال الأسلوب من خلال البحث في المحسنات البديعية التي تشكله.
* الاستفادة من الدراسات الحديثة في تدعيم الدراسات السابقة ، خاصة ما اتّصل منها بجانب الجمال.
* إثبات خصوصية الأسلوب القرآني مما يستدعي إفراد دراسته بمصطلحات جديدة و متميزة.
* إبراز أهم الجوانب الفنية التي يتميز بها القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر، فضلا عن إظهار ذلك التناسق اللفظي، وميزة الإيقاع و التطريب في الفواصل القرآنية.
* كشف بعض خصائص الأسلوب القرآني و مكمن العذوبة فيه.

أهمية الموضوع :

* جدّة الموضوع وحداثته إذ لم تقم –حسب علمي- دراسات تمزج بين البديع و الفواصل لتحديد الخطوط العريضة للأسلوب القرآني وجماليته.
* هذا الموضوع يسمح للباحث بالإطلاع على أمهات الكتب في مختلف الفنون بسبب تشعّب مناحي البحث.



* ابتغاء الأجـــر العظيم من الله تعالى بالتدبر في القرآن وفرارا من أقفال القلوب ، واستشرافا بمترلة العلم، واستترالا لجزيل المثوبة بالدعوة إلى الهدى و الدلالة على مقاصد القرآن ومراميه فضلا عما امتاز به هذا الكتاب من طاقة بيانية مكنونة تتفق مع الدرس ، وتظهر كوامنها مع البحث.

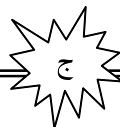
أهداف الموضوع :

يمكن تلخيص الأهداف التي نريد الوصول إليها من خلال هذا البحث فيما يلي :

* إبراز أهم الجوانب الجمالية في الخطاب القرآني ، خاصة مع كثرة المتطاولين على كلام المولى عز وجل في كل عصر وفي كل مصر، ولجوء الكثير منهم إلى تفضيل كلام خطباء الجاهلية من أمثال عامر بـــن الطفيل وقس بن ساعـــــدة الأيـــّادي على كلام المولى عز وجل ثم يستدركون ويقولــــــون: لماذا لم نقل عن كلام هؤلاء الخطباء أنه معجز ؟!! ولكن لا غرابة فقد أثبتت لنا صفحات التاريخ الناصعة أن بعض النفوس قد مَرَدَتْ على الكذب و النفاق و الشّر ، وحنانيك بعض الشّر أهون من بعض.
* التأكيد على أن القرآن الكريم فيه ميزة خاصة تجذب إليها النفوس ، وإلا لما تجرأ كفار قريش على وصفه بالسحر.
* التأكيد على التناسق الكبير بين العبارة و الموضوع في الخطاب القرآني ولا تستطيع أية كلمة أن تحل محل الأخرى وهذا ما أثبتناه بالحجة و البيان في مبحث النكت البيانية في الفصل الرابع.
* كما نأمل من خلال تحقيق هذه الأهداف أن ترقى هذه الدراسة و إن لم تكن بشكل أوسع إلى مستوى المساهمة في المعرفة العلمية و إثراء المكتبة بمرجع علمي وميداني جديد.

المنهج المتبع :

إن العلاقة المنهجية التي تربط بين الموضوع و المنهج تجعلهما متلازمين، فطبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج الواجب إتباعه قصد الإحاطة بأهم جوانب الموضوع ، وعلى ذلك اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي، هذا المنهج الذي يعتبر مناسبا لطبيعة الموضوع، ويساهم في وصف وتشخيص ظاهرة البحث بغرض فهم الإطار النظري.



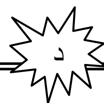
خطة الموضوع :

لتحقيق الغايات السالفة الذكر قسمنا بحثنا هذا إلى أربعة فصول ، قدمنا في الفصل الأول ضبطا كليا للمفاهيم التي تتعلق بــ: الأسلوب، الخطاب، البلاغة، الإيقاع، الجمال والجمالية، وفي الفصل الثاني المعنون له بــ: الأسلوب و جمالية البديع ،حيث تناولنا البديع مع أقسامه الثلاثة المشهورة (الطباق، الجناس والسجع) والتطرق لذلك الجدل القائم بين جمال السجع بين المؤيّدين و المعارضين، و الجدل القائم حول السجع في القرآن، مع تطبيق كل مبحث على سورة الكهف بحكم أنها النموذج في دراستنا، وفي الفصل الثالث تناولنا الفاصلة القرآنية مع التطرق لبلاغتها وأسلوب التكرار فيها وميزة الإيقاع التي تختلف من سورة إلى أخرى في القرآن، مع التطبيق على سورة الكهف، وفي الفصل الرابع تناولنا أهم خصائص الأسلوب القرآني و إبراز أهم محاسنه و مزاياه على كلام البشر مع التمثيل دوما بسورة الكهف ، أي أن بحثنا هذا كان نظريا وتطبيقا في آن واحد و هذا تجنبا للخلط بين المواضيع و التكرار و الإطناب، وفي الأخير الخاتمة وهي خلاصة الأفكار و النتائج التي توصلنا إليها في موضوعنا ، متبوعة بمجموعة من الفهارس التي تعين القارئ على الرجوع إلى المتن و قراءة المبحث الذي يريده.

صعوبات الموضوع :

عندما قدّرنا موضع الرجل قبل الخطو في إنجاز هذا الموضوع كنا ندرك تماما ما ينتظرنا من طول السبيل وعقباته ولَأْوَائِهِ ، فلقد عزمنا على اقتحام هذا اللُّجْ الذي لا ساحل له، وهذا البحر الذي لا يدرك عمقه وهذا المرتقى الصعب، وهذا المنال الذي تتقاصر دونه الهمم ، فأقدمت مستصغرا تلك الصعاب لشرف خدمة هذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا أريد أن أخوض بإسهاب فيما قاسيته ولا ما واجهته مما يكرّره الباحثون قبلي وسيكرّره الباحثون بعدي ، لأنها طبائع البحوث لا تنفكّ عنها، خاصة عند الوقوف بين الجبال الراسيات من العلم، والأنهار الجاريات من الفهم، وزاد ذلك ما بدا لي من صعوبات تثبّط العزائم ما اشتد عودها وبزغ سعودها، فضلا عما زالت في بداية الطريق لأن من حسن البصيرة إدراك الأشياء قبل خوض غمارها، ولكن هذا لا يمنعني من الإشارة إلى بعضها اختصارا:

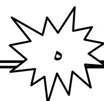
* صعوبة البحث في الدراسات القرآنية فلا مجال إلاّ للعلم المستند على الأدلة، والقول الذي يتحرّى أقصى درجات الصواب ، مع ضرورة الأخذ بحظّ وافر في جميع علوم اللغة و اللسان.
* طبيعة الموضوع نفسه وتشعب مجالات البحث فيه، فلم ينقذنا إلا الإيجاز و التقدم في البحث بحذر.



* قيام الكثير من الاستنتاجات في البحث على الذوق وهذا في حالة التعبير عن جانب معين ، مما يجعل تبليغها إلى الآخرين صعبا كحقيقة علمية منطقية.

* ورغم كل ما مضى ، فقد تناسيت الهمّ عند احتضاره بذلك التطواف الحافل بين ثنايا رياض التفاسير ، وبالوقوف الماتع و النظر الشائق إلى تحريرات وتدقيقات الأئمة النحارير، ليصح النظر ويحرر القول ، ويشتد العود ويبزغ السعود، وقد استفرغت في هذه الدراسة ما استطعت من مجهودات إلا أن ذلك لا يعني بلوغ درجة الكمال الذي يصبو إليه كل باحث ، فالنفس البشرية مجبولة على النقص والخلل في العمل ، ويأبى المولى عز وجل إلا أن يكون كتاب واحد فقط تنطبق عليه صفة الكمال هو كتابه سبحانه وتعالى ، كما أننا لا ندعي الإتيان بجديد أو خفي ، فما حالنا إلا كحال ذلك الذي يقطف من كل روض زهرة ليشكل باقة مختلفة الألوان ينبعث منها أريجا يهز خلجات النفوس، وإنّي أتمثل هنا بقول القائل: لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم ، لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكما أنه ليس له نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلّ بمقدار ما يفتح الله عليه من الفهم و الفقه.

وفي الختام ينبغي لي أن أسجل عظيم شكري وتقديري لأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد السلام ضيف، الذي تولى هذا البحث بإشرافه وتوجيهه ، واعتنى بقراءته رغم مشاغله الكثيرة، ومنحني من وقته الكثير ، وقد أفدت من توجيهاته ودقيق ملاحظاته ، فجزاه الله عني خير الجزاء، فمن نعم المولى عز وجل علي أن هيأ لي مشرفا كريما وأستاذا فاضلا مثله، سدّد الله خطاه، ووفقه لما يحب ويرضاه.



تمهيد:

من طبيعة الإنسان أن يجادل ويحاور، ويناقش في سبيل أن يقنع الآخرين ، أنه هو الأحق، وأن موقفه هو الأصـــوب ، ومـــن طبعه كذلك أن يجادل الآخرين و يناقشهم ليكشف أو يثبت لهـــم تهافت موقفهم، وبطلان رأيهم ، وعدم اتساق مذهبهم مع منطق الأشياء ، وأغلب الناس يفعلون ذلك دفاعا عن مصالحهم، وما يدعم هذه المصالح من أفكار و أهواء ، حتى بعد ظهور الحجة و قيام الدليل ، وبروز الحق وانكشاف الحقيقة ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[1]؛ فالجدال صفة فطرية في الإنسان و مجبول عليها منذ خلقه الله، وقد اقتضت حكمة الله أن يكون رسله و أنبياؤه أهل حجة قوية ومنطق سليم، وبيان واضح، وجدل متين، وحوار عميق دقيق ، حتى يتمكنوا من تبليغ دعوته وإيصال رسالته إلى العالمين ، وبحكم أن أهل المصالح و الأهواء لا تردعهم عن غيّهم آية بينة، أو حجة واضحة فإنهـــم يجابهون –كآخر محاولة معهم- بالمعجز الخارق، الذي ليس في وسع البشر العادي الإتيان به ، لقطع حجج المعاندين الجاحدين و تثبيتا لقلوب رسله و أنبيائه ، وتطميـــنا لأتباعهم من المؤمنين.

وقد كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم، ليواجه به قوما لا يشق له غبار في الفصاحة و البيان ، فعندما نقرأ القرآن الكريم نجده يطالب الجاحدين أن ينازلوه ويعاجزوه ، ويأتوا بشيء من مثله نظما و إحكاما، وذلك بعد أن كثر اللغو حوله و راجت الإشاعات و الأراجيف التي تريد صرف الناس عن الاستماع إلى هذا القرآن باعتباره –حسب زعمهم- أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكـــــرة و أصيلا، ومن دلائل إعجازه أنهـــــم لم يعاجـــــزوه ، بل استمروا في غيَهم يرمونه بالتهم الباطلة ، فتارة يقولون إنه شعر ، وتارة يقولون إنه سحر ، بل إنهم اتهموا حامله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والجنون ، فمعنى ذلك –حسب آرائهم السخيفة- أن القرآن نوع من الهذيان الذي تقذفه الجن على ألسنة الكهان و المجانين ؛ فمن خلال هذا نستنتج مقدار الخلخلة التي أحدثها القرآن في الذهنية الجاهلية المستكبرة، بحيث لم تستقر على تهمة واحدة توجهها لهذا الكتاب ، وصاحب هذا الكتاب ، بما تحمله تهمهم من تهافت و تناقض ، فقد أحدث لهم الجانب البلاغي في القرآن الكريم صدمة التلقي الأولى ، وأدركوا أنه لا مجال لهم لمجاراته لأن كلماته و آياته قد خرجت عن المعهود من كلام العرب مما عرفوه وحذقوه ، فلا هو بالشعر، ولا هو بالنثر ، ولا هو بالسحر ، ولا يشبه في شيء أي لون من ألوان كلامهم ، ومن رواده شك فـــي هـــذه الحقيقة الناصعة فليجر مقارنة بسيطة بين آية من كتاب الله مـــع أحسن كلام قالته العرب ؛ فسيجد الفرق بينهما شاسعا ، وهذا الحكم ليس مقتصرا على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو حكم عام وشامل للبشرية جمعاء ، وفي كل زمان ومكان ، لأن من تتبع كلام الخطباء و الشعراء

[1] - الكهف الآية : 54.

و المتنبئين عبر العصور، فسيجد الفرق شاسعا ولا شك ، لأن الأسلوب القرآني خارق للعادة ، فحاله كحال عصا موسى عليه السلام التي خرقت ما كان متداولا بينهم من السحر في زمن فرعون ، فكذلك حال القرآن الكريم، الذي خرق ببيانه وبلاغته كل أنوا ع الكلام و أساليبه المتداولة عند العرب .

وقد يجد البعض صعوبة في التمييز بين الأسلوب البلاغي في القرآن و الأساليب الأخرى من فنون الكلام، وهذا حاله كحال ذلك الشخص الذي لا يستطيع أن يميز بين الذهب الخالص و الذهب المغشوش بتعبير الباقلاّني ، فهذا الضعف و العجز لا يرجع إلى عدم وضوح الفرق بين المعدنين ، وإنما يعود إلى خلل وضعف ونقص في نفسه ، ومن كان هذا حاله حق لنا أن نخاطبه قائلين :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه   لا تظلم القوس وأعط القوس باريها

فلا سبيل إلى معرفة الذهب الخالص من الذهب المغشوش إلا بأخذها إلى الصائغ الحاذق المحترف، ولا سبيل أمام العوام و أصحاب الفهم القاصر في اللغة العربية في التمييز بين الأسلوب القرآني ، و الأساليب الأخرى إلا بالرجوع إلى أقوال العلماء ، والبلغاء ، وأصحاب صناعة الأدب .

الأسلـــوب

لقد أجهد العديد من النقاد و الدارسين أنفسهم – قديما و حديثا – في تحديد ماهية الأسلوب فضلا على إضفاء الفكر في تقسيمه و تحديد مجالاته، وهذا التنوع أملاه واقتضاه تنوع الكتابة نفسها، وهذا راجع طبعا لاختلاف أمزجة الكتّابِ وألسنتهم و أذواقهم وثقافاتهم، ولهذا نجد أن «... الإغريق كانوا روّادا في مجال تقنينا الأسلوب تقنيـــا نقديا وعلميـــا، لدرجة أن مدارس البلاغة وعلـــم الجمـــال عندهم ترجعان إلى: أفلاطون وأرسطو و من جاء بعدهما من الفلاسفة والنقاد(...) فقد اعتبر أتباع أفلاطون الأسلوب خاصية موجودة في بعض وسائل التعبير اللّغوي، وغائبة في البعض الآخر، لأنها تعتمد على مهارة الكاتب في إخضاعها لمتطلبات التعبير، وهي مهارة لا يملكها كل كاتب (...) في حين ترى مدرسة أرسطو في كل عمل تعبيري من أسلوب قد يتراوح بين السمو والانحطاط، بين القوة والضعف، بين الجودة والسوء لكنه يظل أسلوبا في النهاية»[1]، وهذا يدفعنا إلى القول بأن الأسلوب عند «أرسطو» «...في كل معانيه غايته الإقناع، إما بالمحاكاة الفنية في الشعر المسرحي و الملحمي(...) وإما بالإقناع بالتعبير مباشرة في الخطابة وما يلتحق بها مما لا محاكاة فنية فيه »[2].

بعد هذه الوقفة التاريخية نقف على مفهوم الأسلوب في المعاجم اللّغوية العربية، فقد جاء في «لسان العرب لابن منظور »[*] « الأسلـــوب، ويقال للسطـــر مـــن النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال والأسلوب الطريق، والوجـــه والمذهب، يقال أنتـــم في أسلوب سوء، و يجمـــع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب: بالضم، الفن؛ يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه، و إن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبرا»[3].

---

[1] – نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، دار نوبا للطباعة، مصر، ط1، 1996م، ص7.

[2] – محمد غنيمي هلال، النقد العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت لبنان،1973م ، ص113.

[*] – هو محمد بن مكرم بن علي بن منظور، ولي القضاء في طرابلس، كان فاضلا عارفا بالنحو واللغة، والتاريخ و الكتابة، اختصر كثيرا من كتب الأدب وله «لسان العرب» جمع فيه بين التهذيب والمحكم و الصحاح وحواشيه و الجمهرة و النهاية ، مات سنة (711 هـــ)، ينظر جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، دط، 1999 م، 1419هــ، ج1،ص248 وصديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم ، تح عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، دط،1987،ج3، ص10.

[3] – ابن منظورمحمد أبوالفضل، لسان العرب، دار صاد للطباعة و النشر، لبنان، ط1، 1992م، ج7، ص255.

وجاء في « القاموس المحيط » للفيروز أبادي[*]: « الأسلوب، الطريق، وعنق الأسد والشموخ في الأنف»[1].

وإذا كان العرب قد أخذوا معنى الأسلوب من بعض ما ذكرناه، فإن الغربيين « أخذوه من اللفظ اللاتيني (**stylus**) الذي يعني المثقب الذي يكتب به فقالوا: (**style**)، (**Estilo**) ومنه أخذوا أيضا القلم فقالوا:(stylo) فأخذوا الجزء الذي هو أداة الكتابة ، وأطلقوه على الكل الذي هو الكيفية الخاصة للكتابة نفسها أو لكيفية التعبير عن الأفكار»[2].

أما في الاصطلاح فقد تنوعت التعاريف بتنوع طبيعة الدارسين فنجد مثلا:

«1- الأسلوب هو السلوك (عالم النفس).

2- الأسلوب هو المتحدث/المتكلم(عالم البلاغة).
3- الأسلوب هو الشيء الكامن(الفقيه اللغوي).
4- الأسلوب هو الفرد(الأديب).
5- الأسلوب هو المتكلم الخفي أو الضمني (الفيلسوف).
6- وأخيرا الأسلوب هو اللغة (اللساني) »[3].

وهذا ما يدفعنا إلى اعتبار مفهوم الأسلوب بأنه ذو طبيعة زئبقية يصعب تحديده بدقّة «...ولكي يكون أي تحديد جامعا وكاملا لابدّ أن يستوعب كلّ أشكاله وأنماطه وآثاره ووظائفه التّواصلية النّفسية والاجتماعية و الجمالية، الّتي تتخطّى الدّلالات القريبة إلى الدّلالات البعيدة، وتتجاوز أنساقه السميائية اللسانية، إلى سياقاته التّداولية، وهذا لا يعني في النّهاية العجز عن وصف حقيقة حضوره في أيّ خطاب لتحقيق أدبيّته، و لكن العجز آت من تماهيه مع العناصر الحيادية النصيّة غير الأسلوبيّة، و استحالة

[*] - هو محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي ، ولد سنة 729 هـــ ، وتفقه ونظر في اللغة ، كان كثير المطالعة ، لا يسافر إلا ومعه أحمال من الكتب ، صنف "القاموس المحيط" و "الروض المسلوف" وغيرها كثير، مات سنة 816 هـــ ، ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص273، وصديق بن حسن القنوجي ، أبجد العلوم ، ج3، ص 8.

[1] – محمد الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003 م ، ص 125.

[2] – عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم ، تساؤلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص87-88.

[3] - فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر خالد محمود جمعة، دار الفكر دمشق، ط1، 1424هـــ، 2003م، ص26.

الاحتفاظ بحرارة تعبيره عند عزل بعض مكونات مستوياته عن بعض (...) ومن ثمّ لا يمكن الإحاطة بمفهومه في مقولة واحدة تختصر حقيقته مهما تفنّن المتفنّنون في عمق الطّرح وإحكام الصيّاغة»[1].

فاللّغة عبارة عن مادة والأسلوب إبداع يستعمله الكاتب في التّعبير عن مواقفه والإبانة عن الشخصيّة الأدبية وتوشيحها بطابع التميّز و الانفراد في اختيار الألفاظ و تركيب العبارات «بين هذين المحورين كاللّغة و الأسلوب، يولد فن الإبداع في الكتابة الأدبية أو في التّجربة الشّعرية، وقد أدّى الاهتمام بدراسة الأسلوب اللّغوي على وفق معايير لغته، أو فنّيا على وفــق المعاييـــر الفنّية ، إلى ظهور ما يسمّى « بالأسلوبيّة اللغويّة»»[2]، وبهذا نخلص إلى أنّ اللّغة عبارة عن« جواهر منثورة منشورة والأسلوب عقد منتظم منها، و لا تكتسب اللّغة صفة الإبهار إلاّ إذا نسجت في أسلوب وانتظمت في كلام»[3].

لذلك نجد أنّ الكثير من الأسلوبيّين ينطلقون من مقولة بيفون الشهيرة « الأسلوب هو الإنسان نفسه» أي أنّ الأسلوب هو مرآة عاكسة لنفسيّة الكاتب فضلا عن علاقته بالظّروف المحيطة به والّتي تساهم في شكل الأسلوب باعتبار أنّ الإنسان ابن بيئته بالدّرجة الأولى « فكلّ أسلوب صورة خاصّة بصاحبه تبيّن طريقة تفكيره و كيفيّة نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته ، معنى ذلك أنّ الأسلوب هو فلسفة الذّات في الوجود و إذ هو كذلك فلا يكون إلاّ مغرقا في الذّاتية تماما»[4].

أما إذا نظرنا من زاوية أخرى في تحديد الأسلوب، والّتي هي زاوية "المتقبل" فإنّه سيصبح « قوة ضاغطة متسلّطة على حساسيّة القارئ و قابليّته المدركة معيار سير مزوّدها اعتمادا على ما تحقّقه بضغطها و تسلّطها من « فاعلية » و « نجاعة » ويلحّ كثير من الأسلوبيّين على مبدأ طاقة الشّحن في الخطاب ونجاحها في إصابة مكامن الحساسيّة المتأثّرة لدى القارئ «المتقبل»[5].

كما يمكن لهذا الأسلوب أن يغيب تماما في الأعمال الأدبيّة بفضل الأداء الباهت للكاتب و هو ما يصطلح عليه بعض النقّاد بـــ «البلاغة الجوفاء ، أو العبارات الإنشائية أو المحاكاة السّاذجة، أو التّقليد الأعمى، أو التّراكيب المستهلكة »[6] ، كما أن غيّاب الإلهام و الرّؤيا و الوحي و اضمحلال الثّقافة عوامل

---

[1] – معمر حجيج، إستراتيجية الدرس الأسلوبـــي (بين التأصيل والتنظير و التطبيق) دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيـــع ، عيـــن مليلة ، الجزائر،ط1، 1428 هـــ،2007 م،ص5.

[2] - طارق سعد شلبي ، دراسات لغة النص ،زهرة المدائن للنشر و التوزيع، مصر ، د ط،2000 م ،ص20 .

[3] – عبد المالك مرتاض الكتابة من موقع العدم ،ص89.

[4] – عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتابة، تونس ، ط 2 ،1982 م ،ص66 .

[5] – المرجع نفسه ص 84 .

[6] – نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، ص9 .

من نتائجها غيّاب الأسلوب « فلا بدّ أن يختفي و يتلاشى بدوره ، فالكاتب في هذه الحال يحاول تحقيق حالة من الإلهام بتقليد الكتّاب الملهمين ، أي بتقليد أسلوبهم الذي كان نتيجة إلهامهم الخّاص بهم ، وهو لا يعلم أن المحاكاة تتنافى تماما مع الإلهام الذي يسعى إلى ابتداع الجديد المبتكر من خلال الأسلوب »[1]، كما يذهب البعض الآخر إلى ربط الأسلوب بالمجتمع ، فالمحيط الذي يعيش فيه الكاتب يلعب دورا فعّالا في رسم أسلوبه و صقل مواهبه في التّعبير عن الأشياء حسبهـــم ، فالشّاعر الجاهلـــي مثلا وصف الصحـــــراء ، والناقّة ، والسّباع، ... ووصف كلّ ما وقعت عليه عينه في تلك الفترة ، ولو رأى السيّارة أو الطّائرة مثلا لوصفها في أشعاره ، وما انتشار الكلمات الرّقيقة والمحسّنات البديعيّة أو ما تعرف بالصّنعة اللّفظيّة في الأعمال الأدبيّة خلال العصر العباسي إلاّ انعكاس لذلك الرقيّ و التطوّر الحضاري الّذي بلغته الدولة في ذلك الوقت ، وللإنصاف نقول: « لا يمكن أن نردّ الأسلوب إلى المجتمع بصفة مطلقة و نهمل الإبداع الذّاتي للكاتب ، الّذي بمقدار ما يأخذ من مجتمعه ، فإنّه بدوره قادر على إعطائه الجديد ، وإنّه لا يكون كاتبا حقّا إلاّ إذا كان كذلك ...»[2] ؛ فالعلاقة بينهما علاقة تبادل قائمة على الأخذ و العطاء فبقدر ما يأخذ المبدع من مجتمعه بقدر ما يساهم في إثرائه بكل ما أوتي من عبقرية و إلهام « وقد اصطلح النقّاد على تقسيم الأسلوب إلى سبعة أجناس فرعيّة :

– **الجنس الأوّل:** ينتمي إلى كاتب عملاق فرض ظلّه وترك بصماته على أعلام معاصريه أو كتّاب آخرين فنقول مثلا :هذا أسلوب هوميري نسبة إلى هوميروس .

– **الجنس الثاني:** ينتمي إلى مرحلة تاريخية معيّنة أو عصر ملامح أسلوبيّة معيّنة فنقول مثلا هذا أسلوب العصور الوسطى أو عصر النّهضة.

– **الجنس الثالث:** ينتمي إلى لغة معيّنة أو طريقة أداء ارتبط بها فنقول: هذا أسلوب جرماني أو غنائي...

– **الجنس الرابع :** ينتمي إلى موضوعه أو مضمونه فنقول مثلا هذا أسلوب فلسفي .

– **الجنس الخامس:** وينتمي إلى بقعة جغرافيّة معيّنة فنقول مثلا: أسلوب أزقّة لندن أو حواري الإسكندرية.

---

[1] – المرجع نفسه، ص9 .

[2] – عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم ، ص98 .

- **الجنس السادس**: ينتمي إلى الطّريقة التّي يفضّلها جمهور المتلقّين فنقول مثلا أسلوب شعبي.

- **الجنس السابع**: فينتمي إلى الهدف الّذي يسعى إليه فنقول مثلا :هذا أسلوب فكاهي أو هازل»[1].

و لكنّ هذه التّقسيمات لا تعني بالضّـــرورة أنّ هذه الأجناس منفصلة و مستقلّة عـــــن بعضها تماما ، بل إنّ التّداخل فيما بينها أمر وارد ودائم الوقوع في العمل الأدبيّ الواحد « وحينما نتكلّم عن أسلوب عمل أدبيّ ، فإنّ هذا الكلام لا ينفصل عن وحدته و تماسكه و بهذا يتسنى لنا الحكم على أنّ لهذا العمل الأدبيّ أسلوبا معيّنا ، ويفتقد عمل أدبي آخر إلى أسلوب متميّز (...) وفي كلّ هذه الحالات والأوضاع والمستويات قد نعتبر الأسلوب في بعض الأحيان انحرافا عن المعيار ، ولكن يصعب القول أنّ أسلوب أيّ عصر أو مدرسة أو شخصيّة أو عمل أدبيّ هو انحراف عن مثيله السّابق أو اللاّحق له إذ لا يمكن الجّزم أنّ أسلوب ابن المقفع أو أبا تمام أو هيجو أو جبران أو بروست ليس بالضّرورة ما يختلف به أسلوبهم عن الاستعمال المشترك لعصرهم »[2].

و لكي يتمكّن القارئ أو النّاقد من إدراك كل هذا الأسلوب في العمل الأدبي وجب أن تتوفّر فيه بعض الشّروط كالذّوق الفنيّ و الإلمام بقواعد اللّغة وخصائصها حتّ تربّى فيه الملكة اللّغوية.

فخلاصة كلّ ما سبق هو أنّ موضوع الأسلوب من أمّهات قضايا البلاغة العربّية التي تجسّدت من خلال درسها مدى قدرة البلاغيّ العـــربيّ القديم علـــــى التفطّن لسرّ جمالية الخطاب سواء كان شعرا أم نثرا ، فربط الدّرس البلاغي بنظرته إلى الأسلوب بين النحو من حيث هو درس لآليات ومكونات الجملة العربية و بين توليده للدلالة داخل النص و بذلك تجاوز الكثير من الأطروحات البلاغية التي سبقته من مثل إشكالية اللفظ و المعنى ، فضلا عن اهتمام الدرس العربي منذ القرن الثاني للهجرة بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني و معرفة مدلوله و هذا عند البحث المقارن بين أسلوب القرآن الكريم و أساليب الكلام الأخرى ، فنجد الأسلوب في التراث البلاغي القديم اتجه ثلاث اتجاهات :

1- الأسلوب هو مناسبة الكلام بعضه لبعض كما ذهب إلى ذلك «ابن طباطبا العلوي» .
2- الأسلوب هو الذي يحقق صفة النظم في الكلام بما يقتضيه علم النحو حسب رأي«الجرجاني».
3- الأسلوب هو صورة ذهنية كما تقتضيها التراكيب المنتظمة حسب رأي «ابن خلدون».

---

[1] - نبيل راغب، موسوعة الإبداع، الأدبي، ص11 .

[2] - معمر حجيج ، إستراتجية الدرس الأسلوبي بين التأصيل والتنظير و التطبيق ص21 .

الخطـــــاب

يلجأ الإنسان إلى التعبير عن حاجاته اليومية عن طريق التواصل بالكلام مع أبناء جنسه ، و لكنه سرعان ما يلجأ إلى مخالفة المألوف من الكلام إذا خرج هدفه من التواصل إلى الإقناع و القصد لتبليغ رسالة معينة أو ما يصطلح عليه بأسلوب الخطاب ، حيث أخذ هذا الأخير حيزا هاما من اهتمامات الدارسين قديما و حديثا .

الخطاب: أ– لغة: جاء في لسان العرب: ««الخطب» الشأن أو الأمر، صغر أو عظم وقيل هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك ؟ أي ما أمرك ؟ و الخطب: الأمر الذي يقع فيه المخاطبة و الشأن والحال، ومنـــه قولهم :جلّ الخطب :أي عظم الأمــــر و الشأن (...) يقال: خطب فلان إلـــى فلان فخطبه و أخطبه أي أجابه و الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام (...) وخطب الخاطب علـــى المنبر و اختطب يخطب خطابـــة، و اسم الكلام: الخطبة وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العـــرب : الكلام المنثور المسجـــع، و نحوه ، التهذيب: و الخطبة، مثل الرسالة التي لها أول و آخر (...) قال بعض المفسرين في قوله تعالى: فصل الخطاب: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين ، و قيـــل معناه :أن يفصل بين الحـــق و الباطـــل ويـــميـــِّز بين الحكم وضده»[1] ويقول«الزمخشري»[(*)] «... الخطاب وهو المواجهة بالكلام (...) وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول : خِطبٌ »[2].

ب– اصطلاحا: الخطاب كما يظهر في الكثير من الدراسات عبارة عن «...عملية اتصال تتم في إطارين : الإطار اللغوي فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين كما يحدث في الخطاب أو غيره ، و إطار غير لغوي يشمل العادات و الأعراف و التقاليد والأخلاق (...) و الخطاب باعتباره حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر هي : المرسل ، والمستقبل أو الجمهور و الرسالة أو الموضوع و الهدف ، و يؤثر هذا الهدف تأثيرا جليا في إستراتجية المرسل فيملي عليه اختيارات معينة بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي ، و قد يؤثر في صورة الحديث و طريقة بنائه (...) و يربـــــط بعض العلماء اللغة هدف الخطاب بالأثر الذي تحدثه وسيلة الاتصال بين المرسل

[1] – ابن منظور ،لسان العرب ،ج 5 ،مادة خطب ،ص97، 98 .

[(*)] – هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الخوارزمي ، ولد سنة 467 ه ، برع في النحو و التفسير والبلاغة نكما يعد أيضا من رؤوس المعتزلة في عصره ، من أشهر مؤلفاته « الكشّاف» و«أساس البلاغة » ينظر شمس الدين الذهبي ،سير أعلام النبلاء مكتبة الصفا ، القاهرة ،ط1، 2003م ،ج 12 ،ص83 .

[2] – الزمخشري جار الله محمود بن عمر ، أساس البلاغة ،تح وتق ،مزيد نعيم و شوقي المعتري مكتبة لبنان ،ط1 ،1998 ،مادة خطب ص203 .

والمتلقي...»[1]، ولكن هذا الأثر لا يحدث إلا بتوفير شروط التأثير على المتلقي حيث « ... يتوجب على المخاطب لكي يقنع المخاطب بزيادة قدره أن يقنعه أولا بزيادة قدر خطابه و ما ينطوي عليه من معان وأفكار على معنى أنه يجب عليه أن يمكن لمعانيه في قلوب مخاطبيه حتى يتمكن هـو نفسه مـن تلك القلوب ، أي حتى يفرض محبته و مكانته على الناس»[2].

كما ارتبط الخطاب بمعناه الشائع بلجوء المتكلم إلى أسلوب الإقناع بالحجج القاطعة و البراهين الساطعة متكئا على ملكته اللغوية و هادفا إلى الوصول لتحقيق مقصد معين و بهذا « ... يضع الخطاب في اعتباره الواقع و السياق و حالـة المخاطب، فيحاول أن يجد برهانه الأخير عبر حركة تردد بين اتجاهيـن ، قوته البلاغية من ناحية ، و الظرف الإنساني الذي يشكله المثلث من ناحية أخرى »[3].

كما تجدر بنا الإشارة إلى أن المصطلح خطاب قد وقع اعتماده من طرف الفكر النقدي العربي الحديث و هذا ليحمل المصطلح النقدي الغربـي **discours** « ... وللخطاب دوافع كثيرة من جملتها أننا عن طريقه نحقق أنفسنا و ذواتنا وهذا دافع نفسي آخر مهم ، فإن الخطاب يجعلنا قادرين على أن نجعل لأفكارنا قدرا من التقبل عند الآخرين و هذه درجة من درجات تحقيق الذات و ثمة دافع نفسي آخر، و هو أن الإنسان دائم التطلع إلى التميُّز عن الآخرين و التقدم عليهم، بعضهم يجد ضالته في المال، وبعضهم يجد مبتغاه في الجاه والسلطان أما صاحب الكلمة و الفنان (و كلاهما فنان) فيجد ضالته في الأدب والفن والإبداع و الابتكار ، فيتحقق له ما يريد عن طريق الكلمة والفن »[4].

وبما أن مفاتيح العلوم مصطلحاتها فإننا نجد مصطلح "الخطاب" قد ورد بدلالات مختلفة حسب طبيعة الألفاظ المستعملة فيه فنجد الخطاب السياسي، الخطاب الأدبي ، الخطاب الديني ...الخ مع مراعاة السياق، ولنا أن نفهم أن دلالة السياق «تطلق على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم ، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد ، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام

[1] – خلود العموش ، الخطاب القرآني ، دراسة في العلاقة بين النص و السياق ،عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1 1429 هـ ،2008 م ، ص23.

[2] – عبد الواسع أحمد الحميري ، شعرية الخطاب في التراث النقدي و البلاغي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1،1425 هـ ،2005 م ص73 .

[3] – فادي إسماعيل الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة و التقدم والحداثة ، د ب ، ط 3 ، 1992 م، ص13 .

[4] – سمير إستيتيه ، اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة و الرسم الساحر ،المؤسسة العربية بيروت ، د ط ،2002 م، ص17 .

أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق »[1] ، أو كما يوصف عند البعض بأنه يمثل « ... امتدادا خطيا منظما للكلام، ومنظما به»[2].

و حتى لا نبتعد كثيرا عن موضوعنا، لا بد أن نشير إلى نقطة مهمة جدا، وهي قضية الخطاب في البلاغة العربية حيث نجد أن البلاغة تعاملت مع الأصناف الثلاثة للخطاب (الخطبة، القصيدة، القرآن الكريم)؛ فالخطابة عندهم كانت عبارة عن « ... فن محتفى به إلى جانب فن الإبداع الشعري ، حيث تبقى للخطيب مكانته من جمهوره بما يتوجه به إليه من قضايا تحتاج إلى الإقناع و سوق الحجج و البراهين (...) بما يتطلبه من إثارة النفوس و السيطرة على المشاعر والعقول معا ، و هو ما يظل مرتبطا – بالدرجة الأولى – بمقدرته على إجادة فن الإلقاء ، و ما يتوقف عليه من القدرة والحرص على الانتقاء ، والميل إلى جمال الصياغة بصورها المختلفة بدءا من إيقاع الكلمات إلى جودة الأسلوب، إلى وضوح العبارة، إلى دقة الدلالة و ضبط القصد بما يريده الخطيب من كلامه وجمهوره »[3].

فبغض النظر عن ما تحتويه الخطبة من المظاهر البلاغية نجد هناك ما يعرف بأسلوب الإقناع و الإمتاع لأن «...الخطابة تحضير مسبق لما يراد أن يقال و امتلاء الذهن بأطراف الموضوع ، ورصد تام لحديث المقام، حينها يدلف الخطيب و هو واثق من نفسه تمام الثقة ، متماسك القوى قوي الإرادة ، لأنه أحرز مادته و خـــمّـــر أفكاره و استعد للمواجة ، و لبس للخطابة لأمة النزال »[4] .

فضلا عن بعض الحركات الجسمانية — استعمال الإشارات عندما تضيق العبارات —كالانحناء ، رفع اليد، و تقطيب الحاجبين و غيرها من المظاهر التي يستعملها الخطيب للسيطرة على مشاعر وقلوب المستمعين و ربما هذا الذي يقصده « ابن القيم الجوزية[(*)]» بقوله «... والألفاظ لم تقصد لذواتها و إنما هي

---

[1] – ردة الله الطلحي، دلالة السياق في القرآن الكريم ، منشورات جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،ط1، 1424 هـــ،2003 م،ص51 .

[2] – وليد منير ، النص القرآني من الجملة إلى العالم ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،القاهرة ،ط1 ،1997 م ص25.

[3] - مي يوسف خليف ، الأداء الخطابي بين الشاعر و الكتاب ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ،دط، دت ، ص8 .

4 – عائض القرني ،مملكة البيان ، دار ابن حزم ،بيروت ،لبنان،ط1 ،1422 هـــ،2001 م،ص24 .

(*) – هو محمد بن أبي بكر بن سعيد بن جرير الزرعي ، المشهور بابن القيم الجوزية ، برع في الفقه و الأصول ، و علم الكلام ، والتصوف من أشهر مؤلفاته :بدائع الفوائد ، التبيان في أقسام القرآن ، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن و علم البيان ،توفي سنة 751 هـــ . ينظر في ترجمته: ابن الكثير، البداية والنهاية ،مكتبة المعارف ، بيروت لبنان ، دط ،دت ،ج14 ،ص234 -235 .

وابن رجب الحنبلي ، الذيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ،ج2 ، ص447 -452 .

أدلة يستدل بها على مراد المتكلم ، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة ، أو كتابة ، أو إيماءة أو دلالة عقلية ، أو قرينة حالية ، أو عادة له مطردة لا يخل بها...»[1] .

ومـــن ولطائف القرآن الكريم نجد أن لفظ « الخطاب » قد ورد بدلالات ومفاهيـــم مختلفة فمرّة حمل اللفظ التفصيل فـــي الكلام والمعاني وإصابة القضـــاء وفهمه كما في قوله تعالى عـــن داوود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2] .

و في المرة الثانية حمل اللفظ الغلبة في الخصومة و الشدة والغلظة في القول في قوله تعالى: ﴿ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[3] وفي المرة الثالثة حمل اللفظ معنى عدم القدرة على التوجه بالحديث فـــي قولـــه تعالـــى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[4].

« ولهذا فقد نزل الخطاب القرآني من المتلقي منزلة حضورية فاعلة، وذلك لأنه خص المتلقي بعناية بعيدة عن روح الاستدراج، و اغتصاب القناعة (...) لقد واجهت الآيات روح المتلقي، و عقله وضميـــره، وخاطبته من نقطة قريبة من مداركه و حملته إلى عقيدتها التوحيدية بتوظيف المقول الفكري والشعوري الذي لا يمكن للعقل أن يغمز في جوهريته، فالدعوة القرآنية لا تخاتل في تقديم حججها ، ولا تماري في بسطها ، و لكنها توظف الحوار الفكري في الرهان على منطقيتها و تؤصل مقولتها بأسباب الإقناع »[5].

ولذلك نجد « أبو إسحاق الشاطبي »(*) قد قعّد لمفهوم الخطاب بـــ« ثلاثة مفاهيم هي : المقصدية المماثلة، و نوع العلاقة »[6]، و ما يهمنا من هذه المفاهيم الثلاثة هو المفهوم الأول « المقصدية » الذي تنضوي تحته ثلاثة عناصر أساسية كـــما أشار إلى ذلك « محمد مفتاح » فيما يلي « ... أولا المقصدية ونعنـــي بها : فعل الكلام الصادر مـــن متكلـــم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة، تتحقـــق من

[1] - ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تح عبد الرحمان الوكيل ، مكتبة ابن تيمية ، المملكة العربية السعودية ، دط ، دت ، ج1 ، ص280 .

[2] - ص الآية 20.

[3] - ص الآية 23.

[4] - النبأ الآية: 37 .

[5] - سليمان عشراتي، الخطاب القرآني (مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، دط ،1998 م، ص6 .

(*) – هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي ، برع في علوم اللغة والفقه و أصوله ، من أشهر مؤلفاته : الموافقات، الاعتصام ، الإفادات والإنشادات ، توفي سنة 790 هـــ ، ينظر محمد السعيد رزاز ، البدر التمام في اختصار الاعتصام ،دار الإمام مالك، الجزائر ، دط ، 1999 م، ص7 .

[6] - الشاطبي أبو إسحاق ، الموافقات ، دار المعرفة ، بيروت لبنان، ، دط، دت ، ج1، ص65 .

خلال: المخَاطِبْ، والمـــُخَاطَبْ و ظروف التنزيل؛ فالُمخَاطِبُ هو الرسول الذي يعرف كل مسلم سيرته جملة وتفصيلا، الُمخَاطَبْ: هو متلقي الخطاب (...) و أخيرا ظروف التنـــزيل أو ما يعبر عنه بمقتضى الحال»[1].

و في الختام تجدر بنا الإشارة إلى أننا لا نريد أن نفتح على أنفسنا بابا يصعب علينا غلقه، وذلك بالتطرق إلى الخطاب عند النقاد القدامى ، فضلا عن غيرهم من علماء الأصول ، والنحاة والمتكلّمين و لكن ما يهمّنا هو الخطاب البلاغي حصرا [*] حتى لا يتشعب موضوعنا هذا و يؤدي ذلك إلـــى الإخلال بمنهجيته، وهو نفس الكلام نقوله في قضية الخطاب عند اللسانيين .

[1] – محمد مفتاح، دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2 ، 1990 م ، ص192 ، 193 .

[*] – وردت مادة خطب بصيغ متعددة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ...﴾ (طه 95) ، و في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ (الفرقان 63).

و في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (الحجر 57) وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (هود 37).

ينظر هذا الكلام بتفاصيله محمد إسماعيل إبراهيم ، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية ، دار الفكر العربي ، دب ، دط ، 1418 هـــ، 1998 م ، مادة الخطب ، ص155 .

البلاغـــــة

من عادة العربي الخروج عن لغة التخاطب الساذجة، والتصرف في العبارة مع إلباسها المعاني الرائعة وزخارف الألفاظ قصد استمالة الأسماع والنفوس ، وهذا ما سنلاحظه بتفاصيله في موضوعنا هذا .

تعريف البلاغة :

لغة :جاء في لسان العرب « بلغ الشيء يبلغ بلوغا : وصل و انتهى وأبلغه هو إبلاغا و بلّغه تبليغا (...) و البلاغة : الفصاحة ، والبَلْغُ : البليغ من الرجال ، و رجل بليغ وبلغٌ : حسن الكلام فصيحة يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه »[1].

اصطلاحا:« وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز، وتأدية المعنى أداء واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاّب، مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه و للمخاطبين »[2]، خاصة إذا علمنا أن العرب في الجاهلية و صدر الإسلام قد بلغوا منـــزلة عالية في تمييز الألفاظ و جلاء الأفهام والقدرة على حبك الخطاب ، لذلك جاء القرآن الكريم متحديا لهـــم خاصة بعد الشكوك التي أثاروها حـــول القرآن، مما دفعهم ذلك إلى الرجوع إلى أنفسهم و التساؤل : بـــماذا كان القرآن الكريم معجزا ؟ ولقد «...كان هذا التساؤل بما يحمل من الخبث والدهاء، أول توجيه علمي للنظر البلاغي، ومن تم وضع اللبنات الأولى في نشأة علم البلاغة و بخاصة بعد أن أصبح من الصعب على الكثير من الناس التفريق بين قول وآخر»[3] ، مع العلم أن كلمة « البلاغة » حين «... ترد في كتب الأدب في الزمن الأول – قبل القرن الرابع – المعنى العام للقول الجميل الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع و هي أكثر ما تطلق وصفا ، فيقال في قول فلان بلاغة ، وتتعدّد جوانب الجودة بتعدد نظرة من يستخدم اللفظ و أورد الجاحظ جملة مـــن الدلالات لهـــذه اللفظة (...) و تتناول كذلك حسن التعبير في شتى صـــوره اللفظية والشكليـــة ، اعتبـــار المتكلـــم نفسه ، هيئة و سلامة منطقية ، وطلاقة لسان، وإشاراته »[4] ، كما يرى المؤرخون لعلم البلاغة أن « ... أول ما ذكر من معنى البلاغة، كان في سؤال« معاوية بن أبي سفيان » لـــ « صحار بن عياش»، فقد ذكر أن «معاوية » رضي الله عنه سأله: «ما هذه البلاغة فيكم ؟ » قال « شيء

---

[1] – إبن منظور لسان العرب ، مادة بلغ ، ج2 ص143 .

[2] – سميح أبو مغلي و رفاقه ،دروس في علم العربية ، دار الفكر لطباعة والنشر ، عمان الأردن ، ط1، 2000 م، ص115 .

[3] – توفيق الفيل ، فنون التصوير البياني ، منشورات ذات السلاسل، الكويت ،ط1 ،1407 هـــ ،1987 م، ص14.

[4] – محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط1 ،دت، ص23-24 .

تجيش بـــه صدورنا ، فتقذفه علـــى ألسنتنا فقال معاوية وما تعدّون البلاغة فيكم؟قال: الإيجاز، قال "معاوية": وما الإيجاز؟ قال «أن تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ»[1].

و هنا لا بد من الإشارة إلى شيء مهم جدا قبل أن نذكر مجموعة من التعريفات تتعلق بالبلاغة على مر العصور و هو أنها مختصة بوقوعها في الجمل المركبة دون المفردة –بلاغة جملة وليست بلاغة كلمة – فلا يوصف الكلام بكونه بليغا إلا إذا جمع بين حسن اللفظ و جودة المعنى ، فمتى كان هكذا و صف بالبلاغة فإن كان معناه ركيكا نازلا ولفظه غير فصيح فإنه لا يوصف بالبلاغة أصلا ونحن عندما نسرد تعريفات عديدة للبلاغة فإننا لا ندّعي الحصر ، وإنما هي أشهر من أن نذكرها هنا لتعددها وتنوعها من شخص إلى آخر في كل زمان ومكان ، فإن كان رأي المؤرخين المذكور أعلاه صحيحا فلا شك أن هناك محاولات وتعريفات كانت سابقة لحركة التأليف ، خاصة إذا علمنا أن النقد الجاهلي يقوم أساسا على الذوق وفصاحة الكلمة .

وقد تنوعت وتعددت آراء القدامى في تحديد ماهية البلاغة و مفهومها الدقيق، فمثلا «سئل « ابن المقفع » ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج، و منها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا وخطابا ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها و الإشارة إلى المعنى و الإيجاز هو البلاغة »[2].

ويرى «عمار ساسي» أن «...هذه التعاريف ما هي إلا أوصاف للبلاغة لأن من خصائص التعريف في البحث العلمي أن يكون جامعا مانعا و في غاية الدقة ، ثم إن هذه الأوصاف لا تمسّ إلاّ ناحية وجانبا واحدا منها، علما أن للبلاغة جوانب و نواحي عدة و تعقيبا على التعاريف المذكورة عامة وعلى الثلاثة الأخيرة خاصة نقول: قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[3] والسؤال: أوليس الله تعالى هو الذي خلق موسى و خلق عصاه ويعرف السبب الذي من أجله حمل موسى عصاه ؟ إذن فلماذا كان السؤال ؟

---

[1] – سميح أبو مغلي و رفاقه ، دروس في علوم العربية ، ص115 .

[2] – الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط2، 1424 هـ، 2003 م، ج1، ص85.

[3] – طه الآية:17-18 .

و لماذا كانت هذه الأجوبة المفصلة المسهبة ؟ ألم يكن أولى بالسائل أن لا يسأل، و المجيب أن يختصر؟ ولا سيما أنه في حضرة ملك الملوك الذي يعرف الظاهر والباطن والسر وأخفى ؟ ثم قد يكون بعيدا عن البلاغة في رأي «ابن المعتز» و« الخليل » وكذا من حصر البلاغة في الإيجاز و من قصرها على السكوت والاستماع دون غيرها من الجوانب الأخرى»[1] ولعل هذا الأمر هو الذي دفعه إلى اعتبار خير تعريف يفصح عن معنى البلاغة و أهدافها هو ما ذهب إليه « أبو هلال العسكري »: « البلاغة هي كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن »[2] ، يقول « بدوي طبّانة» معلقا على هذا التعريف: « إنما جعل أبو هلال العسكري حسن المعرض و قبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى، ومن قال أن البلاغة إنما هي إفهام المعنى فقط جعل الفصاحة واللكنة و الخطأ والصواب والإغلاق والإبانة سواء وأيضا فلو كان الكلام الواضح السهل و القريب السلس الحلو بليغا وما خالفه من الكلام المستبهم المستغلق و المتكلف المنعقد أيضا بليغا لكان كل ذلك محمودا أو ممدوحا مقبولا لأن البلاغة اسم يمدح به الكلام »[3].

أما مفهوم البلاغة عند اليونان فقد « ... اتجه ثلاثة اتجاهات من جهة الهدف ، فإذا كان هدفها أصول الكلام الرفيع الذي يقتضي الإفهام و التصرف و تأكيد الإقناع فهي في" الكلام الرفيع " ، وإذا كان الكشف ضمن الخطابات المتعددة ، عن الطرق القابلة للتعليم وإيصالها إلى الآخرين بحالات مختلفة فهي "تعليم فن الخطابة " ، وإذا كان هدفها دراسة الخطاب ليس لاستعماله و لكن لفهمه ، أي أنها تفسيرية لا معيارية فهي " نظرية الخطاب المقنع "»[4].

أما أرسطو في كتابه « البلاغة » فقد أكد على أن « ... هناك من الأساليب البلاغية ما يتعدد بتعدد الخطب، و الأحاديث في المناسبات، و الجماهير المختلفة، و لكن الأسلوب العام المرتبط بمفهوم البلاغة عنده تمثل قدرة المتحدث على اختيار الألفاظ ، و العبارات، و الجمل ، التي تحمل أكبر شحنات ممكنة من المعاني، و الدلالات والإشارات، و على طريقة الإلقاء التي تقوم بتوصيل ما يريده الجمهور »[5] ، كما نجد لـ«توماس ويلسون » رأيا آخر حيث أصدر كتابا في اللغة الإنجليزية بعنوان « فن البلاغة» وكان هذا

---

[1] – عمار ساسي ، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، دار المعارف ، بوفاريك الجزائر ، دط ، دت ، ص32 .

[2] – أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تح ،على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ،ط1،دت،ص 10 .

[3] – بدوي طبانة ، علم البيان ، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1981 م،ص7 .

[4] – حسين جمعة ، في جمالية الكلمة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،دط، 2002 م، ص27 .

[5] – نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، ص74 .

عام 1553 م « ...اعترض فيه على استخدام المصطلحات الزاخرة بالإدعاء الأجوف و التأكيد على اللفظ دون المعنى ، لكنه في الوقت نفسه لم يحد في كتابه عن تقاليد البلاغة القديمة التي تربطها الخطابة أساسا »[1].

و إذا فتشنا عن البلاغة العربية في العصر الراهن وجدنا أن كثيرا ممن كتبوا في موضوع البلاغة العربية قد ضموه تحت عناوين مختلفة على شاكلة الذوق ، والإبداع والصورة و الأسلوب إلى غير ذلك ، ويظهر هذا جليا في أسماء الكتب التالية :« " أساليب بلاغية " أحمد مطلوب، " الأسلوب " محمد كامل جمعة، "الأسلوب " دراسة لغوية إحصائية سعد مصلوح ، (...)، "دائرة الإبداع " مقدمة في أصول النقد، شكري محمد عياد ، اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي ...»[2]، ولذلك لم تعد البلاغة « ... فن التعبير الصادق عن الإحساس الصادق أو التمكن من الفصاحة الأسلوبية ، أو التلاعب بالألفاظ والأفكار أو الجزالة اللفظية و الفخامة اللغوية (...) بل أصبحت تتمثل – على حد قول إليوت – في خلق الأديب لمعادل موضوعي للإحساس أو الفكرة التي يريد التعبير عنها بمعنى أن يخلق الأديب شيئا يجسد الإحساس والفكر ويعادلهما معادلة كاملة (...) ومن هنا كان اهتمام البلاغة المعاصرة بتقويم العمل الفني من جوانب ثلاثة : العمل الفني في حد ذاته ، و العمل الفني في علاقته بالفنان و العمل الفني في علاقته بالقارئ »[3].

وهذا ما يدفعنا إلى تحديد المفهوم الجوهري للبلاغة المعاصرة و المتمثل أساسا في «...إصرارها على توظيف الرمز الخاص بدلا من المعنى المجرد و التلميح بدلا من التصريح و الإيحاء بدلا من الإخبار، والتصوير بدلا من التقرير ، و التجسيد بدلا من التجريد »[4].

و يذهب بعض المعاصرين إلى إعطاء مفهوم آخر للبلاغة العربية في العصر الراهن وهي «...بلاغة الأحوال المطابقة للمقام مع تدرج الزمان والمكان ليتم التوصيل و التأثير و نقل ما في نفس المتفنن إلى المتلقي بتأثير ، وبهذا نعرف دلالات المصطلحات في تنوعها في علم البيان ، و سنسترشد بالمعاني في علم المعاني ونربط بين الحس المعنوي واللفظي في صورة الإتقان البلاغي وجمالياته ، ونصعد أكثر في هذه النظرة إلى معرفة الدلالات الداخلية للصورة البلاغية في المصطلح الواحد »[5].

---

[1] – المرجع نفسه، ص77 ، 78 .

[2] – محمد بركات دراسة في الإعجاز البياني ، دار وائل لطباعة والنشر ،دب، ط1 ،2000 م ،ص203-204.

[3] – نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، ص80 .

[4] – المرجع نفسه، ص84.

[5] – محمد بركات ، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، دار وائل للنشر ، عمان الأردن ، ط1 ، 2004 م، ص7 .

وفي الختام نشير إلى أن البلاغة العربية تنقسم – وهو التقسيم المشهور –إلى ثلاثة أقسام هي: «علم المعاني ويعتمد على ثلاثة أساليب في التعبير عن المعاني التـــــي يريد المتكلـــم أو الكاتب توصيلها إلى الآخرين، وهي: الإيجاز، و الإطناب، و المساواة .

علم البيان: ونجده يبحث في المجاز بأنواعه: التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل والمجاز العقلي، كما يـــبحث في الكناية .

علم البديع : ويدرس وسائل تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال ، وهذه الوسائل منقسمة إلى محسنات معنوية هدفها تحسين المعنى ، ومحسنات لفظية تهدف إلى تحسين اللفظ »[1].

وتنقسم المحسنات المعنوية إلى الطباق ، المقابلة ، التورية ، المشاكلة ، اللف والنشر (...) و المحسنات اللفظية تنقسم إلى الجناس، السجع، رد العجز إلى الصدر(...) أما من حيث العدد فهي تختلف باختلاف الدارسين وجهودهم في ذلك.

و يعتبـــر « عبد القاهر الجرجاني »[*] عند الكثير مـــن أهل الاختصاص أول من أسس لهذا العلم قواعده، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده و رتب فنونه .

و قد ورد لفظ « بلغ » ومشتقاته في القرآن الكريم بمعاني متعددة منها على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[2] و في قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[3] وفي قوله عز وجل: ﴿ هَـــذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[4] وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[5].

---

[1] – نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، ص92 .

[*] – هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني ، شيخ العربية ، أخد النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي ،كان شافعيا ، أشعريا ورعا، من أشهر مؤلفاته : دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة و غيرها توفي سنة 474 هـــ ينظر في ترجمته جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 1419 هـــ ، 1999 م ،ج2 ، ص106 .و شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 11، ص219 .

[2] – النساء الآية:63 .

[3] – الأعراف الآية: 62 .

[4] – إبراهيم الآية: 52 .

[5] – يس الآية: 17 .

و نافلة القول من كل ما سلف أن كل شخص مهما كانت درجته في العلم وفي كل زمان و مكان قد كانت له نظرته الخاصة إلى البلاغة إلى درجة أننا لا نستطيع التمييز بين التعريف الحقيقي الاصطلاحي والتعاريف و الآراء الاجتهادية الأخرى .

الإيقــــاع

إن التقفية و انسجام خواتم العبارات صوتيا من مقومات الكلام البليغ ، كما رأينا أن تآلف أصوات الحروف تشكل لنا ما يعرف بالتّناغم الصوتي أو ما يعرف بالإيقاع.

تعريف الإيقاع:

الإيقاع:لغة: يقول« الخليل بن أحمد الفراهدي »(*) في « معجم العين »: « وقع : الوقع وقعة الضرب بالشيء ، ووقع المطر ، و وقع حوافر الدابة ، يعني : ما يسمع من وقعه ، ويقال للطير إدا كان على الأرض أو شجرة :هن وقوع و وقع ، قال الراعي:

كأن على أثباجها* حين شوّلَت* بأذنابها قبا من الطير وقعا »[1] .

و جاء في « لسان العرب » : « ... الإيقاع مـــن إيقاع اللحن و الغناء وهو أن يوقع الألحان ويبيّنها، و سمّى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع »[2] وهكذا يربط ابن منظور في معجمه الإيقاع بالغناء و الألحان ، و ما دام الغناء و اللحن لهما علاقة وثيقة بالشعر فالشعر إذن يشاطر الموسيقى في استعمال هذا المصطلح و لذلك أشار ابن منظور إلى كتاب الخليل بن أحمد اسمه « كتاب الإيقاع » كما تجدر بنا الإشارة إلى أن كلمة « الإيقاع » كلمـــة يستعملها المشتغلون بالموسيقـــى والشعر، لكننا لا نلمس عند هؤلاء تعريفا موحدّا أو دقيقا لذلك ، ومهما كان الأمر فإن الإيقاع مصطلح موسيقى مرتبط باللحن والغناء ، كما نجده عند معظم النقاد و البلاغيين قد ترك للموسيقيين « ... واستبدلوه بما يفهم منه وعيهـــم به، واحتفاؤهم بأثره في جمال النظم، وما حديثهـــم عـــن الكلام المـــوزون ، والمسجوع والمتجانس ...الخ سوى حديث عن « إيقاع التجانس » و حديثهم عن السلاسة والسهولة ، و الحلاوة والطلاوة ، والسماحة والرونق ... الخ هو في مضمونه حديث عن « إيقاع التجاوب» ولا يخلو كتاب من كتب النقد والبلاغة في التراث من الحديث عن الإيقاع بنوعيه « التجانس »

(*) – الخليل بن أحمد الفراهدي : ولد سنة 100 هـــ إمام في العربية ، و منشئ علم العروض ، أخد عنه سبويه ، كان مفرط الذكاء : له كتاب « العين » لم يتمه مات سنة (170 هــ) وقيل غيرها ، ينظر شمس الدين الذهبي ،سير أعلام النبلاء ج5، ص467 ، والسيوطي ، بغية الوعاة ج1، ص558-560 .

* – أثباجها : الثبج : أعلى الظهر من كل شيء.

* – شوّلت : رفعت.

[1] – الخليل بن أحمد الفراهدي : «كتاب العين » (مرتب على حروف المعجم)، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ج4، 1424هـــ،2003 م ، ص392 .

[2] – إبن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، مادة الإيقاع، ص263 .

أو «التجاوب » أو هما معا ، بدءا من ابن سلام (ت231 هـ) في « طبقاته » وانتهاء إلى حازم القرطاجني (ت674هـ)في « منهاجه » و من جاء بعد ذلك سائرا على الدرب »[1].

الإيقاع اصطلاحا : وهذا يحتم علينا أن نستعرض آراء طائفة من النقاد و البلاغيين الذين استخدموا مصطلح الإيقاع بالمعنى العام « ابن طباطبا » يقول في كتابه « عيار الشعر » :« و للشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه و اعتدال أجزائه ، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى و عذوبة اللفظ ، فصفا مسموعه و معقوله من الكدر ، تمّ قبوله له ، واشتماله عليه ، وإن نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها و هي : اعتدال الوزن ، وصواب المعنى و حسن الألفاظ ، وكان إنكار الفهم أياه على قدر نقصان أجزائه»[2] ، ولتوضيح هذا الرأي يقول « منير سلطان» :«... إنه هنا يربط بين صحة الوزن الشعري الملتزم بما أثر عن العرب و بين الجانبين العقلي ، فالفهم يطرب للصواب ، والطرب قبول الذوق ، والقبول لتوافر صواب الوزن و حسن التركيب ، واعتدال الأجزاء ، وصحة المعنى ، وعذوبة اللفظ ، وكل هذه مقاييس الجودة عند « ابن طباطبا » ويكون الإيقاع عنده بمعنى "الوقع" أو "الأثر" الذي يتركه الشعر ، وليس الإيقاع النغمي الذي يتحقق عند ابن طباطبا من خلال « الوزن الصواب» الملتحم بحسن التركيب ، واعتدال الأجزاء »[3].

و يرى «أبو حيان التوحيدي » أن في الإيقاع بلاغة مع غيره من الأدوات ، يقول :« ... فأما البلاغة فإنها زائدة على الأفهام الجيدة بالوزن والبناء و (السجع والتقفية) و الحلية الرائعة وتخيّر الألفاظ واختصار الزينة بالرقة ، والجزالة والمتانة ، وهذا الفن لخاصة النفس لأن القصد فيه (الإطراب) بعد (الإفهام) والتواصل إلى غاية ما في القلوب لذوي الفضل بتقويم اللسان»[4].

أما«ابن سينا» فنجده يذهب مذهبا آخر في تعريفه للإيقاع : يقول « الإيقاع تقدير ما لزمن النقرات، فإن اتفق أن كانت النقرات منغمة كان الإيقاع لحنا ، وإذا اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعريا »[5].

---

[1] – منير سلطان ، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي ، منشأة المعارف الإسكندرية ، ط1 ،2000 م ،ص124 .

[2] – ابن طباطبا العلوي محمد بن أحمد ، عيار الشعر ، تح محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،ط3 ، دب ، ص53 .

[3] – منير سلطان، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي ، ص127.

[4] – المرجع نفسه، ص130 .

[5] - جابر عصفور، مفهوم الشعر، مطبوعات فرح، قبرص، ط4، 1990 م، ص247 .

و لتوضيح هذا التعريف نقول : « إن النقرة التي هي أساس تشكل الإيقاع هي صوت يصدر إما عن آلة موسيقية أو عن جهاز النطـــق ، فإذا أصــــدر من آلة موسيقية وفق أزمنة متساوية أو متفاضلة كــــان لحنا ، وعلى هذا الأساس يقسم علماء الموسيقى الإيقاع إلى نوعين :

أ- **إيقاع موصل**: وهو كل مجموعة من النقرات بينها أزمنة متساوية .

ب-**إيقاع مفصّل** : وهو كل مجموعة من النقرات بينها أزمنة متفاضلة ولا شك أن قياس الزمن هنا يعود إلى سرعة النقر أو بطئه ، فإذا كان النقر سريعا كان الزمن بين النقرين قصيرا ، و إذا كان النقر بطيئا كان الزمن متوسطا أو طويلا حسب درجة البطء ، إما إذا أصدر النقر على جهاز النطق فلا ينتج إلا أصوات صامتة و الزمن الذي بين الصوامت تشغله الصوائت و لنضرب لذلك مثلا من تفعيلات البحور الشعرية :

1- فاعلاتن : تتشكل من /0/0//0/0

تتضمن التفعيلة أربعة متحركات أي أربع نقرات .

بين النقرة 1 و2 زمن متوسط أو طويل .

بين النقرة 2 و3 زمن قصير يكاد ينعدم .

بين النقرة 3 و4 زمن متوسط أو طويل .

وهكذا يكون لـــ« فاعلاتن » إيقاعها المتميز الذي يختلف عن تفعيلة أخرى ولتكن :متفاعلن .

2 – متفاعلن :تتشكل من : ///0//0

تتضمن التفعيلة خمسة متحركات أي خمس نقرات بين النقرات 1 و2 و3 أزمنة قصيرة جدا تكاد تنعدم بين النقرة 3 و4 زمن متوسط قد يطول ، بين النقرة 4 و 5 زمن قصير جدا يكاد ينعدم .

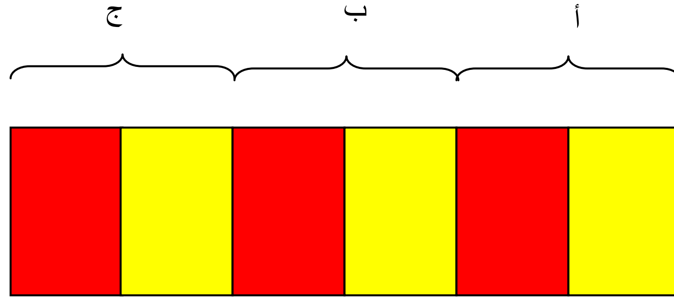
نستخلص من المثالين السابقين أن الزمن الفاصل بين النقرات هو الذي يحدد الإيقاع المتميــــز للتفعيلة، وهو الذي أشار إليه ابن سينا في تعريفه السابق »[1].

---

[1] – صلاح عبد القادر ، فن العروض و الإيقاع الشعري ، شركة الأيام ، الجزائر ، ط1 ،1996 م .ص158 ، 159 .

لنتناول تعريفا آخر للإيقاع لا ينطبق على الموسيقى والشعر فحسب إنما على سائر الفنون لأنها تشترك كلها في المتعة الجمالية، يقول « سوريو » « الإيقاع Rythme تنظيم متواصل لعناصر متغيرة كيفا في خط واحد بصرف النظر عن اختلافها الصوتي»[1].

وقد قدم « عز الدين إسماعيل » صورة مبسطة للإيقاع تتمثل في الشكل الآتي:



- فهو يري- أن هذا الشكل على بساطة تتمثل في سبعة قوانين هي :

1- النظام : وهذا واضح في الترتيب الذي سارت فيه الخطوط ملونة بالأحمر والأصفر .

2- التغيير : وتتمثل في أن اللون الواحد لا يملأ المساحة كلها ولكن هناك تغيير من لون إلى آخر.

3- التساوي: ويتضح في تساوي الخطوط.

4- التوازي : و يظهر في توازي هذه الخطوط .

5- التوازن : وهو أن كل خط ملون بالأصفر يتوازن ويتعادل مع خط آخر ملون بالأحمر .

6- التلازم : وهو أن في كل خطين متجاورين تلازما يتمثل في كل وحدة من الوحدات أ، ب، ج.

7- التكرار : ويتمثل في تكرار الوحدة المكونة من خطين .

(...) فهذه القوانين السبعة تعمل جميعا في وقت واحد و عملها المتلازم ينتج ما يسمي بالإيقاع»[1].

---

[1] - عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص101 .

أما إذا تأملنا هذا التعريف فإننا نلاحظ أنه لم يقدم صورة واضحة للإيقاع بقدر ما حلّل الإيقاع إلى عناصره الأساسية ، و أبرز قوانينه ، ومعرفة هذه القوانين لا تؤدى بالضرورة إلى إدراك مفهوم الإيقاع .

و لعل « عبد الرحمان تبرماسين » يعطى تعريفا بسيطا للإيقاع لكنه واضح ، فهو يرى أن الإيقاع عبارة عن « ...انسجام الصورة مع الصوت الذي يحدث في النفس اهتزازا و شعورا بالمتعة ، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة ، فالجذب من قبل النظر للصورة يقابله الوقع في السمع منه قبل الكلمة ، ونقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس و الإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع و يصيران كلا واحدا »[2].

غير أنه في الوقت نفسه يعتبر الإيقاع كلمة مشتقة أصلا من اليونانية Rythmus التي تعنى الجريان والتدفق .

و لا يختلف هذا كثيرا عما ذهب إليه « محمود المسعدي » عندما عد الإيقاع «صيغة معينة من النظم يصوغها صانع الإيقاع بعملية أساسها هيكلة وهندسة تتألف وفقها عناصره المادية في هيئة متماسكة تتعلق أجزاؤها البعض بالبعض ، والبعض بالكل »[3].

و لعل أحسن المحدثين الذي أعطى تعريفا دقيقا للإيقاع هو« محمد العياشي » الذي أخّرناه كتابةً رغم تقدمه عليهم رتبة حيث يقول عن الإيقاع :« و أما الإيقاع فهو ما توحي به حركة الفرس في سيره وعدوه وخطوة الناقة و ماشاكل ذلك لخضوع تلك الحركة في سيرها إلى مبادئ لا تفريط فيها هي: النسبية في الكميات والتناسب في الكيفيّات والنظام و المعاودة الدورية ، وتلك هي لوازم الإيقاع»[4].

من خلال هذا التعريف يلفت انتباهنا عدّة كلمات عبارة عـــن مفاتيح لفهم الإيقـــاع وهــــي: الحركة، النسبية، التناسب، النظام والمعاودة الدورية « فالإيقاع متصل بالحركة وغير منفصل عنها ولا ينفصل إلا إذا كانت عشوائية و غير فنية ومن ثم فهي من لوازمه و النسبية تهدف إلى تحقيق العلاقة بين شيئين متناسبين في الحركة و الزمان و الأداء ، والتناسب يعمل على التوافق بينهما ، والنظام

---

[1] – عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ،ص102 .

[2] – عبد الرحمان تبرماسين ، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر ،دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2003 م ص94 .

[3] – محمود المسعدي، الإيقاع في السجع العربي ،نشر عبد الكريم بن عبد الله ، تونس، دط ،1996 م، ص5 -6.

[4] – محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي ،المطبعة العصرية ، تونس ، دط ،1976 م، ص42 .

يعني الترتيب والتناسق و المعاودة الدورية ضرورية لكي يتحقق الإيقاع إذ لا إيقاع بلا تكرار ومعاودة»[1] .

لنتوصل إلى أنه مهما قيل عن الإيقاع من كلام فإنه لا يزال محل نزاع في الرأي بين الدارسين –قدماء ومحدثين – و الخلاصة أننا إذا نظرنا إلى هذه التعاريف مجتمعة فإننا نستخلص الآتي:

* الإيقاع مصطلح عربي خالص لا صلة له من حيث اللفظ بالكلمة اليونانية Rythmus بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين ، وما ورد في« لسان العرب » خير دليل على ذلك .

* الإيقاع هو الذي يكسب الفنون المتعة الجمالية ، حيث تعمل الحروف التي تشكله على خلق جو مشحون بالعواطف والانفعالات في نفسية المتلقي بشرط أن تكون هذه الحروف مؤتلفة فيما بينها و غير متنافرة حتى لا يمجها السمع و لا يمقتها الذوق .

* الإيقاع عبارة عن فن موجود في مختلف الفنون الأدبية مع اختلاف في درجة وضوحه من فن لآخر، فضلا عن وجود تلك العلاقة المتلازمة بين الصوت ومعناه و السمع والبصر.

وربما هذه الأهمية الكبيرة للإيقاع في تأثيره على الملتقى هي التي جعلت الكثير من المهتمين بالدراسات القرآنية حديثا يكثرون من استعماله في تعاملهم مع السور القرآنية ذات التناسب الصوتي المختلف، أي ذات أجواء متباينة و يتضح كلامنا هذا بهذين المثالين:

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2]، ويقول عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾[3].

فجو سورة المؤمنون يختلف عن جو سورة القمر و هذا راجع لاختلاف ذلك التناسب الصوتي بينهما.

---

[1] – عبد الرحمان تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر ،ص102.

[2] – المؤمنون الآية :1-3 .

[3] – القمر الآية : 1-3.

الجمال والجمالية

إن الإحساس بالجمال و الميل إليه مسألة فطرية تعيش في أعماق النفس البشرية، فهذه الأخيرة تألف كل ما هو جميل و تتقبله .

تعريف الجمال:

لغة :« الجمال مصدر الجميل و الفعل جَـــمُلَ ، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ أي : بهاء وحسن .

ابن سيده : الجمال: الحسن يكون في الفعل و الخلق، وقد جَـــمُلَ الرجل، بالضم ، جمالاً، فهو جميل وجُمَال بالتخفيف (...) و الجمال يقع على الصور والمعاني، و منه الحديث « إن الله جميل يحب الجمـــــال، أي حسن الأفعال كامل الأوصاف »[1].

اصطلاحا : « هو ما يثير فينا إحساسا بالانتظام و التناغم و الكمال ، وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة أو في أثر فني من صنع الإنسان ، وأننا لنعجز على الإتيان بتحديد واضح لماهية الجمال، لأنه في واقعه إحساس داخلي يتولد فينا عند رؤيته أثر تتلاقي فيه عناصر متعددة و متنوعة ومختلفة باختلاف الأذواق ، ومعرفة الجمال ليست خاضعة للعقل و معاييره ، بل هي اكتناه انفعالي ... »[2]

وحتى لا يظل كلامنا يدور في حلقة مفرغة ، وجب علينا العودة إلى الوراء وبالضبط إلى أيّام الفلسفة اليونانية القديمة حيث نجد ذلك التخبط في محاولة إعطاء مفهوم دقيق للجمال فنجد «سقراط» يقول :« ...إنه لا يجعل الشيء جميلا إلا وجود الجمال و المساهمة فيه ، مهما تكن سبل الوصول إلى ذلك و كيفية الحصول عليه ، فلست أقطع برأي في الكيفية ، ولكنني أقرر بقوة أن الأشياء الجميلة كلها إنما تكون جميلة بالجمال »[3].

ويرى « أفلاطون » :« ...أن الجمال معدوم على هذه الأرض، و موجود فوق العالم، أو ما وراءه والجمال في ذاته لا يلمس أو يمسك ، و لكن هذا لا يمنع من أن نعمل ما في وسعنا محاولة للتقرب منه

[1] – ابن منظور لسان العرب ، ج3 ، ص202 .

[2] – جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1984 م، ص85 .

[3] – عبد الكريم هلال خالد ، أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة (دراسة لوجهات نظر بعض الفلاسفة في النقد الجمالي) منشورات قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط1 ،2003 م، ص24 .

...»[1]، وربما هذا الرأي لأفلاطون يقرّب ويلخص لنا بإحكام الرأي العام السائد في الفلسفة اليونانية ذلك الوقت، ذلك أن «أرسطو » أكبر شخصية فلسفية عندهم « ... لم تكن له نظرية جمالية بالمعنى الصحيح الذي يتمثل عند أفلاطون مثلا ؛ فهو يجعل من الجمال مبدأ منظما في الفن ، ولكنه لم يقل البتة –أو يعني– أن غاية الفن هي جلاء الجميل ، و القوانين الموضوعية للفن مستنبطة لا من بحث في الجميل ، وإنما من ملاحظة للفن من حيث هو ، و للآثار التي ينتجها»[2] ، و يتجلى لنا من كل ما سبق أن للجمال مفاهيم متعددة تختلف باختلاف الأشخاص قديما و حديثا « ...وما إقبال الناس على تذوق الأدب إلا دليل على حب الناس للجمال في كل مظاهره ، وفي مختلف أشكاله الفنية ، لكن إذا سألتهم عن السبب في حبهم للجمال بهذا القدر في الأعمال الأدبية ، أو إنك طلبت منهم تعريفا محددا له فإنه من الصعب عليهم الإجابة بطريقة سهلة و مباشرة ، ذلك لأننا نحس به فـــي أحاسيس كثيرة ، لكن يستحيـــــل وصفه بصفة ثابتـــــة ؛ فالإحساس بالجمال يختلف من شخص إلى آخر ، و لكن الشيء المتفق عليه أنه إحساس ممتع يثير البهجة والفرحة في النفس »[3].

و بالتالي نخلص إلى أن الجمال هو « ... القيمة الحقيقية للنص و هو الذي يسعى القارئ للحصول عليه بعيدا عن الإديولوجيا و الأفكار التي يحملها و الخلفيات التي يستند إليها »[4] و لكن ندرس نحن هذا الجمال فلا شك أنه لم يأت بطريقة اعتباطية و إنما قام على أسس نستخلصها من التعريفات السابقة على رأسها « الاستعداد الفطري و التلقائي لتقبل هذا الجمال و طريقة تعاملنا و ردة فعلنا اتجاهه، إذ أن «...الجمال هو ما يحدث لذة ذاتية مباشرة ، ومجردة عن أي غرض و بدون أي مفهوم يحدده ، إذ الذاتية أو الفردية ما هي إلا مرحلة أولى في الإدراك الجمالي ، غير أن الذوق هو ملكة الحكم على شيء ما بأنه جميل أو قبيح بالنظر إلى تلك اللذة التي تصحب تأمل الجميل »[5] وكل هذا يدفعنا إلى تسليط الضوء على نقطة مهمة تتعلق أساسا بـــ:« علم الجمال » ، فعلم الجمال عندما يكون مجردا من صفة « الأدبي » له جذوره الضاربة في أعماق التاريخ و خاصة بين تلك الأمم التي كانت لها آصرة وطيدة بالحضارة ، « فعلم الجمال Esthétique» عند "جبور عبد النور" « علم يدرس : أ- طبيعة الإحساس الفني ، ب- ما يبتعث الجمال في شكل من أشكال الفن أو التعبير »[6] ، ولكن علم الجمال لا تقتصر علـــــى الأدبي والفني فقط

---

[1] – محمد مرتاض ، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم ، ديوان المطبوعات الجمالية بن عكنون ، الجزائر ، دط ، 1998 م، ص18 .

[2] – عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط ،2000م ص33-34.

[3] – نبيل راغب ، التفسير العلمي للأدب ، نحو نظرية عربية جديدة ، دار نوبار لطباعة ، القاهرة ، ط1 ،1997 م ،ص304 .

[4] – محمد الصالح خرفي ، بين صفتين ، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، ط1 ،2005 م ص20 .

[5] – عبد الكريم هلال خالد ، أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة، ص53 .

[6] – جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، ص86 .

بـــل : « ... لا تقتصر الإستيتيكا على الجميل في موضوعاتها فحسب بل يدخل القبيح فيها و ذلك عن طريق الصور والإيقاع والنغمات و الرمز ليحقق صفاته الجمالية ، ورغم أن الفن هو أهم مواضيع الأستيتيكا ، لكن ليس موضوعها الوحيد بل هناك الطبيعة والإنسان وما ينتجه من آثار على جانب آثاره الفنية البحتة»[1].

و هذا المفهوم لا يدفعنا لتحييد الفن وعزله، بل إن هذا الأخير يعتبر « ...أعلى شكل في عملية الوعي الجمالي عن الواقع ، كما يبحث علم الجمال بصورة عامة في جميع الأجناس الفنية عن قوانينها الخاصة بها في عملية التطور ، مثلا إن الفنان لا يكفيه فقط إدراك نوعيات معينة عن الواقع والناس ، بل يجب أن ينعكس فيها وعيه الذاتي ، ولعلم الجمال جانب دراسي نظري و جانب تطبيقي عملي ...»[2].

و نافلة القول من كل ما سلف أن علم الجمال أو « الجماليات » مصطلح اشتق من :« الكلمة الإغريقية ، و التي تشير إلى فعل الإدراك ، وأيضا من الكلمة التي تعني الأشياء القابلة للإدراك ، وذلك في مقابل الأشياء غير المادية أو المعنوية .

و يتفق الباحثون بشكل عام على أن علم الجمال نشأ في البداية باعتباره فرعا من الفلسفة ويتعلق الأمر بدراسة الإدراك للجمال والقبح و يهتم أيضا بمحاولة استكشاف ما إذا كانت الخصائص الجمالية موجودة موضوعيا في الأشياء التي ندركها ، أم توجد ذاتيا في عقل الشخص القائم بالإدراك ويعتبر «بومجارتن» أول من ذكر هذا المصطلح "علم الجمال" في كتاب خاص عام 1750 م، فعلم الجمال علم قديم حديث ، ارتبط بالمباحث الفلسفية في أول الأمر ثم استقل كعلم في بداية النهضة الأوربية »[3] .

و في بداية القرن العشرين « ارتبط الجمال بالمضمون، وكانت نظرية التحام الشكل بالمحتوي التحاما عضويا قد استقر عليها أغلب الأدباء »[4].

لأن انسجام الشكل مع المحتوي هو الذي يحقق القيمة الجمالية للعمل الفني عند بعض النقاد، وبعدها « ... أخذت بحوث علم الجمال تصب في الآونة الأخيرة في مجال تأويل النصوص ، مما جعلها تأسيسا لنظريات القراءة و التلقي الساندة لبلاغة الخطاب ، فاقترح الباحثون إعادة النظر في منهجية فقه اللغة التي

[1] – عقيل مهدي يوسف ، الجمالية بين الذوق والفكر ، مطبعة سلمى الفنية ، بغداد ، ط 1 ،1988 م ، ص13 .

[2] – عدنان محمد رشيد ، دراسات في علم الجمال ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1405 هـــ، 1985 م، ص13 ،14 .

[3] – محمد الصالح خرفي ، بين ضفتين ، ص21 .

[4] – أحمد كمال زكي ، دراسات في النقد الأدبي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ط1 ،1997،ص227.

أصبحت مغلقة على كل النظريات ، حيث يرون أن تطوير مذهب تأويلي لا يتجاهل علوم اللغة بالتأكيـــد، لكنه يوفق بينها و بين علم الجمال »[1].

ونختم حديثنا عن الجمال بالجمال في القرآن الكريم إذ أنه جاء جميلا في أسلوبه ومضامينه ، يدعوا إلى الجمال ويربي الأمة على الجمال ، جمال الأرواح و السرائر و جمال الأجساد و المظاهـــر، جمال الكلمـــة، جمال المعاملة ، جمال الاعتقاد وجمال الأخلاق و هذا ما سنتعرض له بالتفصيل في مبحث الإحساس الجمالي في القرآن الكريم في الفصل الرابع .

---

[1] - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، مصر ، ط1 ، 1996 م ، ص59 .

الجماليـــة

بعدما سلطنا الضوء على الجمال و علم الجمال وجب علينا أن نتطرق إلى موضوع الجمالية والحقول الفنية التي اشتغل فيها .

تعريف الجمالية:

الجمالية :« مصدر صناعي مشتق من الجمال و المصدر الصناعي يطلق على كل لفظ زيد في آخره حرفان ، هما : ياء مشدّدة بعدها تاء تأنيث مربوطة ، ليصير بعد زيادة الحرفين اسما دالا على معنـــى مجـــرد ، لم يكن يدل عليه قبل الزيادة ، وهذا المعنى المجرد الجديد هو مجموعة الصفات الخاصـــة بذلك اللفظ ، مثل : الاشتراك و الاشتراكية ، والوطن و الوطنية ، و الإنسان والإنسانية»[1] .

يفهم من هذا أن الجمالية لا تحمل معنى الجمال فقط و إنما تتضمن معاني أخرى زائدة عليه نوضحها فيما يلي :

إن المتتبع لتاريخ « الجمالية » يجده مختلفا عند الأمم ، فإذا كان قد واكب بداية ونهاية الفكر اليوناني فإنه في فرنسا كان قد انتشر مند القرن الثامن عشر ميلادي و في بريطانيا خلال القرن التاسع عشر على يد « بيتر » و الذي يوصف بأنه « ... أدقُّ النقاد تمثيلا ممن أنجبتهم المدرسة الرومانسية إلى اليوم ويعلّق الناقد « جونسون » بأن أعراض (الجمالية) كانت قد ظهرت في سنة 1831 م ووجد الجماليون مصدر إلهامهم عند « كيتس » على أن هذه الجمالية استغلَّها كثير من الشعراء لخدمة الرذيلة و الفساد و الإباحية مع أنها في واقع الأمر لا تعني إطلاقا أن ينحاز الفن نحو خدمة شيء بدون هدف! و من الذين تغطوا بهذا المنهج أو المذهب على حساب الأخلاق ، يتبادر إلى الدهن أسماء (أوسكار وايلد) و (بودلير) و (ارنست دواوسن) و غيرهم »[2].

وبعد هذه الكرونولوجيا السريعة نصل إلى أن الجمالية « هي البحث العقلي في قضايا الفن على إحلافها من حيث أن الفن صناعة ، خلق جمالي ، لها أصولها المتنوعة و لها حرفياتها التقنية الخاصة (.....)

---

[1] – عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ،ط8 ،ج3 ،1987 م، ص186.

[2] – محمد مرتاض ، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم ، ص28 .

فالجمالية تمثل رؤيا خاصة للفن وطريقة لملامسة شغاف الجميل في النص لأجل تذوق فني يكشف حقيقة تلك النصوص، وآثارها على الفرد الباحث أو الأفراد الآخرين المتذوقين »[1].

و يبدو لمن تتبع ما كتبه نقاد الجمالية أن هذه الكلمة لها دلالات ثلاث :

« 1- دلالة عامة واسعة تطلق على كل شيء جميل يوصف بالجمال.

2- دلالة أضيق ترادف ما تعنيه كلمة فن ، فالفن ضرب من الجمال و الفنون في صناعة الجمال .

3- دلالة خاصة جدا تطلق على أحد مذاهب الفن أو مناهجه أو نظرياته »[2].

و ما دام أن الجمال لا ينتهي و يبقى مع الإنسان في حلّه و ترحاله ، و في كل زمان ومكان خاضعا لأذواق الناس ، وردود أفعالهم ، فضلا على أنه يتراوح بين تلك النظرة الذاتية والموضوعية في سبيل تحقيق تلك المتعة التي يسعي إليها كل فرد في هذه الحياة — و ما دام كذلك — فإن الجمالية باقية إلى جانبه فقد « ...أصبحت منهاجا نقديا له أسسه وقواعده التي ينبني عليها ، و له مقوماته وتطبيقاته بجانب المناهج السياقية الأخرى (المنهج النفسي ، و الاجتماعي ، و الأسطوري) والمناهج النصية (البنيوية و السيميائية ، و التشريحية ...)و أصبح للمنهج الجمالي أيضا أنصاره و نقاده والمدافعون عنه باختلاف المدارس ، لأن كلا منهما يسعى إلى المتعة الجمالية و الكفاية الجمالية »[3] .

فالجمالية إذا هي الغاية و الهدف المنشود الذي يسعى إليه كل مبدع بحثا عن التمييز خاصة في الفن والأدب .

---

1 – محمد الصالح خرفي ، بين الضفتين ، ص21-22 .

2 – أمير حلمي ، فلسفة الجمال ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، ط1 ، 1998 م ، ص231 .

3 – محمد الصالح خرفي ، بين ضفتين ، ص30 .

الجمال في النقد الأدبي عند العرب

كما سبق لنا الحديث عن الجمال فهو ينقسم إلى قسمين : ذاتي و موضوعي، ذاتي ندركه وفق اعتبارات تتعلق بنا ، و موضوعي ندركه بناء على شروط تحققت فيه وليست خارجة عنه ، و إدراكنا لجمال النص الأدبي بشكل ذاتي يعني امتلاكنا لذوق يحقق هذه الغاية ، وقد عرف « ابن خلدون » الذوق بقوله :« اعلم أن الذوق لفظة يتداولها المعتنون بفنون البيان ، و معناها حصول ملكة البلاغة للسان (...) فالمتكلم بلسان العرب و البليغ فيه يتحرّى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب و أنحاء مخاطبتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ، فإن اتصلت معاناته لذلك بمخالطة كلام العرب حصلت له ملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه و يسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر ...»[1] يفهم من كلام «ابن خلدون» أن الذوق استعداد يتهيأ للناقد بمخالطة كلام العرب، يتمكن من خلاله من التمييز بين صحيح القول و فاسده ، و بمعنى آخر عن طريق الذوق يستطيع الناقد أو غيره أن يدرك جمال النص الأدبي ، هذا الذوق الذي هو في رأي «ابن خلدون » ليس موهبة أو فطرة، إنما يكسب بحكم الممارسة و المخالطة يقول في موضع آخر :« و لذلك يظن كثيرا من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ، أن الصواب العرب في لغتهم إعرابا و بلاغة أمر طبيعي (...) و إذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم و نظم كلامهم (...) و إذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم »[2] .

و يكون « ابن خلدون » بهذا الكلام قد قدّم لنا صورة صادقة عن الناقد العربي القديم الذي ألف كلام العرب و عرف أدبهم وراح يصوّب ما يعرض عليه من شعر على وجه الخصوص وفق ما ألفته العرب وتواضعت عليه ، ولنأخذ مثالا توضيحيا لذلك ، ما جاء على لسان « ابن قتيبة » يقول :«« قال أبو محمد »: تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب: (...)

- ضرب منه حسن لفظه و جاد معناه ... كقول: « أبي ذؤيب الهذلي » :

و النفس راغبة إذا رغبتها　　　و إذا ترد إلى قليل تقنع (...)

---

[1] - ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، المقدمة ، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، لبنان ، دط،1423هـ، 2002 م ، ص561.

[2] - المصدر نفسه ص561 -562 .

- و ضرب منه حسن لفظه و حلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعني كقول القائل:

و لما قضينـــا من مـــنى كل حاجـــة   و مسح بالأركان من هـــو ماســـح

و شدت على حدب المهاري رحالنا   و لا ينظـــر الغـــادي الذي هو رائح

أخـــدنا بأطـــراف الحديث بيننـــا   وسالت بأعنـــاق المطـــي الأباطـــح

و هذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج و مقاطع فإذا نظرت إلى ما تحتها وجدته : و لّما قضينا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح »[1] ، ثم يسترسل « ابن قتيبة » في عرض بقية الأضرب ، و الشاهد في ما اقتطفناه هو طريقة النقد المعتمدة عند القدماء ، إذ الجمال عندهم ما ألفته العرب لا غير و ما النقد الجمالي في أبسط مفهومه عندهم إلا « ...مجموعة القواعد الجمالية المستمدة من القواعد الأسلوبية و الألسنية واللغوية و البلاغية التي إذا استخدمت متسقة و منتظمة ساعدت على تقديم إجابة علمية عن المشكلات الجمالية للنص الأدبي و علمت على تفسير طبيعته »[2].

و إذا كان « ابن خلدون » يرى أن تذوق جمال النص و بلاغته يتشكل بمخالطة كلام العرب وممارسته، فإن «عبد القاهر الجرجاني » يرى فيه موهبة فطرية لا تتهيأ لأي كان ، يقول في معرض حديثه عن التشبيه و الاستعارة :« و هذا موضع لا يتبين سحره إلا من كان ملتهب الطبع حاد القريحة »[3] .

وإذا عدنا ببضعة قرون إلى الوراء وبالضبط إلى العصر الجاهلي ، نجد أن العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون الجمال بصورة أو بأخرى « ...و لكنها كانت المعرفة الأولية الساذجة التي يشترك فيها جميع الناس و لنقل أنها لم تكن المعرفة الواعية ، أو بلفظ أدق المعرفة الناتجة عن تأمل وترتيب (...) وطبيعي جدا أن يكون للعربي و قد وصل إلى مرحلة الإنتاج الفني الراقي (الشعر في صورته القديمة الناضجة) نظرته إلى الكون، وتذوقه لمظاهر الجمال و القبح فيه ، فالشعر في هذه الصورة يكون انفعالا بجمال الأشياء أو قبحها

---

[1] - ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، الشعر و الشعراء ، طبقات عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1 ، 1424 هـ،2003 م، ص9- 10.

[2] - أحمد رحماني ، نظريات نقدية وتطبيقاتها ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ،1425 هـ ، 2004 م ، ص51 .

[3] - الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تح محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دط ،1997 م ، ص328.

و لكننا رغم هذا الغرض لا نستطيع أن نتصور أنه كانت في نفسه فكرة عن الجمال فضلا عن أن تكون نظرية، ولكنه يدرك الجمال إدراكا بسيطا »[1] .

و ما أردنا الوصول إليه هو أن الجمال عندهم كان مبنيا على الذوق الفطري، ومن ذلك ما يروى «... أن طرفة بن العبد سمع المسيِّب بن علس يقول :

و قد أتناسى الهم عند احتضاره   بناج عليه الصيعرية مكدم (*)

فقال له طرفة : استنوق الجمل أي أنت كنت في صفة الجمل ، فلما قلت « الصيعرية » عدت إلى ما توصف به النوق ، لأن « الصيعرية » سمة حمراء تعلّق في عنق الناقة خاصة ، فهذا نقد توجه من طرفة إلى المسيّب من ناحية الألفاظ ، وهو نقد يدل على بصر طرفة بمعاني الألفاظ و مواضع استعمالها ، كما يدل على ذوقه النقدي وفطنته إلى أن مثل هذا الخطأ اللفظي مما يعيب الشعر و يقلل من درجة جودته »[2] وتواصل الأمر على هذا المنوال في عصر صدر الإسلام مع تهذيب الألفاظ التي تخدش الحياء و تبعث على نشر المعايب والمسالب و المثالب .

إن هذه النظرة الموضوعية إلى الجمال هي التي كان لها أثرها في نشأة علوم البلاغة و سببها ظهرت مدرسة الصنعة اللفظية و رائدها « أبو تمام » و من سار على دربه ، فأهل الصنعة قد آمنوا بأن الجمال في الشعر له أسباب أكسبته هذا الجمال فنقبوا عن هذه الأسباب حتى اهتدوا إليها ، و كمثال على ذلك نقتطف بعضا مما أورده « الآمدي » في معرض موازنته بين "أبي تمام" و "البحتري" :« ...و ينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق و يفسده ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل، وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره ، و حسن التأليف و براءة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه أحدث في غرابة لم تكن و زيادة لم تعهد و ذلك مذهب البحتري (...) و إذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة و لا سبك جيد و لا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق أو نقش العنبر على خد الجارية القبيحة الوجه »[3].

لنخلص في النهاية، أن الجمال في النقد العربي بدأ في العصر الجاهلي وفق التذوق السليم ثم تطوّر إلى الأحكام المعلّلة في عصر صدر الإسلام، ثم اتّجه فيما بعد إلى الأحكام العلمية على يد اللغويين والنحاة.

---

[1] - عز الدين إسماعيل ،الأسس الجمالية في النقد العربي ،ص109 .

(*) - ناج :المراد جمل سريع ، و المكدم :الصلب القوي .

[2] - عبد العزيز عتيق ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، دط ، د ت ، ص 21 .

[3] - الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، تح ،أحمد صقر ،دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ،دت ،ص425 .

مدخـــل :

قبل الولوج إلى مضامين هذا الفصل ، يجدر بنا أن نقف وقفة بين يدي سورة « الكهـــف » الـــتي اتخذناها نموذجا لدراستنا، فسورة الكهف من السور المكية، و هي إحدى سور خمس بدئت ب : « الحمد لله » و هذه السور هي « الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر » و كلها تبتدئ بتمجيـــد الله و تقديســـه والاعتراف له بالعظمة والجلال و الكمال، و قد تعرضت السورة الكريمة لأربعة قصص لم تتكرّر في القرآن كله، أما القصة الأولى فهي قصة أولئك الفتية الذين فروا بدينهم إلى الكهف، و جعلهم المولى عز وجل آية للعالمين، و القصة الثانية هي قصة صاحب الجنتين الذي جحد نعم المولى عز و جل عليه ،فكانت عاقبتـــه الخذلان و الخسران في الدنيا و الآخرة، والقصة الثالثة هي قصة موسى عليه السلام مع الخضر و هي قصة تغرس فينا خلق التواضع و الصبر على طلب العلم، أما القصة الرابعة و الأخيرة فهي قصة « ذي القرنين » الذي أتاه الله سلطانا و عدلا فبسط سيطرته على أرجاء المعمورة، فضلا على بنائه لذلك السد العظيم لكفِّ شرِّ و فساد يأجوج و مأجوج .

ا– من فضائل سورة الكهف :

في صحيح مسلم عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه و سلم قال « من حفظ عشر آيات مـــن سورة الكهف عصم من الدجال» و في رواية « من آخر الكهف » و في صحيح مسلم أيضا من حـــديث النواس بن سمعان أنه صلى الله عليه و سلم قال « فمن أدركه – يعني الدجال – فليقرأ عليه فواتح ســـورة الكهف »[1] .

و عن البراء بن عازب رضي الله عنه كما في صحيح البخاري قال :« كان رجل يقرأ سورة الكهف و إلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشّته سحابة، فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه و سلم، فذكر ذلك له فقال : تلك السكينة تنزلت بالقرآن »[2].

ب– سبب نزولها :

[1] – مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت ، دط ،1992، ج2، ص77.

[2] – البخاري محمد بن إسماعيل ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج4، ص232.

ذكر كثير من المفسرين أن كفار قريش « أوفدوا « النضر بن الحارث، و عقبة بن أبي معـــيط » إلى أحبار اليهود بالمدينة، و هم يطمعون أن يجد لهم الأحبار ما لم يهتدوا إليه مما يوجهون به تكذيبهم للرسول صلي الله عليه و سلم (...) فقال لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم بهن فهو نـــبي، و إن لم يفعل فالرجل متقول ، فسألوه عن أخبار الفتية الذين ذهبوا في الزمن الأول : و عن الرجل الطواف الذي بلغ مشارق الأرض و مغاربها و عن الروح ما هي؟ فقال لهم الرسول صلي الله عليه وسلم: أخبركم بمـــا سألتم عنه غدا، و لم يقل إنشاء الله، فمكث لم يترل عليه الوحي حتى أحزنه ذلك، ثم جاء جبريـــل عليـــه السلام بالجواب الفصل في ذلك، فأجابهم عن أمر الفتية و عن الرجل الطواف، و عن الـــروح في ســـورة الإسراء »[1].

ج– من كرامات السورة :

« لوضع هذه السورة على هذا الترتيب في المصحف مناسبة حسنة ألهم الله إليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم لما رتبوا المصحف، فإنها تقارب نصف المصحف إذ كان في أوائلها موضع قيل هـــو نصف حروف القرآن و هو (التاء) في قوله « و ليتلطف» و قيل نصف حروف القرآن هو « النون » من قوله تعالى « لقد جئت شيئا نكرا » في أثنائها، و هو نهاية خمسة عشر جزءا من أجزاء القـــرآن و ذلـــك نصف أجزائه، و هو قوله تعالى « قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا » فجعلت هذه الســـورة في مكان قرابة نصف المصحف .

و هي مفتتحة بالحمد حتى يكون افتتاح النصف الثاني من القرآن ب « الحمد لله »كما كان افتتاح النصف الأول ب « الحمد لله » ، و كما كان أول الربع الرابع منته تقريبا ب « الحمد لله فاطر السماوات و الأرض » »[2].

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984 م، ج13، ص142 – 143 .

[2] – المرجع نفسه، ص244 - 245 .

البديـــــع

يأنس العرب منذ القديم إلى الكلام الجميل – باستثناء ما كان متكلفا – الذي يهز عواطفهم وتنتشي به نفوسهم، فيفتخرون بكل من له طلاقة في لسانه و طلاوة في ألفاظه، و حلاوة في معانيه، إلى أن جـــاء القرآن الكريم فتطور هذا العلم تطورا مذهلا حيث أصبح القرآن الكريم بمثابة الورد الذي ينهل منه الأدباء والشعراء، ليتطور فيما بعد و يصبح علما قائما بذاته على يد « ابن المعتز » في كتابه « البديع » حيـــث يشير في مقدمة كتابه أن العرب عرفوا هذا الفن من أشعار الجاهلين و القرآن الكريم و أحاديث الرســـول صلى الله عليه و سلم و كلام الصحابة و الأعراب المتقدمين، قبل أن يعرفه بعض الشعراء المولدين الـــذين كثر في أشعارهم فعرفوا به مثل (بشار بن برد، و مسلم بن الوليد، و أبي نواس)، و من جاء بعدهم كأبي تمام الذي أصاب في أشياء و أخطأ في الكثير منها نتيجة إفراطه في استعماله .[*]

و ما دمنا نتحدث عن البديع فيجدر بنا أن نتوقف عند مفاهيمه و أهم مصطلحاته و أقسامه خاصة أن الكثير من المهتمين بعلم البديع يرتبونه بعد علم المعاني و البيان، و لو أن تأخره رتبة لا يمنع من كونه قد صار علما مستقلا بذاته.

البديع : لغة :جاء في لسان العرب : « بدع : بدع الشيء يبدعه بدعا و ابتدعه : أنشـــأه و بـــدأه (...) و البدع : الشيء الذي يكون أولا، و في التنزيل : " قل ما كنت بدعا من الرسل"أي ما كنت أول الرسل» (...) و البدعـــة : الحدث و ما ابتدع من الدين بعـــد الإكمـــال (...) البديــــــع : المحـــدث العجيـــب، و البديع المبدع (...) البديع : من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء و إحداثه إياها (...) بـــديع السموات و الأرض أي خالقها و مبدعها و البديع من الحبال : الذي ابتدئ فتله و لم يكن حبلا فنكث ثم غزل و أعيد فتله ...»[1] و جاء في قاموس « المحيط » « البديعُ : المبتدِعُ و المبتدَعُ،(...) و منه الحديث «إن تهامة كبديع العسل »، و الرجل السمين، ج : بدع، و بناء عظيم للمتوكل بسرَّ من رأى، و ما عليه نخيل قرب واد القرى (...) و البدع بالكسر: الأمر الذي يكون أولا، و الغمر مـــــــــن الرجـــال، و البـــدن الممتلـــئ، و الغاية في كل شيء ...»[2].

---

[*] – ينظر هذا الكلام بتفاصيله : شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ , دار المعارف ، القاهرة ، ط12 ، دت ، ص67 .

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص37- 38 .

[2] – الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ص722 .

اصطلاحا: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[1].

كما نجد الأدباء و الشعراء قد اهتموا اهتماما شديدا بالبديع و مختلف فنون الكلام منذ زمن مبكر على الرغم من بعض القيود التي وضعها بعض المتأخرين لمفهوم البديع كعلم قائم بذاته له شروطه ومصطلحاته التي تمنعه من التداخل مع بعض فنون الكلام الأخرى « ... فكل ما هو طريف و جميل ينطوي تحت كلمة البديع سواء كان جناسا أو طباقا أو استعارة أو تشبيها، أو إيجازا، أو إطنابا و له أثر في تكوين العبارة و تصويرها و تزيينها»[2].

يتضح من هذا الكلام أن مصطلح البديع يتعلق بمعنى التحسين و التزيين سواء في الألفاظ أو في المعاني « ... فحسن اللفظ من حيث الجرس الصوتي و حسن الكلمة من حيث أداؤها لمعناها و يزداد حسن أداء الكلام لمعناه بتأثير الرنين الصوتي كما يتضح في الجناس و السجع و الترصيع و التصريع و غير ذلك من ألوان البديع، و لتحقيق الجمال و الحسن في هذه الأنواع لا بد أن يتحقق الاتصال بالمعنى دائما»[3]؛ فالعرب إذن كانت لهم تلك الأذن الموسيقية التي تطرب لسماع الكلام الجميل و المفردات العذبة الفصيحة، فقد كان الشعراء و الأدباء يهيمون بالبديع و ألوانه « ... فكل من وجد لونا جميلا من ألوان التعبير أدخله تحت اسم البديع حتى وصلت على يد واحد (*) من أصحاب البديعيات إلى أكثر من مائتي نوع جمعها في بديعية واحدة »[4].

و هكذا نجد أن علم البديع قد أخذ أبعادا أخرى منذ دعوة «ابن المعتز» فقد تحول إلى باب مفتوح للاجتهاد، فكثرت بذلك التعريفات و تشعبت بذلك الألوان البديعية، « و ضاعت معها فكرة الإبداع والاختراع وذلك في خضم التنافس الشديد بين البلاغيين على سد النقص الذي توهّموا أن ابن المعتز وقع فيه»[5].

أما إذا ألقينا نظرة على القرآن الكريم فإننا نجده يزخر بمختلف أصناف البديع التي سطرها أرباب البلاغة في كتبهم، و لكنها لم تكن للزينة فقط و إنما هي ألفاظ دعاها المعنى، حتى إذا أخذت هذه الألفاظ

---

[1] – عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، علم البليغ، علم البديع، مكتبة الآداب القاهرة،دط، 1999 م، ج4، ص3.

[2] – عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1983 م ، ص41 .

[3] – محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية، علم البديع، دار العلوم العربية بيروت، ط1، 1991 م، ص11 .

(*) – الشخص الذي يقصده الكاتب بكلامه هذا هو أسامة بن منقذ (ت584هـ) في كتابه (البديع في نقد الشعر).

[4] – عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1998 م، ص21 .

[5] – منير سلطان، البديع تأصيل و تجديد، منشأة المعارف الإسكندرية، دط، دت، ص17 .

زخرفها و أزيّنت و كانت في مواضعها التي يراد لها أن تكون فيها كان للمعنى جلاء و بيانا و للكلام فضلا و تأثيرا، لذلك نجد أن البلاغيين قسموا المحسنات البديعية إلى قسمين : معنوية و لفظية .

« فالمعنوية : هي التي يكون : التحسين بها راجع إلى المعنى أولا و يتبعه تحسين اللفظ ثانيا و لكنه غير مقصود، أي بدون تكلف .

و المحسنات اللفظية: هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أو لا يتبعه تحسين المعنى ثانيا و لكنه أيضا غير مقصود أي يأتي عفوا »[1].

و قبل أن ندخل إلى مضمون الدراسة نشير إلى أننا اقتصرنا في دراستنا في هـــــذا الفصل (الأسلوب وجمالية البديع) على المحسنات البديعية الثلاثة المشهورة (السجع ، الجناس ، الطباق) و هذا لأنها الســـمة الغالبة في السور القرآنية و كذا شهرتها فضلا على إدراكنا أن القرآن الكريم، يجعل التزيين بالألفاظ في المرتبة الثانية و الوفاء بالمعنى في المرتبة الأولى .

---

[1] – عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، ط1، 2000 م، ص16 .

السجـــــع

يعتبر السجع من المحسنات البديعية اللفظية الذي يستعمل في تزيين الكلام كما يعد أكثر ألوان البديع استعمالا و شهرة.

السجع لغة : الاستقامة، جاء في لسان العرب :« سجع، يسجع، سجعا : استوى و استقام و أشبه بعضه بعضا (...) و السجع : الكلام المقفى، و الجمع أسجاع و أساجيع و كلام مسجع، و سجع يسجع سجعا و سجع تسجيعا : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن »[1]، و جاء في « القاموس المحيط » « السجع :الكلام المقفى أو موالاة الكلام على روي (...) و كمنع :نطق بكلام له فواصل (...) و الحمامة :رددت صوتها (...) و سجع ذلك المسجع : قصد ذلك المقصد، و الساجع : القاصد في الكلام و غيره و الناقة الطويلة أو المطربة في حنينها، و الوجه المعتدل الحسن الخلقة »[2].

السجع: اصطلاحا : هو « تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد »[3]، وعرفه «الخطيب القزويني » بقوله:« السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحـــد و هـــذا معنـــــى قـــــول السكاكي : الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر »[4].

و قد كان السجع متداولا بكثرة عند العرب في أيام جاهليتهم و قبل ظهور علوم البلاغة التي هـــي وليدة التأثر بالقرآن الكريم، وقد نهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن السجع عندما قضى في جنين امرأة ضربتها امرأة أخرى فسقطت ميتة فقال رجل منهم :« كيف ندي من لا شرب و لا أكل، و لا صـــاح فاستهل، مثل دمه يطل؟ فأجاب الرسول صلى الله عليه و سلم :« إياكم و سجع الكهان – و في رواية – أسجعا كسجع الكهان »[5]، و لقد أطال النفس علماء البلاغة في حديثهم عن السجع و أقسامه و أنواعــه وهذا وفق ضوابط و قوانين أجهدوا أنفسهم في وضعها، كما اشترطوا لجماله شروطا حددوها، ثم إنهـــم تعاملوا مع السجع كتعاملهم مع الشعر؛ فاستعملوا مصطلحات الـــوزن و القافيـــة و الـــروي، كمـــا أن

---

[1] – ابن منظور لسان العرب ، ج7، مادة السجع ، ص128 .

[2] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص654.

[3] – ابن الأثير ضياء الذين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تق و تع، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطبع و النشر، الفجالة، القاهرة، دط، دت، ج1، ص210 .

[4] – القز ويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة و المعاني، و البيان و البديع، تح، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 1416 هـــ، 1996 م، ص442 .

[5] – مسلم محمد بن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1995م، ج3، ص1309.

شواهدهم جاءت في معظمها من القرآن الكريم، و السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، هل نتعامل مع السجع كتعاملنا مع الشعر؟ أم أن السجع محسن بديعي خالص ؟

من المعروف أن السجع عرفه العرب مند العصر الجاهلي و خاصة عند الكهان و الخطباء، لقيمته الفنية فقد تحدث عنه رواد البلاغة القدامى كثيرا للدلالة على انتشاره الواسع في كلام العرب، ليخلصوا إلى أن السجع عبارة عن ذلك الإيقاع الصوتي و الحرفي الذي ينتجه حسن تقسيم الكلام إلى أجزاء قد تكون متساوية و قد تختلف و ربما هذا الكلام هو الذي يقصده « ابن خلدون » بقوله : « هو الذي يؤتى به قطعا، و يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا »[1].

فحلاوة الألفاظ المسجوعة و قوتها و لطافتها تكون مكملة للمعنى أولا ،لأن الجري وراء الزخارف اللفظية و السعي وراء السجع سينسي صاحبه حتما في المعنى الذي يريده، و يفتح على نفسه باب التكلف الممقوت، فضلا على أن كلامه لا يلقي قبولا عند المتلقي « فإذا رأى المتكلم أنه ملزم على التسجيع بألفاظ مخصوصة – رغم عدم وفائها بالمعنى– وقع في الاستكراه، و أصبح أقرب من الوقوع في الخطأ، واجتلاب الذّم »[2].

فعلى كل متكلم أن يستعمل السجع خدمة للمعنى، خاصة إذا كان هذا الأخير هو الذي طلبه واستدعاه، و هذا ما سنتناوله بالتفصيل فيما يأتي.

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، ص565 .

[2] – الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح، ميسر عقاد، مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004م، ص17 .

أقســـــام السجـــع

ينقسم السجع إلى أربعة أضرب:

« **1- السجع المطرّف** : و فيه تختلف الفاصلتان وزنا على أن تتفقا رويا مثل قوله تعالى ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوارًا ﴾[1].

2- السجع المتوازي :هو أن تتفق اللفظة الأخيرة من الفاصلة مع اللفظة الأخـــيرة مـــن الفاصـــلة الأخرى التي تليها في الوزن لقوله صلى الله عليه و سلم : « اللهمّ اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفـــا »[2] فاللفظتان: «خلفا» و «تلفا» متفقتان في الوزن تماما .

« **3- الترصيع** : فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها يمثل ما يقابلـــه مــــن الأخرى في الوزن و التقفية فهو الترصيع كقول الحريري : « يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، و يقرع الأسماع بزواجر وعظه»»[3].

« **4- التشطير** : هذا الضرب خاص بالشعر، و القائلون به هم الذين يرون أن السجع ليس مختصا بالنثر و معنى التشطير أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني، كقول أبي تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم   لله مرتغب في الله مرتقب .

و ينقسم السجع من حيث الطول و القصر إلى ثلاثة أقسام :

«1- أن يكون الفصلان متساويان لا يزيد أحدهما عن الآخر كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾[4] »[5].

---

[1] - نوح الآية 13-14 .

[2] - مسلم، الصحيح، ج2، ص700 .

[3] - القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ص442 .

[4] - الضحى : الآية 9-10 .

[5] - ابن الأثير : المثل السائر في الأدب الكاتب و الشاعر، ج1،ص255 .

« 2- أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا فإنه يقبح عند ذلك و يستكره و يعد عيبا ...»[1] و من أمثلة الطول المقبول قول الإمام «علي رضي الله عنه» يخاطب أتباعه المتخاذلين : « ... يرتج عليكم حواري فتعمهون، و كأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون »[2].

« 3- أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، و هو عندي عيب فاحش و سبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الأول، فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها »[3].

و يلخص « ابن الأثير » كلامه عن السجع طولا وقصرا فيصنفه إلى صنفين :

« 1- **سجع قصير** : هو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة و كلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع »[4].

« 2- **سجع طويل** : و هو ضد الأول لأنه أسهل تناولا، و إنما كان السجع من القصير أوعر مسلكا من الطويل لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الألفاظ و ضيق المجال في استجلابه، و أما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه و يستجلب له السجع »[5]، ثم يضرب « ابن الأثير » كعادته لكل صنف أمثلة من القرآن الكريم فيقول عن السجع القصير :« إن أحسنه ما كان مؤلفا من لفظتين كقوله تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً ﴾[6] (...) و منه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ أو أربعة و خمسة، و كذلك إلى العشرة، و ما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل، فمما جاء منه قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[7]»[8]، أما السجع الطويل فيصل إلى اثنتي عشر لفظة و أكثره خمسة عشر لفظة كقوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ

[1] - ابن الأثير : المثل السائر في الأدب الكاتب و الشاعر ، ج1 ، ص255 .
[2] - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تح صبري إبراهيم السيد، مكتبة رحاب، الجزائر،دط، 1989م، ص118 .
[3] - ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص257 .
[4] - المصدر نفسه، ج1، ص258 .
[5] - نفسه. ج1 ، ص 258.
[6] - المرسلات الآية:1-2.
[7] - النجم الآية: 1-3 .
[8] - ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص259.

نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[1] .

و قد يصل الطويل إلى العشرين لفظة، كقوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾[2] .

مع الإشارة إلى أن أقسام السجع التي ذكرناها في البداية هي الأقسام المشهورة عند أهل الاختصاص سلفا و خلفا .

---

[1] - هود الآية:9-10 .

[2] - الأنفال الآية :43-44 .

جمال السجع بين المؤيدين و المنكرين

جُبِلَ العرب على حبِّ الكلام المسجوع، و اعتبروه أعلى درجات الفصاحة، و هذا ليس غريبا عن أمة شاعرة كالعرب « فالكلام ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا و ذلك لما فيه من توقـع لمقـاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعا تلك السلسلة، و قد يمهر البليغ فيخـالف مـا يتوقعه السامع و كل هذا مما يثير الانتباه أو يبعث على الإعجاب و الاهتمام »[1].

و قد أنزل المولى عز وجل القرآن على النمط نفسه الذي أعجبوا به بل فاق مستوى العجب فصـار القرآن لفرط تأثرهم به ضربا من السحر كما وصفوه، و إذا كان السجع بهذه المترلة عند العرب فلا جرم أن كان الوسيلة المفضلة في الكتابة عند المتقدمين و المتأخرين فمارسه من يتقن الصـناعة و مـن لا يتقنها، وبسبب ذلك وجد للسجع أنصار وله منكرين! فما هي حجج الأنصار؟

انتصر للسجع نقّادٌ كثيرون أشهرهم «ابن الأثير» ، و اعتمدوا في ذلك على أدلة نجملها في ما يلي:

1- ورد السجع في أفصح كتاب وأبلغه في لغة العرب وهو القرآن الكريم «... فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير حتّ أنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الـرحمن وسورة القمر وغيرها، وبالجملة فلن تخلوا منه سورة من السور»[2].

2- وروده كثيرا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم و هو البالغ الحجة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «... لابن ابنته عليهما السلام «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وإنما أراد «ملمّة» لأن الأصل فيها من «ألَمّ» فهو «ملم» وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» وإنما أراد «موزورات» من الوزر، فقال «مأزورات» لمكان «مأجورات» طلبا للتوازن والسـجع، وهـذا يدلّك على فضيلة السجع »[3] .

---

[1] - إبراهيم أنيس، موسيقي الشعر : مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، 1965 م، ص13، 14 .

[2] - ابن الأثير، المثل السائر : ج1،ص210.

[3] - المصدر نفسه : ص211 .

3-إن إنكار الرسول صلى الله عليه و سلم لسجع الكهان و ليس للسجع مطلقا « ...و إن كانت دون الشعر في التكلف و الصنعة أن كهان العرب الذين كانوا أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم (...) كانوا يتكهنون و يحكمون بالأسجاع »[1].

4-« قد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم »[2].

أما المنكرون لجمال السجع فحجتهم الوحيدة أن السجع مدعاة للتكلف فتكون الغاية هي العناية بالشكل مع إهمال المعنى، من هؤلاء « ابن أبي الأصبع » الذي يقول : « و لا تجعل كلامك كله مبنيا على السجع فتظهر عليه الكلفة و يتبين فيه أثر المشقة، و تتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط، و اللفظ النازل، و ربما استدعيت كلمة للقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من أخواتها قلقة في مكانها، بل اصرف كل النظر إلى تجويد الألفاظ و صحة المعاني وأجهد في تقويم المباني »[3] كما لخّص «السيوطي » ذلك قائلا « إن أصل هذا اللفظ من «سجع الطير »، و القرآن أشرف من أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل وأشرف من أن يشارك غيره من الكلام الحادث في وصفة من ذلك، و هو من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها »[4] و من النقاد من وقف موقفا وسطا فلم يدع إلى التزامه و لا نهى عنه « كأبي هلال العسكري» الذي يقول : « واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل و الخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط، و لا يلزمك فيها السجع، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن في سجعك استكراه وتنافر»[5] و النتيجة من كل هذا أن الأدباء وقفوا من السجع هذين الموقفين المتناقضين لسببين :

أولها : نهيه صلى الله عليه و سلم عن سجع الكهان .

ثانيهما : ارتباط السجع في الغالب بالتكلف .

فأما السبب الأول فقد دحضه أنصار السجع و استشهدوا بأقوال الرسول عليه الصلاة و السلام نفسها، كما استدلوا على ذلك بوروده في القرآن مسجوعا في معظمه على رأيهم و في هذا تفصيل نرجئه

---

[1] - الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص197 .

[2] - المصدر نفسه، ص198 .

[3] - أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد العربي عند العرب ، نهضة مصر لطباعة و النشر و التوزيع دط ، 1996 ص604.

[4] - ديفن استوارت ، السجع في القرآن ، تر: ابراهيم عوض ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، دط ، 1998 م ص98 .

5 - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 152.

لما سيأتي، و لم يكتف أنصار السجع بهذا الرد بل اشترطوا شروطا محددة للسجع المقبول و إلا رفض، و من هذه الشروط :

«1- أن يكون السجع بريئا من التكلف، خاليا من التعسف، محمولا على ما يأتي به الطبع و تبديه الغريزة، و يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى (...) حتـــى لو حصلت زيادة أو نقص بســبب الســجع دون المعنـــى، خرج السجع من حيز المدح إلى حيز الذَّمِ »[1].

2- حسن تركيب الألفاظ و طلاوتها و جمال المعاني و حلاوتها .

3 - « أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليـــه أختها، لأن اشتمال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون في إحداهما بمفردها هو عين التطويـــل المذموم في الكلام»[2].

4- المشاكلة بين فواصل الأجزاء .

5- « أن يقع في خلال السجعة الطويلة قرائن قصار فتكون سجعا في سجع »[3] و هذا النوع يوجد بكثرة في القرآن الكريم يقول المولى عز و جل : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَـــلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[4] ؛ فقوله تعالى « عَلَى أَمْوَالِهِمْ » و قوله « عَلَى قُلُوبِهِمْ » سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها « حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ».

كما أنهم حصروا قبيح السجع في صورتين :

أ- أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة عن فاصلة الجزء الثاني .

ب- أن يضطر إلى إطالة الجزء الثاني لأن الأول ورد طويلا .

أما عن السبب الثاني في إنكار السجع و هو ارتباطه بالتكلف فهذا الأمر لا يقتصر علـــى الســـجع فقـــط، و إنما ينطبق على كل ما له صلة بالكتابة الأدبية، إذ الأصل فيها أن تصدر عن موهبة لا عن تكلف

---

[1] - القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، دط، دت، ج2، ص280 .
[2] - المصدر نفسه، ص280 .
[3] - نفسه، ص281 .
[4] - يونس الآية : 88.

وتصنع، و الذي نفرَّ الكثيرين من السجع هو قراءتهم لما يكتبه الدخلاء و المتطفلون على الأدب، فالسجع إذا ليس مذموما في ذاته، و إنما يذم إذا استعمل من طرف من لا يحسنونه، و في هذا الصدد يجذر بنا أن ننبه على أمر دقيق يتعلق بالتكلف نفسه، إذ من المشهور أن التكلف وسيلة مؤقتة للتمرس و التدرب على الفن المبتغى ، لذلك يطلب من الأدباء الناشئين أن يتكلفوا ليتمكنوا، فالمواهب ملكات تحتاج إلى صقل وتدريب و لا يجب أن يستمر التكلف بالأديب الناشئ طويلا لأن ذلك يعدُّ منقصة فيه ، و من ناحية أخرى يمكن أن نلمس نوعين من التكلف : تكلف خفي و آخر جلي، فأما الخفي فهو الذي ستره صاحبه بالمعاني اللطيفة والإشارات النادرة و الصور البديعية، فينشغل القارئ بلطافة المعنى و جمال الإشارة و روعة الوصف، ولنأخذ لذلك مثالا يقول « الحريري » في إحدى مقاماته على لسان « أبي زيد السروجي» : « قال : يا رواة القريض و أساة [*]القول المريض ، إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك، و يد الحق تصدع رداء الشك، و قد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان »[1] .

لا شك أن القارئ الحذق سيتجاوب مع هذه الكلمات مع ما فيها من تكلف لا يخفى على أحد لكنه تكلف مستور للأسباب التي سبق ذكرها .

أما الجلي و يمكن تسميته بالتكلف المفضوح هو الذي لا يحمل غاية إلا أن يكون الكلام مسجوعا.

نستنتج من كل ما سبق أن السجع زينة الأسلوب العربي ، ارتبطت به الكتابة العربية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر، و هذا هو السجع الذي يقصده « عبد القاهر الجرجاني » عندما حدد جماله مع الجناس فقال : « ...و على الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا و لا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه، و حتى تجده لا تبتغي به بدلا و لا تجد عنه حولا »[2].

فانجذاب النفس و إصغاء الأذن للكلام الجميل مسألة معروفة لذلك نجد أن حفظ الشعر مثلا أيسر من حفظ النثر، و حفظ النثر المسجوع أسهل من النثر المرسل فكلما كان الكلام بذلك النغم الموسيقي العذب كلما وجد في النفس الأثر الخلاب .

(*) – أساة : أطباء .

[1] – أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، تح أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1418 هـ،1998 م،ج1، ص101 .

[2] – الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة، تح محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، دط، 2001 م، ص12 .

القرآن و السجع

هذه القضية قديمة قدم الدراسات القرآنية لكن الهدف من طرحها الآن هو أن نبين كيفية التعامل مع النص القرآني، هل نستعمل مع القرآن المصطلحات نفسها التي تستعمل مع غيره ؟ أم أن للقرآن مصطلحاته الخاصة ؟

بعد أن فصلنا القول في السجع و أبرزنا القول و الرأي عند المؤيدين و المنكرين اعترضتنا مسألة مهمة جدا تتمثل في استدلال أنصار السجع بورود الكثير من سور القرآن مسجوعة على شاكلة سور : الرحمان، النجم، القمر، الشمس ...الخ ، و هنا لا بد من التساؤل : هل في القرآن سجع ؟.

و قد اختلف المشتغلون بالمسألة بين ناف للسجع في القرآن و بين مثبت له، أو كان رأيه بين النفي والإثبات، و هنا لا يعنينا حصر قائمة بأسماء المثبتين أو المعارضين، إنما الأهم إدراك حجج من نفى السجع عن القرآن و حجج من أثبته، فأما الذين نفوا السجع عن القرآن فيأتي على رأسهم « أبو بكر الباقلاني » اعتمدوا على الأدلة التالية :

1- السجع مرتبط بلغة الكهنة، فكيف ينسب للقرآن ما ينسب للكهنة يقول الباقلاني : « ... و لو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز، و كيف و السجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات، و ليس كذلك الشعر »[1].

2- للسجع عند الكتَّاب قوانينه و ضوابطه إدا خرج عنها كان قبيحا، أما ما ورد في القرآن فلم يتقيد بتلك القوانين، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾[2] الملاحظ أن السجعة الثانية أقصر من الأولى، و هذا في نظرهم مرفوض، لكنه في القرآن جميل، قال الباقلاني: «...لو كان الذي في القرآن على ما تقدرنه سجعا، كان مذموما مرذولا، لأن السجع إدا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام، و للسجع منهج مرتب، محفوظ، و طريق مضبوط متى أخل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه و نسب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود ، كان مخطئا ، و كان شعره مرذولا و ربما أخرجه عن كونه شعرا »[3].

---

[1] – الباقلاني أبوبكر ، إعجاز القرآن تح عبد الرحمن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2001 م، ص49 .

[2] – الواقعة الآية: 65- 66 .

[3] – الباقلاني أبو بكر ، إعجاز القرآن، ص49-50.

3 – للقرآن أسلوبه المتميز الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله و « ...فواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه و بين سائر الكلام فيها و لا يتناسب »[1].

4- إن القول بسجع القرآن يعنى القول برأي المعتزلة في إعجازه فهو برأيهم إعجاز بالصرفة و ليس إعجاز بالبيان إذ « ...لا بد لمن جوز السجع فيه و سلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظام، وعياد بن سلمان ، و هشام القرظي، و يذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن و تأليفه إعجاز، و أنه يمكن معارضته، و إنما صرفوا عنه ضربا من الصرف »[2].

5-« ... لا يقال في القرآن الكريم أسجاع رعاية للأدب و تعظيما و تتريها له عن التصريح بما أصله في الحمام التي هي من الدواب العجم »[3].

أما أدلة القائلين بسجع القرآن فتتلخص في أمرين :

أولا : الرد على أدلة الباقلاني .

ثانيا : رفض إقحام الدين في البلاغة .

فأما الردود على الباقلاني فمما جاء فيها

1- «السجع ليس مرتبطا بلغة الكهنة و الرسول صلى الله عليه و سلم ما نهى عن السجع لظاهره و إنما لمضمونه الذي يتنافى و شريعة الإسلام »[4].

2-«إثبات السجع في القرآن صحيح، لأنه مما يبين به فضل الكلام، و لأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان و الفصاحة كالتجنيس و الالتفات »[5].

3- القول بسجع القرآن لا يلزم القول بالصرفة، لأن المثبتين للسجع يرون أن ما ورد منه في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان و فاق كل أسجاع الساجعين، كما يؤمنون بأن سر إعجاز القرآن هو نظمه البديع وبلاغته الرائعة المحارة لجميع بلاغات العرب .

---

[1] – المصدر نفسه، ص51 .

[2] – نفسه، ص54 .

[3] – محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2، 2000م، ص111 .

[4] – الجاحظ، البيان و التبيين، ج1،ص196 .

[5] – محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص114 .

ثانيها : رفض إقحام الدين في البلاغة، و هذا أمر واضح لا يحتاج إلى بيان، إذ ما معـــنى أن القـــول بسجع القرآن يحتاج إلى إذن شرعي ؟ أو أن ما فيه فواصل و ليس سجعا والدليل قوله عز و جل : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

و هناك من يروى أحاديث للرسول صلى الله عليه و سلم ينهى فيها عن الســـجع في الـــدعاء أمـــا الطائفة الثالثة التي لم تقل بالنفي و لا بالإثبات فلا يعنينا أمرها لأنها لم تجب إجابة محددة على السؤال: هل في القرآن سجع ؟ ولو تأملنا أدلة النافين و أدلة المثبتين حتى نرى أي الفـــريقين أقـــوى برهانـــا و أدمـــغ حجـــــة، فإننا نلاحظ إن أدلة المثبتين كانت ردا على الباقلاني نفسه، و لذلك يحق لنا أن نطـــرح هـــذا السؤال :

إلى أي مدى نجح الباقلاني في إثبات صحة دعواه ؟.

الباقلاني أشعري كما هو معلوم و أقام الأشاعرة مذهبهم ردا على المعتزلـــة و دحضـــا لآرائهـــم وشبهاتهم، فلا غرو أن تكون الثورة التي أعلنها على القائلين بسجع القرآن هي في حقيقتها ثـــورة علـــى المعتزلة أكثر مما هي ثورة على النقاد و الأدباء لأنه يصرح في دليل من أدلته من أن القائل بسجع القـــرآن يلازم القول بالصرفة[*] .

أما باقي الأدلة فيسهل ردها كما فعلت طائفة المثبتين، لكن أو لم يكن الباقلاني على حق عندما دافع عن رأيه ، من باب إثبات الإعجاز البياني في القرآن الكريم ؟! إن كلامه يفيد أنه يريد أن يطلق على سجع القرآن مصطلحا آخر لكنه لم يفصح عنه أو فشل في إيجاد المصطلح البديل و بالإمكان إثبات ما دافع عنـــه بالأسباب التالية:

1- أدرك النقاد جمالية السجع و أثره في الأسلوب، و من أجل أن يكون ميزة في الكـــلام ولـــيس عيبا فيه ربطوه بشروط، و جعلوا له ضوابط، هذه الشروط و الضوابط قد لا تتحقق في القرآن الكـــريم فمن شروطهم أنه لا ينبغي أن يكون دور اللفظة هو تحقيق السجع فقط بل يجب أن يكون لها أثر في المعنى لكن المتأمل لسورة الناس يلمس تكرار لفظ «الناس » باستثناء الآية الرابعة التي تنتهي بلفظ « الخناس ».

---

[1] – هود الآية: 1.

[*] – القول بالصرفة هو رأي شيخ المعتزلة «النظام » و من هم على شاكلته، و هو أن المولى عز وجل صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارق للمادة و فسرها البعض أن المولى عز و جل سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن .

و بهذا التكرار للفظ «الناس»يتحقق ذلك النغم الصوتي الجميل، و أنصار السجع يرفضـــون هـــذا التكرار؛ و بما أنهم يشترطون أن تكون الكلمة تنتهي بخلاف الكلمة السابقة أو اللاحقة، و هـــذا يقتضـــي بالضرورة اختلافا في المعنى و هكذا لا تنسجم آراؤهم مع القاعدة التي وضعوها، و الحال نفسه مع ســـورة الضحى حيث تنتهي بـــ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] فهل هذا يؤثر على جمال السورة برمتها ؟ خاصة إذا أخذنا برأي «ابن الأثير »الذي يشترط المشاكلة بين الفاصلتين، أم أن جمال الإيقاع سيشـــكل لنـــا في الأخير جمال المفاجأة !

2- إن تطابق الكلام المسجوع لدى الكتاب مع طريقة النظم في القرآن لا يعـــني بالضـــرورة أنـــه هـــــو، أي ليس شرطا أن يسمى سجعا، بدليل ورود الكثير من الآيات القرآنية على أوزان شعرية والمولى عز وجل يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[2]؛ فهل يقال هذا شعر؟

3- جمال ما ورد في القرآن على شاكلة السجع ليس مرده إلى جمال الشكل و لا قوة المعنى فقط، إنما هناك سر آخر يختص به القرآن، و ما المعارضات التي وصلتنا من طرف أصحاب الهـــوى « كمســـيلمة الكذاب » و «أبي العلاء المعري »لخير دليل على ما نقوله، فمعارضاتهم كانت سطحية ليست عليها طلاوة القرآن فضلا على أنهم صاروا موضعا للسخرية و التهكم عبر التاريخ .

و نافلة القول من كل ما أردنا الوصول إليه أن السجع إذا ما ورد في غير القرآن فهو سجع دون شك، لكن إذا ورد شبهه في القرآن فإننا نحتاج إلى مصطلح آخر نطلقه على سجع عليه طلاوة القرآن، هذا المصطلح هو الفاصلة التي سنتناولها بالتفصيل فيما سيأتي.

---

[1] - الضحى الآية :11 .

[2] - يس الآية: 69 .

الجنـــــاس

يعتبر الجناس من لطائف الكلام الذي تتوق و تتشوق النفس إليه :

الجناس : **لغة** : جاء في لسان العرب : « جنس (الجنس) : الضرب من كل شيء، و هو من الناس والطير و من حدود النحو، و العروض، و الأشياء جملة (...) و الجنس أعم من النوع، و منــه المجانســة والتجنيس، و يقال هذا يجانس هذا أي يشاكله »[1].

اصطلاحا : الجناس من المحسنات البديعية اللفظية ، فقد عده : « ابن المعتز»في كتابه البـديع ثـاني أبواب البديع الخمسة الكبرى، و قدم أمثلة للحسن و المعيب منه وقد عرفه بقوله : « هو أن تجيء الكلمة تجانس الأخرى في بيت شعر و كلام، و مجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها »[2] كما يقـال لـه: «التجنيس والتجانس و المجانسة،و معناه أن يحدث تجانس أي تشابه بين كلمتين في النطق و يكون معناهـا مختلفا »[3]، كما نريد التنبيه إلى شيء مهم جدا و هو أن معظم الدارسين قدماء و محدثين يرون أن الجنـاس «...من الحلي اللفظية و الألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، و تحدث في نفسـه مـيلا إلى الإصغاء و التلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة و مستساغة، فتجد من النفس القبول وتتأثر به أي تأثير، و تقع من القلب أحسن موقع »[4].

فالمتأمل في التعريف الأول « لابن المعتز» يجده يقتصر على تشابه الكلمات في تأليف حروفها، لكنه لم يفصح عما إذا كان هذا التشابه يتعدى إلى المعاني .

أما « عبد القاهر الجرجاني » فقد فصل في هذا الأمر بقوله : « أما التجنيس فإنـك لا تستحسـن تجانس اللفظتين إلا إذا وقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمـى بعيـدا (...) فقد تبين لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة، أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، و لما وجد فيه معيب مستهجن و لذلك ذم الاستكثار منه و الولوع به »[5] و نفهم من هذا الأخير أن الجناس لا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، و نضيف إلى ذلك تعريفا آخر ينسب إلى « الخليل بن أحمد الفراهدى» يقول فيه : « ...الجناس لكل ضرب من الناس و الطير و العروض و النحو

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص215 .

[2] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص354 .

[3] – محمود المراغى، علم البديع، ص109 .

[4] – عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة، دط، 2000م، ص161 .

[5] – الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001 م، ص15 .

فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها و معناها ، ويشتق منها قول الشاعر : يوم خلجت على الخليج نفوسهم أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] »[2].

و هناك من يرى بأن الجناس عبارة عن « ...تشابه الكلمتين في اللفظ ، مع اختلافهما في المعنى وفائدته أن يميل السامع إلى الإصغاء، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا و إصغاء إليها، و لأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى، ثم جاء و المراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه »[3] .

و على هذا الأساس يمكننا أن نعتبر الجناس هو تشابه اللفظتين في النطق مع اختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان يسميان « ركني الجناس » و لا يشترط فيه تشابه جميع الحروف بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة.

---

[1] - النمل الآية :44 .

[2] - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص613 - 614 .

[3] - محي الذين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ص551 .

أقسام الجناس

ينقسم الجناس إلى نوعين، جناس لفظي و آخر معنوي، و الجناس اللفظي هو بـــدوره ينقســـم إلى قسمين : تام، غير تام .

1- الجناس التام :

« ...أن تتفق الكلمتان في أربعة أشياء : 1- في نوع الحروف، 2- و في الشكل – الهيئة الحاصـــلة من الحركات و السكنات، 3- في العدد، 4- في الترتيب »[1] و يعده البعض من أكمل أنواع الجناس إبداعا و أسماه رتبة، كما أجمع الدارسون أن هذا النوع من الجناس يتفرع إلى ثلاثة أقسام هي: المماثل، و المستوفي و جناس التركيب.

« أ : **الجناس المماثل** : يكون اللفظان من نوع واحد، اسمين أو فعلين أو حرفين .

*فمن أمثلة الجناس المماثل بين اسمين قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[2]، إذ تدل « الساعة » الأولى على يوم القيامة بينما تدل الأخرى على مطلق الوقت .

* و من أمثلة الجناس « المماثل» بين « فعلين» قول الشاعر :

قوم لو أنهموا ارتضوا لما قرضوا   أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

« فشعروا » الأولى بمعنى « أحسوا » و « شعروا » الثانية بمعنى نظموا الشعر .

* و من أمثلة الجناس المماثل بين « حرفين » نحو قولك : قد يترل المطر شتاء و قد يترل صيفا» فلفظة « قد» الأولى للتكثير و الأخرى للتقليل، بدليل كثرة نزول المطر شتاء و قلته صيفا»[3].

ب- الجناس المستوفي :« هو ما كان اللفظان فيه من نوعين مختلفين، كاسم وفعل أو بأن يكـــون أحدهما حرفا و الآخر اسما أو فعلا .

---

[1] - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1421 هـــ، 2000 م، ص297.

[2] - الروم الآية: 55 .

[3] - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص617 .

*و من أمثلة الجناس المستوفي بين الاسم و الفعل قول الشاعر :

إذا رماك الدهـــر في معشر	و أجمع الناس علـــى بعضهم
فدارهم ما دامت في دارهم	و أرضهم ما دمت في أرضهم

فلفظة «دارهم» الأولى عبارة عن فعل أمر من المدارة، و« دارهم » الثانيـــة هـــي اســـم للبيـــت «أرضهم» هي فعل أمر من الإرضاء، و أرضهم الثانية هي اسم للأرض .

ج- جناس التركيب : و هو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة ، و الأخرى مركبة من كلمتين وهذا النوع من الجناس يأتي على ثلاثة أضرب هي كما يلي :

ج1- المتشابه : أن يتشابه ركناه لفظا و خطا، و من أمثلته قول الشاعر :

يا سيـــدا حـــاز رقـــــى	بـــما حبانـــي و أولـــى
أحسنت بـــرا فقـــل لي	أحسنت في الشكر أو لا ؟

فالجناس بين «أولى» و هي كلمة مفردة فعل بمعنى منح و أعطى، بينما «أولا » هي كلمة مركبة من «أو »العاطفة و« لا» النافية »[1].

ج2- المفروق : « و يحدث إدا تشابه ركناه أي الكلمة المفردة و الأخرى المركبة لفظـــا لا خطـــا ومثاله قول الشاعر :

«لا تعرضن على الرواة قصيـــدة	ما لم تكـــن بالغت في تهذيبها
و إذا عرضت الشعر غير مهذب	عدوه منك وساوسا تهذي بها »[2].

فالجناس بين «تهذيبها» و« تهذي بها» و هما متشابهان لفظا لا خطا مع اختلافهما في المعنى.

ج3 – الجناس المرفّو : و هو ما يكون فيه أحد الركنين كلمة و الآخر مركب من كلمة و جزء من كلمة، و مثاله قول الشاعر :

---

[1] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص617 .

[2] – أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص355 .

و المكر مهما استطعت لا تأته   لتقتني السؤدد و المكرمـــة

فهذا الجناس ركنه الأول مركب من كلمة و جزء من كلمة ، هما لفظة« المكر» و الميم و الهاء مـــن «مهما» ، و الثاني كلمة مفردة هي« المكرمة »[1] و هذا النوع لا يخلو من تعسف و تكلف مقارنة بالنوعين السابقين .

و بهذا نكون قد انتهينا من الجناس التام و أقسامه ، لننتقل إلى الجناس غير التام بمختلف فروعه .

2- **الجناس غير التام** :هو الذي يختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام ، و هي : أنواع الحروف ، و عددها و ترتيبها و هيئتها .

1- إذا اختلف اللفظان في أنواع الحروف : و يشترط فيه أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حـــرف ويأتي على وجهين هما :

«**أ- جناس مضارع** : إذ يكون فيه الحرفان المختلفان متقاربي المخرج .

«كقول الحريري :« بيني و بين كن ليل دامس و طريق طامس »»[2] و لا مانع أن يقع الاختلاف بين الحرفين في وسط الكلمة أو في نهايتها .

«**ب- جناس لاحق** :و هو على عكس السابق، إذ يكون الاختلاف بين حـــرفين غـــير متقـــاربي المخرج، كما في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[3].

2- **إذا اختلفت اللفظتان في عدد الحروف** : يسمى بذلك ناقصا ، و يرجع هذا النقصان لأحـــد اللفظين عن الآخر، و نجده يأتي على نوعين :

أحدهما : ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بحرف واحد، و يكون في الأول أو في الوســـط أو في الآخر، ومثاله قول الشاعر :

و سألتها بإشـــارة عـــــن حالـــها   و علـــيّ فيها للوشاة عيون

[1] - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص622 .
[2] - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، 356 .
[3] - الضحى الآية:9-10 .

فتنفست صعدا و قالت :ما الهـــوى ؟   إلا الهـــوان فزال عنه النون »[1].

ثانيها : ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بأكثر من حرف واحد في آخره .

و يسمى جناسا مذيلا، « ...و من أمثلته شعرا قول أبي تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم   تصول بأسياف قواض قواضب .

أو قول حسان بن ثابت :

و كنا متـــى يغزو النبـــي قبيلة   نصل جانبيها بالقنا و القنابل»[2].

3- إذا وقع الاختلاف في هيئة الحروف الحاصلة من الحركات و السكنات و النقط : و في هذه الحالة يأتي على ضربين هما : المحرّف و المصحّف .

«**الجناس المحرف** : و هو الذي يتفق ركناه، في عدد الحروف و ترتيبها و يحصل الاخـــتلاف في الحركات فقط، سواء كان بين اسمين أو فعلين أو بين اسم و فعل أو من غير ذلك، فالقصد اخـــتلاف الحركات : ومثاله موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ؛ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾[3]، فاللفظ الأول هم الفاعلون و يعني الرسل، و الثاني المفعولين، و هم الذين وقع عليهم الإنذار»[4].

«**الجناس المصحف**: فهو ما تماثل ركناه وضعا واختلفا نقطا، بحيث لو زال إعجام أحـــدهما لم يتميز عن الآخر (...) كقول أبي فراس :

من بحر شعرك أغترف   و بفضل علمك أعترف»[5].

---

[1] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص624 .

[2] – محي الدين الدرويش، إعراب القرآن و بيانه، ج4، ص 555.

[3] – الصافات الآية : 72-73 .

[4] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص626 .

[5] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص228 .

«4 – **إن اختلفت اللفظان في ترتيب الحروف** : و يسمى بذلك« جناس القلب» و يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة و لا نقص و يخالف أحدهما الآخر، و هذا النوع من الجناس يأتي على أربعة أضرب هي :

أ– قلب الكل : و قد ورد في قول الشاعر :

حسامك فيه للأحباب فتح   و رمحك فيه للأعداء حتف .

فجناس« قلب الكل »بين« فتح » و «حتف ».

ب– قلب البعض : و هو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب بعض الحروف، و مثاله في الشعر العربي قول «عبد الله بن رواحة» في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

تحمله الناقة الأدماء معتجرا كالبرد   كالبدر جلا نوره الظلما »[1].

فالجناس وارد بين «البرد »الذي يعني الثوب ، و «البدر» الذي يعني القمر ،

«**ج– قلب مجنح** : و هو ما كان فيه أحد اللفظين الذين وقع بينهما القلب في أول البيت والثاني في آخره، كأنهما جناحان، و من أمثلته قول شمس الدين محمد بن العفيف :

أسكرني باللحظ و المقلة الـــ   كحلاء والوجنة و الكاس

ساق يريني قلبـــه قســـــوة   و كـــــل ساق قلبه قاس

فالجناس هنا بين كلمة « ساق» في أول البيت، و« قاس » في آخره .

د–قلب مستو : و في هذا النوع يمكن قراءة لفظي الجناس من اليمين و الشمال دون أن يتغير المعنى و سمي عند بعضهم المقلوب .

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2].

---

[1] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص630-631 .

[2] – المدثر الآية :3 .

و من أمثلته في الشعر كذلك قول الشاعر :

ليل أضـــاء هلالـــه   أنى يضيء بكوكب»[1].

فنلاحظ أن كل كلمة في هذا البيت تقرأ مستوية و مقلوبة، و هو مما لا يستحيل بالانعكاس، و بهذا القدر نكون قد استوفينا الجناس اللفظي بكل أنواعه و فروعه، لنعرج بعد هذا على الجناس المعنوي.

الجناس المعنوي:

يعرف الجناس المعنوي بأنه : «مجرد صناعة مضنية، و قد يأتي حسنا، و هو أن يفسر المتكلم ركـــني التجنيس ، و يذكر ألفاظا مرادفة لأحدها ، فيدل المظهر على المضمر »[2].

و نلاحظ أنه يأتي على نوعين: الأول يدعى جناس الإضمار: «و هو أن تأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظا آخر ، وذلك اللفظ المحضر يراد غير معناه بدلالة السياق كقول الشاعر :

منعم الجسم تحكي الماء رقته   وقلبه قسوة يحكي أبا أوس .

فأوس شاعر مشهور من شعراء العرب ، واسم أبيه حجر ، فلفظ «أبي أوس »يحضر في الذهن اسمـــه وهو «حجر »، وهو غير مراد ، وإنما المراد الحجر المعلوم »[3].

و النوع الثاني ويسمى جناس الإشارة :« وهو ما ذكر فيه أحد الركنين ،و أشير للآخر بما يدل عليه وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به نحو قول الشاعر :

يا حمـــزة اسمح بوصـــل   و امنن علينا بقـــرب

في ثغرك اسمك أضحـــى   مصحفـــا و بقلبـــي

فقد ذكر أحد المتجانسين و هو حمزة ، و أشار إلى الجناس فيه بأن مصحفه في ثغره ، أي حمزة وفي قلبه ، و المهم أنه لا يستحسن ، الكلام إلا إذا جاء فيه الجناس عفوا و سمح به الطبع من غير تكلف»[4].

---

[1] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية ص632 .

[2] – محي الذين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ص552 .

[3] – أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص393 .

[4] – المرجع نفسه ص 330.

الجناس في سورة الكهف:

ورد الجناس في هذه السورة في مواضع مختلفة، لكنه بدرجة أقل مما رأيناه في الطباق مــثلا، فنجــد «الجناس في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِــن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[1] »[2].

فالجناس بين « قاموا » و« قالوا » و هو جناس غير تام، وذلك لاخــتلاف اللفظــين في أنــواع الحروف، و إذا حاولنا التدقيق أكثر نقول أنه جناس مضارع بوقوع الاختلاف بين حــرفين متقــاربين في المخرج أي بين « اللام» و « الميم »في الفعلين .

*هناك جناس آخر في قوله تعالى : ﴿قالوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِــي الأَرض فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[3] ؛ فالجناس في هذه الآيــة بــين «يــأجوج » و«مأجوج» لاختلاف اللفظين في أنواع الحروف .

و بالضبط بين حرفين متباعدين في المخرج، و لهذا يمكن أن نقول أنه جناس لاحق .

* ورد الجناس الناقص في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَــبُونَ أَنَّهُــمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4] »[5»، فهو جناس بين « يحسبون » و « يحسنون » و هو غير تام ، و هو في معناه الدقيق جناس مصحّف، نظرا لتماثل ركنيه وضعا و اختلافهما نقطا بين الفعلين السابقين .

---

[1] – الكهف الآية: 14 .

[2] – محمد علي الصابوني، تفسير القرآن الكريم (الكهف، مريم، يس)، مكتبة الغزالي، دمشق، ط1، 1401 هــ، 1981م. ص19 .

[3] – الكهف الآية: 94 .

[4] – الكهف الآية: 104 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 49.

الطبـــــاق

الطباق لغة: جاء في قاموس « المحيط » «... الطبق من كل شيء : ماساواه و قد طابقـــه طباقـــا ومطابقة (...) وطابقه بين قميصين: لبس أحدهما على الآخر، و السماوات طباق ،ككتاب لمطابقة بعضها بعضا»[1].

وله تعاريف لغوية أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، إذ «يقال لها أيضا التطبيق والطباق والتضاد والمطابقة في أصل الوضع اللّغوي أنّ يضع البعير رجله موضع يده، فإذا فعل ذلك قيل: طابقه البعير.

و قال الأصمعي المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات أربع، وقال الخليل بن أحمد: طابقت بين الشيئين، إذا جمعت بينهما على حدّ واحد وليس بين التسمية اللّغوية و التسمية الاصـــطلاحية أدنى مناسبة »[2] .

اصطلاحا: الطباق من صور البديع المعنوية الّتي لقيت اهتماما كبيرا من البلاغين القدماء، و هو نوع من علم البديع الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام. وهو عبارة عن« لفظان متضادان في الدلالة متعاونان في إيضاح المعنى وجمال العبارة، و يتوقّف ما في العبارة من ثراء على التوتر الذي توحي به ألفاظها و العلائق الّتي تربط بين عناصرها، و ما بينها من تقارب، أو تنافر، وفي أكثر الأحيان لا يبرز المعنى جليّا إلا إذا قورن بضدّه...»[3].

كما يصطلح عليه رجال البديع ب« الجمع بين الضدّين أو بين الشيء و ضدّه في كـــلام أو بـــين شعر»[4] ، ويقصدون بذلك الجمع في الكلام معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل «... تقابل بالتّضاد أو بالإيجاب أو العدم والملكة أو التضايف،أو ما شابه ذلك، و سواء كان ذلك المعنى حقيقيّـــا أو مجازيّـــا»[5].
وكون الجمع بين التقابلين إما:

---

[1] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادّة طبق، ص916.

[2] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص494-495.

[3] – الصفدي أبي الصّفاء خليل بن أيبك ، الروض الباسم والعرف الناسم، تح محمّد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1425هـــ، 2005م، ص35.

[4] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص 495.

[5] – أحمد مصطفى المراغي، جواهر البلاغة، ص 303.

« أ- بلفظين من نوع واحد كالجمع بين اسمين متضادين من مثل :«الخير و الشر» «الحسنة والسّيّئة» «الأوّل و الآخر» كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾[1]. أو بين فعلين متضادّين من مثل: «تؤتى وتترع» ، «تعزّ وتذل»« يموت ويحيى» نحو قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

وقوله أيضا: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾[3]، أو بين حرفين متضادين من مثل: لها وعليها نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[4]»[5]، و قوله أيضا: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[6]؛ فالجمع بين حرفي «اللاّم و على» مطابقة لأن في اللاّم معنى المنفعة وفي «على» معنى المضرّة وهما متضادّان، ومثله قول الشّاعر:

على أنّني راض بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا عليَّ ولاليّا»[7].

ب- بلفظين من نوعين كالجمع بين معنيين مختلفين «كأن تكون لمطابقة بين اسم و فعل نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[8]، « و نحو ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[9] »[10].

«و قال « زكي الدّين بن أبي الأصبع » « المطابقة ضربان : ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز؛ فالضّرب الذي يأتي بألفاظ الحقيقة هو ما يسمّى بالمطابقة أو الطباق(...) و الضرب الّذي يأتي بألفاظ المجاز يسمّيه «قدامة بن جعفر» « التكافؤ» ومنه قول الشاعر:

حلو الشمائل و هو مر باسل ... يحمي الديار صبيحة الإرهاق

---

[1] - الحديد الآية: 3 .

[2] - آل عمران الآية: 26 .

[3] - الأعلى الآية: 13 .

[4] - البقرة الآية: 228.

[5] - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص303 .

[6] - البقرة الآية: 286.

[7] - عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية ص 495.

[8] - الرعد الآية: 3.

[9] - الأنعام الآية: 122.

[10] - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص303.

فقوله:(حلو، مر) يجري مجرى الاستعارة إذ ليس في الإنسان و لا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق»[1].

« أما المطابقة عند «قدامه» و من اتبعه فهي اجتمـاع المعنـيين المخـتلفين في لفظـة واحـدة مكرّرة، كقول زياد بن الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل   و للؤم فيهم كاهل و سنام

فاللّفظة المكرّرة هنا هي «كاهل » و معناها في الشطر الأوّل من البيت، من يعتمد عليه في الملمات ، يقال: فلان كاهل بني فلان أي معتمدهم في الملمات و سندهم في المهمات و هي في الشطر الثاني: مقدم أعلـى الظهر مما يلي العنق»[2].

[1] - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية،ص 496،495 .

[2] - المرجع نفسه،ص496 - 497 .

أنواع الطبـــاق

الطباق نوعان :« أ- **طباق الإيجاب:** و هو ما لم يختلف فيه الضّدان إيجابا وسلبا.

ب-طباق السلب: و هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا و سلبا بحيث يجمع بين فعلـين مـن مصـدر واحد،أحدهما مثبت و الآخر منفي كقوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ﴾[1] »[2] و قد قسّمه « عبد العزيز عتيق » في كتابه « في البلاغة العربية» إلى طباق الإيجاب طباق السلب و إيهام التضاد.

1-**مطابقة الإيجاب:** هي ما صرّح فيها بإظهار الضدّين، أو هي ما لم تختلف فيـه الضـدّان إيجابـا وسلبا(...) نحو قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[3] (...) و منه من الأقـوال المـأثورة: «غضب الجاهل في قوله و غضب العاقل في فعله» و « كدر الجماعة خير من صفو الفرقة».

2- **مطابقة السلب:** و هي ما لم يصرّح فيها بإظهار الضدّين،أو هي ما اختلف فيها الضّدان إيجابا و سلبا، نحو قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[4] ،(...) فهي حاصلة بإيجاب العلم و نفيه، لأنّهما ضدّان(...) و من المستحسن في ذلك قول بعضهم:

خلقوا و ما خلقوا لمكرمـة	فكأنّهـم خلقوا و ما خلقوا
رزقوا و ما رزقوا سماح يـد	فكأنّهم رزقـوا و ما رزقوا

3- **إيهام التّضاد:** و هو أن يوهم لفظ الضّد أنّه ضدّ مع أنّه ليس بضدّ(...) كقول دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى.

فإنّ« الضّحك» هنا من جهة المعنى ليس بضدّ « البكاء» لأنّه كناية عن كثرة الشّيب و لكنّه من جهة اللّفظ يوهم المطابقة»[5].

و التّقابل أو التّضاد إما أن يكون ظاهرا أو خفيّا نحو قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[6] ؛ فالمطابقة هنا هي في الجمع بين «أشدّاء ورحماء» فلفظة «رحماء» ليسـت

[1] - النساء الاية : 108.
[2] - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة،ص303.
[3] - الفرقان الآية : 70.
[4] الزمر الاية : 9.
[5] - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص497-499.
[6] - الفتح الآية : 29.

ضدّا في المعنى «لأشدّاء» و لكن الرّحمة تستلزم اللّين المقابل للشدّة، لأنّ من رحم لان قلبه و رقّ، و من هذه النّاحية الخفية صحّت المطابقة»[1].

الطباق في سورة الكهف:

نجد الطّباق كما في قوله تعالى:« الحمد للّه الّذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا و يبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجرا حسنا» «فقد طابق سبحانه بين العوج والاستقامة فجاء الكلام حسنا لا مجال فيه لمنتقد، كما حدث« لأبي الطّيّب» الّذي أهمل المطابقة في قصيدة من أبدع قصائده و ذلك أنّه أنشد في مجلس سيف الدّولة قوله:

نظرت إلى الّذين أرى ملوكا	كأنّك مستقيم في محال
فإن تفق الأنام و أنت منهم	فإن المسك بعض دم الغزال

فقيل له :إن المحال لا يطابق الاستقامة، و لكن القافية ألجأتك إلى ذلك ،و لكن لو نفرض أنك قلت: كأنك مستقيم في اعوجاج كيف كنت تصنع في البيت الثاني؟ فقال و لم يتوقف: فإن البيض بعض دم الدجاج ، فاستحسن هذا من بديهته»[2] .

كما ورد طباق الإيجاب بين فعلين في الآية الثّانية بين «ينذر» و «يبشر»[3]، و في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، نلاحظ هنا تعدّد الطّباق في هذه الآية «طباق إيجاب بين «طلعت » و «غربت» ، «يهد» و «يضلل»، طباق إيجاب بين اسمين «ذات اليمين » و «ذات الشمال» ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾.

ورد طباق الإيجاب بين «أيقاظا» و «رقودا» ،و في قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾.

---

[1] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية ، ص 499- 500.

[2] – محي الدّين الدّرويش، إعراب القرآن و آياته، اليمامة للطبع و التّوزيع، دمشق ط6، 1999م، ص438-439 .

[3] – محمّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الجيل، بيروت،ط1، 2001م، ص177.

ورد الطّباق المعنوي بين« فضربنا على آذانهم »و«ثمّ بعثناهم» لأنّ معـــنى الأوّل أنمنـــاهم و الثّـــاني أيقظناهم»[1].

و في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ ، ورد طباق الإيجاب بين فعلين « اذكر» و «نسيت» و في قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِــعْ مَــنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ورد الطباق بين « الغداة »و«العشي»[2] «و هو طباق إيجاب بين اسمين، و في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ورد طباق الإيجاب بين فعلين «فليؤمن» و«فليكفر»[3].

[1] - محمّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير ، ص177.

[2] - المرجع نفسه، ص163.

[3] - نفسه، ص183.

الفاصلـــة القرآنيـــــة

تعتبر الفاصلة القرآنية درّة من درر الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم، و لؤلؤة من كلام العزيـــز الحكيم، خاصة أنها كانت و لا تزال الشغل الشاغل للباحثين على مر العصور، و باختلاف نحلهم وتوجهاتهـــم، وبفضلها – أي الفاصلة القرآنية – تبرز جمالية كلام المولى عز و جل بتناسقها الفريد، و إيقاعها العجيب، حيث تخترق الجوارح لتظهر على الجوانح، فتهز الأسماع، و تستميل النفوس و تختلج العواطف لسماع هذا الكلام الذي يخالف في مبناه ومعناه وجوهره و مظهره كلام البشر ، لذلك كانت لنا مع الفاصلة القرآنية مجموعة من الوقفات في هذا الفصل.

I– تعريف الفاصلة :

أ–لغة: وردت مادة "فصل " بعدة معاني في اللغة العربية نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي :

« فصل : الفصل ما بين الشيئين (...) الفاصلة في العروض : أن تجتمع ثلاثة أحرف متحركة و الرابع ساكن مثل : فَعَلَتْ (...) أواخر الآيات فواصل بمترلة قوافي الشعر–جل كتاب الله عز وجل – واحدتها فاصلة (...) و قوله عز و جل : كتاب فصلناه له معنيان : أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، و المعنى الثاني في فصلناه بيناه »[1].

ويقول الخليل :« الفصل : القضاء بين الحق و الباطل، و اسم ذلك القضاء : فيصل، قضاء فيصلي وفاصل، وحكم فاصل»[2].

و الفاصلة « الخرزة تفصل بين الخرزتين في النظام »[3] و هي كالخرزات التي توجد في العقد الذي تلبسه المرأة في عنقها، فتتوالى الخرزات بألوانها المتعددة – على بعد متماثل أو غير متماثل – إلى أن يأتي اللون الذي بدئ به وهكذا، فكل خرزة – أو خرزات من لون واحد – هي فاصلة بين الخرزة و الأخرى .

[1] – ابن منظور، لسان العرب،ج11، ص 188- 189 .

[2] – الخليل، العين، ج3، ص324.

[33] – البستاني عبد الله، البستان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1992م، ص827.

و المعنى المرجّح من هذه التعاريف اللغوية هو أن مادة " فصل " تدل على خاتمة كل جزء من الأجزاء ضمن نظام معين.

ب- اصطلاحا :

إن ذلك التنوع في التعاريف اللغوية قد فتح أيضا الباب أمام تنوع التعاريف الاصطلاحية، حيث كثر المنشغلون بالفواصل القرآنية و كثرت تعريفاتهم حسب طبيعة دراستهم و ميدان علمهم الذي يشتهرون به فجاءت كالآتي :

1- **الفاصلة في علم العروض :**

عرّفت الفاصلة عند العروضيين بقولهم :« أن يجمع ثلاثة أحرف متحركة والرابع ساكن مثل : فعلن: وقال: فإذا اجتمعت أربعة أحرف متحركة، فهي الفاصلة بالضاد المعجمة مثل فعلهن»[1] ، فالأولى هي الفاصلة الصغرى والثانية هي الفاصلة الكبرى.

و يقصد بالفصل أيضا: «كل عروض بنيت على ما لا يكون في الحشو ، بالصحة أو بالإعلال مثل «مفاعلن» في بحر الطويل ، وإذا كان الفصل في الحشو فإن ذلك يعتبر قبيحا مرذولا وهو قليل نادر»[2] .

2- **في علامات الوقف:** ترد الفاصلة علامة للوقف في الكلام، وهو «قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة (...) وهو الوقف على كلام لا تعلّق له بما بعده ، لا لفظا ولا معنى وأكثر ما يوجد في رؤوس الآي »[3] .

3- **في علوم القرآن** : لقد وجد المختصون في علوم القرآن لمصطلح الفاصلة مستندا لكلامهم انطلاقا من القرآن الكريم ، فاتخذوه للتمييز بين المصطلحات القرآنية الأخرى، كما في قوله تعالى:﴿كِتَابٌ فَصَّلْنَاهُ ﴾[4] وهذا الكلام له معنيان «أحدهما تفصيل آياتـــه بالفواصل، و الثــــاني فـــي "فصلناه " بيّنـــاه، و قوله عز

---

[1] - الخليل، العين، ص225.

[2] - إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص 60.

[3] - عبد الكريم مقيدش ، مذكرة في أحكام التجويد ، منشورات مكتبة اقرأ ، قسنطينة ، الجزائر ، ط2 ، 2008 م، ص 156- 157.

[4] - الأعراف الآية :51.

وجـــــل : «آيات مفصلات»[1] بين كل آيتين فصل، تمضي هذه و تأتي هذه بين كل آيتين مهلة. وقيل مفصلات مبينات، و سمي "المفصل" بقصر أعداد سوره من الآي»[2].

و الملاحظ مما سبق أن هذه التعريفات السالفة لا تبعد كثيرا عن معنى المدلول اللغوي للفاصلة، لذا وجب علينا أن نورد بعض التعريفات الأخرى التي نراها جامعة مانعة مع شيء من المناقشة.

يقول « جلال الدين السيوطي*»: « الفاصلة كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر، و قرينة السجع، و قال الدّاني: كلمة آخر الجملة، قال الجعبري : و هو خلاف المصطلح، و لا دليل له في تمثيل سيبويه بـــ: « يوم يأت »[3] و«ما كنا نبغ» [4] و ليس رأس آي ! لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية»[5].

المناقشــــــــــــة :

لسنا ندري إن كان حديث « الداني» عن الفاصلة القرآنية أم لا، لأن الفاصلة متعلقة برؤوس الآي والآية الواحدة قد يكون فيها أكثر من جملة – و هي الفاصلة اللغوية – دون أن يكون فيها أكثر من فاصلة – الفاصلة الصناعية – لأن لكل آية فاصلة واحدة هي رأسها؛ فالداني يرى أن الفاصلة يحددها المعنى و ليس نهاية الآية؛ فقد ينتهي المعنى عند آخر الآية – وهو الغالب في القرآن – وقد ينتهي قبل ذلك، أي قبل نهاية الآية فيكون فاصلة، وهو ما يعني أن الدّاني يربط بين الفاصلة و الوقف ، لما لهذا الأخير من علاقة بالمعنى و تمامه ولأن أغلب الفواصل القرآنية تجمع بين نهاية الآية و تمام المعنى و خلاف ذلك لا يحصل إلا في القليل النادر من السور القرآنية .

فالفاصلة تفصل الكلام عمّا بعده، و يشترط في هذا الكلام تمام المعنى ، و من ثم فالفاصلة رأس آية، و لو كان الكلام تام المعنى – أي جملة- بغير أن تكون آية كاملة فآخرها ليس فاصلة – كالبيت المدور في الشعر – و عليه نخلص إلى أن كل رأس آية فاصلة، و غير رأس آية ليس بفاصلة .

---

[1] – الأعراف الآية : 133.

[2] – الزركشي بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث، القاهرة ،ط3، 1984م، ج1، ص54.

* – هو جلال الدين عبد الرحمان بن كمال السيوطي، ولد سنة (849هـــ)، نشأ يتيما، و حفظ القرآن في صغره ، له الكثير من المصنفات في مختلف العلوم، مثل الإتقان، المزهر في علوم اللغة، الأزهار المتناثرة، بغية الوعاة ... توفي سنة (911هـــ) ، ينظر الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـــ، ج1، ص229.

[3] – هود الآية :105.

[4] – الكهف الآية :64.

[5] – السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،1988، ج3، ص290.

فالحديث عن الفاصلة القرآنية موغل في القدم، و تضاربت حولها الآراء و اختلفت فقد اشتغل بها علماء الكلام «النكت في إعجاز القرآن» للرماني المعتزلي، و « إعجاز القرآن » للباقلاني الأشعري، و النحويون «معاني القرآن» للفراء و« مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى، و المفسرون « البرهان في علوم القرآن» للزركشي، و « الإتقان في علوم القرآن» للسيوطـــــي ، و البلاغيون « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجـــي، و«الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن و علم البيان » لابن القيم الجوزية ، و لعل أهم تعريف نأنس له هو قول «الحسناوي » : « و بوسعنا أن نخرج الآن بتعريف للفاصلة، جامع مانع، مع شيء من التوفيق والتدقيق فنقول: الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر و سجعة النثر و التفصيل توافق فواصل الآية في حروف الرّوي، أو في الوزن، بما يقتضيه المعنى، و تستريح إليه النفوس»[1].

ج- مسوّغات تسمية الفاصلة القرآنية :

إن إيقاع الفاصلة القرآنية و وفائها بالمعنى يعتبر من أهم سمات الأسلوب القرآني و بلاغته، فهي تسمو على كل أسلوب بشري، و ليس بمقدور هؤلاء الذين « تحدّوا إلى أن يأتوا بكلام كلماته على تواليها في زنة كلمات القرآن (...) و هم الذين علمنا اقتدارهم على القوافي أن يجرّبوا قريحتهم التي فاضت بالحماقة في: إنّا أعطيناك الجماهير، فصل لربك و جاهر »[2]؛ فالفرق واضح وضوح الشمس في رابعة النهار بين كلام المولى عز و جل و كلام الدجال «مسيلمة » و من هم على شاكلته .

و يثبت الزركشي هذا المعنى في معرض تحليله لتعريف الفاصلة قائلا : « و تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، و هي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، و تسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلام، و ذلك أن آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها، و لم يسمّوها أسجاعا »[3] فالزركشي ينظر إلى الفاصلة على أنها وسيلة من وسائل الراحة النفسية، خاصة بما تتصف به من جمالية الإيقاع، الذي يميزها عن الأسجاع في النثر والقوافي في الشعر ، لأن المنشغلين بعلوم القرآن لمّا استعملوا مصطلح الفاصلة اقتبسوه من القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[4] ، و قوله عز وجل: ﴿حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً

---

[1] – محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، ص29.
[2] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص354 -355.
[3] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص54.
[4] – هود الآية :1.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، « و لا يجوز تسميتها قوافي إجماعا لأن الله تعالى لما سلب عنه – أي القرآن – اسم الشعر و جب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه»[2].

فكان اختصاص القرآن بمصطلح الفاصلة، و الشعر بمصطلح القافية، و النثر بالسجع، و من المعروف عن الفاصلة القرآنية أيضا أنها تفصل بين معنيين إما فصلا تاما و إما غير تام كأن تكون الآيتان جزءا من معنى معين كما في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ ﴾[3] و الحال نفسه مع فواتح بعض السور، الم، حم، طسم و غيرها، فهي فواصل غير أن معناها غير معلوم – و هو ما اتفق عليه العلماء – ولكن الآيات التي بعدها تخبـــّر عنها، حتى أن العرب الذين حاولوا معارضة القرآن الكريم و نقده و لم يوجهوا سهامهم إلى هذه المطالع المعلومة الحروف و المجهولة المعنى « ... هذه الأحرف التي في متناول الجميع، هي "تلك" الآيات العالية الأفق البعيدة المتناول، المعجزة التنسيق، هذه الأحرف التي لا مدلول لها في ذاتها هي القرآن الواضح الكاشف المبين »[4] و بذلك تكون الفاصلة لها ميزة خاصة في الأسلوب القرآني، مع ما تحمله من تناسق و انسجام في الأغراض البلاغية الفنية والتأكيدات البيانية .

د– بين الفاصلة و السجع :

كنا قد أطلنا النفس فيما سبق في حديثنا عن السجع في القرآن ، حيث قدمنا حجج المثبتين و حجج المعارضين، و رجحنا رأي القائلين بأنه لا سجع في القرآن و إنما هي فواصل مختصة بكلام المولى عز وجل مميزة عن الشعر و السجع « فربما كان ذلك يسمى قافية و ذلك إنما يكون في الشعر، و ربما كان مما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع، و ربما سمي ذلك فواصل، و فواصل القرآن مما هو مختص بها ، و لا شركة بينه و بين سائر الكلام فيها و لا تناسب »[5] ، و لتدعيم الرأي الذي أثبتناه فيما سبق وجب علينا أن نستعرض مجموعة من الفوارق التي تميز الفاصلة عن السجع فيما يلي :

---

[1] – فصلت الآية :1-3.
[2] – السيبوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص292.
[3] – الطارق الآية، 1-3.
[4] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط35 ، 2005م ج4،ص2125.
[5] – الباقلاني، إعجاز القرآن، ص51.

1- «تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، و هي الطريقة التي يختلف فيها القرآن عما سواه من الكلام »[1] ، و من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[2].

2-لا يشترط في الحروف التي تنتهي بها الفواصل أن تكون متطابقة، بل يمكن أن تكون متقاربة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾[3] على عكس ما هو معروف في السجع .

3- الفواصل لا تقوم على توافق أواخر الآيات بالضرورة ، إذ يمكن أن ينتفي التطابق و التقارب معا وهو ما يسمي في غير القرآن « الازدواج » و أحسن مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[4] .

4-« جمال الفواصل ليس في توافق نهايات الآيات فحسب، إنما في أسرار أخرى هي من خصوصيات القرآن، و لو كان جمالها محصورا في ذلك التوافق لكانت سجعا، إنما لها مزية تكمن في وقوعها على الأسماع موقعا حسنا لارتباطها بما قبلها من الكلام، كأن ما سبقها تمهيد لها بحيث إذا حذفت اختل المعنى، و لو سكت عندها القارئ لاستطاع السامع أن يختم بها انسياقا مع الطبع و الذوق السليم »[5] .

5-خروج نظم الآية عن المألوف في لغة العرب بسبب الفاصلة، و هنا لا بد من إبداء الملاحظات التالية:

أ-« إن المقصود بالمألوف في لغة العرب الغالب في الاستعمال و ليس غيره، و بناء عليه وضع النحاة قواعدهم، و للأسف هذا ما يؤخذ على النحاة عندما اتخذوا من كلام العرب أصلا يقاس عليه ما سواه بما في ذلك لغة القرآن الكريم و كان العكس هو الأولى »[6] .

ب-إن صاحب السجع مهما بلغ من حذق هذا الفن فإنه لا يجرؤ على كسر قواعد اللغة أو التعديل فيها أو إيثار النادر في الاستعمال على الشائع، و هذا اختلاف أساسي لا تتفق فيه الفاصلة مع السجع .

---

[1] - عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، دط،، 1982م، ص6.

[2] - الانفطار الآية:1-4.

[3] - المعارج الآية:8-9.

[4] - النازعات الآية:1-5.

[5] - عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، ص37 - 38.

[6] - ينظر عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط3، دت،ج2، ص8.

ج-إن هذه الميزة ليست وليدة البحث الحديث بل قال بها القدماء و على وجه الخصوص « الزركشي» و«السيوطي» و أطلقوا عليها مراعاة « المناسبة » و قد أحصى « السيوطي» هذه الحالات فوجدها تفوق الأربعين حكما*.

و في الختام نخلص إلى أن الفواصل مختصة فقط بكلام المولى عز و جل * ، و الأسجاع بالنثر و القوافي بالشعر فلا مجال للخلط بين هاته المصطلحات، على الرغم من أن الكثير من البلاغيين يستشهدون على السجع بشواهد من القرآن الكريم، مما يجعلنا نقول بأن إطلاق لفظ الفاصلة على كلام الله تعالى له ما يبرّره.

* - ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ص296 و ما بعدها .

* - قد يسأل سائل و يقول ألم يستعمل الرسول صلى الله عليه و سلم في أحاديثه السجع ؟ لماذا لم نقل عن كلامه أنه فواصل ؟ و للإجابة نقول : كلام الرسول صلى الله عليه و سلم غير كلام المولى عز و جل و هو الخالق، و كلام الخالق غير كلام المخلوق و بالتالي فإننا لا نجد حرجا في إطلاق لفظ السجع على الكثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم، ما لم يرد إلينا دليل شرعي ينهانا عن ذلك .

بلاغة الفواصل القرآنية

أنزل المولى عز وجل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ببلاغته الخارقة ، و نظمه الفريد ، وأسلوبه الرفيع، لمواجهة أمة كالعرب كان لها الكعب العالي و القدح المعلّى في فنون الكلام، فهم فرسان المنظوم والمنثور ، فذهلوا من نظمه العجيب ، وأسلوبه الغريب، المخالف لأساليب كلامهم ، فلم يقولوا عنه أنه خطب، لأن الحبيب صلى الله عليه وسلم لم يقيم فيهم خطيبا ، ولا سجع الكهان لأنهم يفهمون مبناه ومعناه عكس كلام الكهنة، بل قالوا عنه أنه سحر وشعر، سحر لأنه في زعمهم يفرق بين المرء و أهله ويأخذ بيد الواحد منهم فيترك دين الوثنية ويدخل في الإسلام ، وشعر لما رأوا فيه من فواصل قوية وممتعة أثارت حفيظتهم ، وأبانت عن عجزهم في مواجهة هذا الوافد الجديد «وقد طرحت قضية الفواصل القرآنية أمام العرب موضوعات جديدة ، لم يكن لهم بها علم من قبل ، و لم تخطر لهم على بال ذلك أن الفاصلة في حد ذاتها إحكام لما قد سبقها من الكلام في الآية بخلاف السجعة التي يتكلفونها لإظهار البراعة و الفصاحة ، ثم إن توالي الفواصل بما تحدثه من موسيقى ظاهرة ، وبما تقوم به من ربط و إحكام بين الكلام ، وما تضفيه من معان مقصودة سواء على المستوى القريب أم المستوى البعيد ، بحيث لا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة الفصاحة وحسن البيان، أن يقترح تغيير لفظة أو زيادة حرف مع أن ذلك جائز في كلامهم ، كل ذلك أبرز معنى الإعجاز»[1].

فالفاصلة القرآنية لها خصائصها المميزة، ترد أحسن ما تكون في موضعها من حيث المناسبة بين اللفظ والمعنى والإيقاع، أو من خلال أوجه اختيارها «بحيث يستحيل البتة أن يكون فيه موضع أو حرف نافر، أو جملة غير محكمة، أو شيء مما تنفذ في نقده الصنعة الإنسانية من أي باب من أبواب الكلام إن وسعها»[2].

و من يتصفح كتاب المولى عز و جل من أولـــه إلى آخره يجد أنه لم تخل سورة من سوره من الفواصل الرائعة الماتعة ، البراقة القشيبة، فهـــي مرتبطة بها ارتباط البصمة للبنان و البـــراعم للنبات، و الأكمام للشجـــر، بفضل حسن دلالاتها و عذوبة ألفاظها، و كثرة فوائدها و«هكذا تتجلي روعة البلاغة في القرآن العظيم في فواصل الآيات، لاسيما سور المفصل[*]، حيث تأتي الآيات فيها قصيرة متوالية شديدة الوقع، يتنوع فيها الأسلوب بين الترغيب و الترهيب لتخلع الوثنية من قلوب العرب المشركين، و لتثبت دعائم الإيمان في صدورهم (...) إنك لتجد الجرس الموسيقي السريع القوي في الكلمات البليغة المتلاحقة لتترك في نفوس العرب و نفوس المتكبرين المكابرين من أي ملة أثرا عظيما، و وقعا شديدا عند سماعهم لهذه

---

[1] -كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1420هـ، 1999م، ص65.

[2] - الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2، ص 216.

[*] - التقسيم المشهور عند العلماء هو كما يلي : السور الطوال ، المئين، ثم المثاني ، ثم سور المفصل.

الآيات الموجزة، ذات المعاني المستفيضة ، لعل ما في ذلك التدافع في الآيات القصيرة ذات النغم المتوافق الناجم عن تناسب الفواصل ما ينبه حواس السامع إلى الاستجابة لذلك الجرس و التفاعل معه و التأثر به»[1].

كما تجدر بنا الإشارة إلى أن سور القرآن الكريم تختلف فيما بينها من حيث طول و قصر الفواصل، ففواصل القرآن المكي تتميز بقصرها و سرعة إيقاعها، و عادة ما تتعلق بالدعوة إلى التوحيد، و الترغيب والترهيب، أما فواصل القرآن المدني فهي تتعلق بالتشريع و تفصيل الأحكام الدينية و الدنيوية و الاهتمام بأمور الناس في مختلف المعاملات لذلك نجدها-أي الفواصل- طويلة فضفاضة «لذلك نجد الفواصل في القرآن المكي متوالية متلاحقة تهز كيانهم و تزلزل كفرهم و عنادهم، لتستأصل نوازع الشر من صدورهم، و تدفعهم دفعا إلى الدين الجديد و إلى الشريعة السديدة، و تهديهم إلى سبيل الرشاد بعد الضلال، أما الفواصل في القرآن المدني فجاءت غالبا فضفاضة متباعدة ، لأن الأمر أصبح تشريع و تفصيل ، و الفواصل في القرآن مكية و مدنية أحدثت في نفوسهم دويا رهيبا مهيبا، لأنهم لم يستطيعوا حيالها مقاومة أو تكذيبا، فهي من واقع كلامهم ونهج أساليبهم»[2]،كما أن العرب قد ألفو الكلام الجميل في خطبهم و أشعارهم، لذلك خيل لبعضهم أنه بإمكانهم الإتيان بمثل هذا القرآن، و محاكاته، فجاء عنهم حين سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه و سلم أنهم ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ﴾[3] ، و أنى لهم ذلك ! فهذه الفواصل هي التي حيّرت العقول بنسجها و جمال حبكها و جرسها، لذلك نجد كل من سوّلت له نفسه معارضة هذا القرآن أن يبقى مادة دسمة للتنكيت و السخرية عبر التاريخ، على غرار ما حدث لمسيلمة الكذّاب و خزعبلاته الحمقاء في معارضة القرآن الكريم «فالبليغ لو رفع كلمة واحدة من القرآن الكريم ، و أدار لسان العرب على أن يأتي بأخرى تسد مسدّها لأعياه ذلك، و للقرآن مسحة خلاّبة عجيبة، تتجلي في نظامه الصوتي، و جماله اللغــــوي، ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتي اتساق القرآن الكريم، و ائتلافه في حركاته و سكناته، و مدّاته و غنّاته، واتصالاته، و سكتاته، اتساقا عجيبا، و ائتلافا رائعا، يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر»[4].

إذا فظاهرة رصف الحروف، و ترتيب الكلمات بطريقة يتضاءل معها كل ترتيب لا تتأتى لكل أحد فهي مقتصرة فقط على كلام المولى عز و جل، «و ليس من الخطأ في الدين و لا في البلاغة أن نقول أن

---

[1] – كمال الدين عبد الغني المرسي، مراعاة النظير في كتاب الله العلي القدير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1997م، ص116- 117.

[2] – كمال الدين،عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية ص198،197.

[3] – الأنفال الآية: 31.

[4] – محمد رجاء حنفي، مقال بعنوان: الفواصل أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، مجلة الوعي الإسلامي، مصر، العدد377، 1418هـ، 1998م، ص47.

القرآن يهتم بالناحية اللفظية، لأنها جزء من أسلوبه، و لأنها من دواعي التأثير، و تلك وظيفة القرآن الكبرى، فالغرض منه هو قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير»[1].

كل الكلام السالف الذكر دفعنا إلى محاولة تحديد بعض النقاط التي من خلالها تبرز بلاغة الفواصل القرآنية أكثر، فإلى جانب اهتمامات الأسلوب القرآني بالإيقاع و الانسجام في اللفظ و النغم، نجد دقة اختيار الفواصل المناسبة لأداء المعنى المعيـــّن، إذ يؤتى بالكلمة فاصلة و توضع في مكان معين من الآية، بحيث لو تغير وضعها أو استبدلت بغيرها لاختل المعنى –كما سبق و أن أشرنا– لذلك ارتأينا أن نقف أمام بعض العناصر التي تزيد في متعة وروعة و بلاغة الفواصل القرآنية.

1– رعاية الفواصل القرآنية :

لو نقم بإحضار شخص ملم باللغة العربية، و لم يقرأ القرآن الكريم طوال حياته ، و نعرضه عليه لأول مرّة، لأدرك للوهلة الأولى أنه يختلف عن كلام البشر، لأن الجمال اللغوي الذي يتميز به القرآن الكريم هو الذي يجعل منه قمة في الإعجاز «بحيث لو دخل شيء من كلام الناس في القرآن الكريم لأعتل مذاقه في أفواه قارئيه، و احتل نظامه في آذان سامعيه»[2] : و هناك قصة أوردها الكثير من المنشغلين بعلوم القرآن تبين صحة ما ذهبنا إليه فقد «حكى الأصمعي قال : كنت أقرأ : «و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، و الله غفور رحيم» و بجنبي أعرابي فقال : كلام من هذا ؟ فقلت : كلام الله ، فقال : ليس هذا كلام الله ، قال أعد، فأعدت، فانتهيت فقرأت ﴿وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3]» فقال: أصبت هذا كلام الله فقلت : أتقرأ القرآن؟ فقال: لا ، فقلت: من أين علمت؟ فقال : يا هذا، عزّ فحكم فقطع، و لو غفر و رحم لما قطع»[4] و المتأمل في القرآن يلمس هذا بشكل واضح في الكثير من المواضع، إلا أن هذه الظاهرة المتمثلة في توافق مضمون الآية مع التعقيب الذي انتهت إليه — أي الفاصلة — غير مطرد في القرآن كله ، و لكن في الغالب الأعم تكون الفاصلة مرتبطة بالمعنى الذي سبقها بناء على أنها تأتي في نهاية الآية، و تجمع بين نهاية الآية و تمام المعنى «بل أكثر من هذا فإننا نجد أن اختيار كلمات معينة لحروفها بنبرات صوتية خاصة له مدخل في الوفاء بالغرض المقصود، و مواكبة للإحساس الكامن في نفس القائل، و يظهر ذلك بصورة أكبر في صيغ المبالغة في فواصل القرآن الكريم، لأن صيغ المبالغة تحدث إيقاعا خاصا ذا جرس يتصل بالنطق والسماع، ونغمة مشوبة بالقوة و العنف، فصيغة «كبارا»في قوله تعالى: ﴿

---

[1] – عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية، دار الأرقم للطباعة و النشر ، مصر، 1993م ، ص15.

[2] – محمد رجاء حنفي، مجلة الوعي الإسلامي، ص47.

[3] – المائدة الآية:38.

[4] – بلقاسم بغدادي، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992م، ص105.

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[1] تفيد بلاغة في المعنى و وقعا شديدا على النفس»[2] و عليه فإن مراعاة الفاصلة أدى إلى جملة من التغيرات، خرجت ببعض التراكيب عن النمط العادي المألوف في قواعد اللغة و أصولها، و قد اشتمل ذلك على:

أ–زيادة حرف في الفاصلة:

و هذا الأمر وارد بكثرة لرعاية جمالية و بلاغة الفواصل، و الحفاظ على نظامها الإيقاعي، فالنفوس مجبولة على حب و سماع الكلام الجميل، فكيف مع لغة القرآن الكريم؟!حيث «يجتمع في الآيات و الفواصل العذوبة و الجزالة والطلاوة، حتى أنها حين تطّرد عما هو متواضع عليه في اللغة تكون في أحسن اطّراد وأبهاه»[3].

إن أبرز ما تتميز به هذه الظاهرة الجمالية هو زيادة حرف الألف في الكلمة الأخيرة من الفاصلة – مثل ألف الإطلاق في الشعر – حيث ألحقت الألف في عدد من الآيات بأواخر كلماتها، و شملها الفتح مطلقا وتبرز هذه الظاهرة في سورة «الأحزاب» في ثلاثة مواضع، يقول تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[4] «فمعظم الآيات في السور تنتهي بألف منقلبة عن تنوين وقفا، فزيد على النون ألف المناسبة»[5] فقبل هذه الآية نجد : مسطورا غليظا، أليما، بصيرا، و بعدها شديدا، غرورا، فرارا...الخ.

و مثل هذا أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾[6] و قوله جل و علا: ﴿فأضلونا السّبيلا﴾[7] و هي فعلا ظاهرة تستحق التأمل، و لولا ذلك فما يضير أن ترد بدون ألف في نهاية الفواصل.

و الشيء نفسه يقال عن زيادة هاء السكت في سورة «الحاقة» كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ، يَا لَيْتَهَا

[1] – نوح الآية :22.
[2] – عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية، ص15.
[3] القرطاجي حازم، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح محمد خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط2، 1981م، ص 224-225.
[4] – الأحزاب الآية :10.
[5] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص61.
[6] – الأحزاب الآية:66.
[7] – الأحزاب الآية:67.

كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾[1]، «سورة هائلة رهيبة، قلّ أن يتلقاها الحسّ إلا بهزّة عميقة، و هي منذ افتتاحها إلى ختامها، تقرع هذا الحس و تطالعه بالهول القاصم و الجد الصارم، و المشهد تلو المشهد، كله إيقاع ملح على الحس بالهول آنا، وبالجلال آنا، و بالعذاب آنا، و بالحركة القوية في كل آن!»[2].

فهاء السكت هنا أنارت جملة هذه الآيات، فيقف المرء حيالها خاشعا مبهورا «تهزه أعماقه و هو مذهول لهذا الوضع الموسيقي الحزين المنبعث من أقصى الصدر و أواخر الحلق، بأنفاس متقطعة و عواطف متهجدة، واجهة متفكرة، في مناخ نفسي متفائل تارة، متشائم تارة أخرى، أي في حالة متأرجحة بين اليأس و الرجاء والأمل والفزع»[3].

فالفاصلة هنا تصور لنا مشهدين متضادين؛ مشهد ذلك العبد الناجي من عذاب الله، و حالة الفرح والغبطة تختلج نفسه، فيطير بهجة و سرورا و هو يدعو الخلائق إلى قراءة كتابه، و حالة ذلك العبد الخاسر الذي باع كل شيء بلا شيء، و اشترى لاشيء بكل شيء، فجدير به الآن أن يرسل الزفرات، و يترل العبرات، و تتقطع نفسه على ما فرّط حسرات.

فالملاحظ أن الفواصل: كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه، زيدت فيها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة، و التي اقتضى السياق نطقها هاء للتوافق الإيقاعي، و التناسق اللفظي.

و هناك مثال آخر لحرف الهاء الذي يأتي ضميرا ملصقا بالفواصل، حيث يرد هذه المرة غير زائد بل أصلي الورود، محققا وقعا في النفس، و جرسا في الأذن، و قوة في امتلاك المشاعر، قال تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[4] فالهاء في هذه الفواصل ليست زائدة، و هي ضمير فيها كلها، حققت بذلك مناخا صوتيا يوحـــي بالانتباه وإعداد العدّة لذلك اليوم المفزع، كما أنها تشبه المقطع الصوتي "إيه" الذي يكون في العربية للتحسر و التوجع لأن لغة القرآن أدل على المعنى المناسب .

[1] - الحاقة الآية:18-29.
[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3674.
[3] - المرجع نفسه، ج6، ص3674.
[4] - المعارج الآية:11-14.

ب- حذف حرف في الفاصلة:

و هذا العنصر أيضا يدخل ضمن سمات رعاية الفواصل و بلاغتها ،كما في قوله تعالي ﴿و الليل إذا يَسْرِ﴾[1] فقد حذفت الياء لمناسبتها لـــ:"الفجر، عشر، الوتر، حجر" «و مما يعضد أهمية رعاية الفواصل في القرآن الكريم، أنه إذا كان للمعنى الواحد أكثر من لفظ يدل عليه، فإنه يترجح اللفظ الذي تتم به هذه الرعاية و إذا اقتضت هذه الرعاية نقص حرف في الفاصلة أو زيادة عليه فإنه يصار إلى ذلك»[2] .

و مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[3] فقد حذفت ياء المتكلم في " يهدين، يسقين، يشفين و يحيين "حفاظا على إتباع حرف الروي من "تعبدون ، الأقدمون، الذين "

و مثله قوله تعالي: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[4] «فإذا أنت لم تحذف الياء في "الدّاع أحست ، ما يشبه الكسر في وزن الشعر»[5] و كذلك الأمر في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾[6] ؛ فالياء حذفت من "أكرمن" و"أهانن" رعاية للفاصلة، و مراعاة للمعنى، و كذا لما في هذه " النون " من الغنة عند الوقف عليها، و هو ما يظهر من خلال الأداء، و هذا الأمر – حذف الياء- موجود بكثرة في العديد من الآيات القرآنية.

2-التقديم و التأخير:

إنه بحر لا يدرك عمقه، و باب لا تدرك جوانبه، و أحد أهم الأغراض البلاغية، و سر من أسرارها فضلا على أنه يكسب الكلام جمالا و تأثيرا، لأنه سبيل لنقل الألفاظ و معانيها للمخاطبين، حسب ترتيبها

---

[1] - الفجر الآية:4.

[2] - عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية، ص14.

[3] - الشعراء الآية: 75-82.

[4] - القمر الآية : 6-8.

[5] - سيد قطب التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، دط، دت، ص 87.

[6] - الفجر الآية: 15-16.

في ذهن المتكلم عادة، وحسب أهميتها، لأن هذا الباب – التقديم و التأخير–[*] له ارتباطات وثيقة بالمستويات العليا للغة و «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتِّر لك عن بديعة و يفضي لك إلى لطيفة، و يلطِّف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك أن قدم فيه شيء و حوّل اللفظ عن مكان إلى مكان»[1].

فما ذهب إليه «الجرجاني» مرتبط بفن القول، سواء كان شعرا أو نثرا، و قد أحصيت مواضع التقديم والتأخير فكانت تقارب الألف من مجموع الفواصل القرآنية، و تعود بعض أسبابه إلى :

«أولا:أن يكون أصله التقديم و لا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، و المبتدأ على الخبر (...).

ثانيا: أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، كقوله تعالى:﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[2]، فإنه لو أخر قوله «من آل فرعون» فلا يفهم أنه منهم (...) .

ثالثا : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام و لرعاية الفاصلة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3]، بتقديم «إيَّاه» عل «تعبدون» لمشاكلة رؤوس الآية، و كقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[4] فإنه لو أخر «في نفسه» عن «موسى» فات تناسب الفواصل»[5]، مع العلم أن«الزركشي» حصرها في سبعة أسباب، و بعده السيوطي أوصلها إلى عشرة، و هي مسألة خلافية بين العلماء، لأن لكل واحد رأيه و له جهوده في العديد من المسائل و من أمثلة التقديم و التأخير في القرآن التي أحببنا الوقوف عليها في بعض الآيات القرآنية ما يلي:

* – لمزيد من التفصيل ينظر عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية ، ص115 وما بعدها.

1 – الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1998م ، ص84.

2 – غافر الآية:28.

3 – فصلت الآية:37.

4 – طه الآية: 67.

5 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص133- 134.

أ- **التقديم بالرتبة:** كما في قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1] فقدم المولى عز و جل من يؤدي فريضة الحج راجلا على من يأتي راكبا،«لأن الذي يأتي راجلا يأتي من المكان القريب، والذي يأتي على الضامر يأتي من المكان البعيد»[2].

ب- التقديم بالفضل و الشرف:

كتقديم «الإنس» على «الجن»كما في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[3]، و تقديم "النبيِّين" على "الصِدِّيقِين" كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[4].

«و أما تقديم المال على الولد في كثير من الآي، فلأن (الولد) بعد وجود المال نعمة و مسرّة، و عند الفقر وسوء الحال هم و مضرّة، فهذا من تقديم السبب على المسبِّب، لأن المال سبب تمام النعمة بالولد»[5].

و الحال نفسه في تقديم المولي عز و جل «السمع» على «البصر» في الكثير من الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[6]و كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[7].

«واضح بهذا من يقول، إن السمع أشرف من البصر، و هذا قول الأكثرين (...) كما احتجوا بأن العلوم الحاصلة من السمع أضعاف أضعاف العلوم الحاصلة من البصر»[8]، و في أغلب الأحيان نجد المصابين بالصمم يعانون أيضا من مرض البكم، بينما نجد المصابين بالعمى ينعكس فقدان بصرهم على نور بصيرتهـــــم، فعادة ما نجدهم ظواهر في الحفظ و الفهم، و لم يمنعهم فقدان البصر من تحصيل مختلف العلوم لذلك قدم المـــــولى عز و جل السمع على البصر لأهمية الأول على الثاني «فسمو القوالب من سمو

[1] - الحج الآية:27.

[2] - عبد الفتاح لاشين، ابن القيم و حسِّه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص101.

[3] - الجن الآية:5.

[4] - النساء الآية:69.

[5] - عبد الفتاح لاشين، ابن القيم و حسه البلاغي في تفسير القرآن، ص102.

[6] - الإسراء الآية:36.

[7] - الحج الآية : 61.

[8] - عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسنه البلاغي في تفسير القرآن، ص108.

المدلولات، و سمو المدلولات من سمو القوالب، و المعنى الشريف هو الذي يلبس اللفظ الشريف كما يقول القدماء»[1].

و بهذا نأتي إلى ختام مبحث بلاغة الفواصل القرآنية، و اكتفينا بما ذكرنا اختصارا لأن هذه الوقفات تحتاج لوحدها إلى تصنيف خاص و سنتعرض لبعض السمات الأخرى فيما يأتي من ثنايا هذا البحث.

[1] - كمال الدين المرسي، فواصل الآيات ، ص 80- 81.

أسلوب التكرار في الفواصل القرآنية

عرف أدبنا العربي منذ العصر الجاهلي ظاهرة تكرار، حيث برزت في الشعر الجاهلي ثم اتضحت أكثر في القرآن الكريم، خاصة في سور الربع الأخير، و لأن التكرار ظاهرة بلاغية تجمع بين حسن النظم، وجودة الإيقاع، فطبيعي أن يجلب إليه اهتمام الدارسين عبر العصور، فقد عكف البلاغيون و المنشغلون بعلوم القرآن والنقاد على سبر أغواره و استنطاق أسراره، و كشف مدى تفاعل المتلقي معه، فالكلام العذب الجميل هو الذي تطرب الأذن لسماعه، ويبعث في النفس الشعور باللذة و المتعة، خاصة إذا كان هذا الكلام مصحوبا بالتأمل و التدبر، فميزة التكرار كما سبق وأن ذكرنا هي التي تغري بالبحث و التنقيب، و إبراز أهم جوانبه الفنية و الجمالية ، خاصة إذا علمنا أن الكثير من المستشرقين فهموا التكرار عيبا و نقصا في القرآن الكريم، ومن ثم وجَّهوا سهام طعنهم و نقدهم من هذا الجانب.

و قبل الولوج إلى التفصيل في التكرار تجدر بنا الإشارة إلى الكشف على معنى التكرار لغة واصطلاحا، فضلا عن التكرار في الشعر الجاهلي، قبل الوصول إلى التكرار في القرآن الكريم بمستوياته الثلاث المشهورة (الحرف، الكلمة (اللفظة)، الجملة).

فمع ظهور الدراسات القرآنية، كان للأوائل فضل السبق في هذا الميدان حيث اهتموا به و أوضحوا خطوطه العريضة، خاصة إذا سلمنا أننا نعيش حياتنا على وقع التكرار، فتوالي ضربات القلب عبارة عن تكرار، و تعاقب الليل و النهار تكرار، مع العلم أنه يدخل ضمن قوانين الإيقاع المعروفة فهو يتكون من أصوات لها إيقاع متجانس وفق نمط معين .

I- تعريف التكرار:

1– لغة : جاء في « لسان العرب » ،« الكرُّ : الرجوع، والكرُّ : مصدر كرّ عليه يكرّ كرّا و كرورا وتكرَارًا: عطف ، و كرَّر الشيء و كركره : أعاده مرّة بعد أخرى . و كرّرت عليـــه الحديث: ردّدته عليـــه، والكرّ: الرجوع على الشيء، و منه التكرار . و الكرّةُ : البعث و تجديد الخلـــق بعـــد الفناء. والكـــرُّ: الجبل الغليظ . والكركرة: صوت يردّده الإنسان في جوفه، و الكرُّ: ما ضمَّ ظلْفتي الرّحل و جمع بينهما» [1].

و ورد في « القاموس المحيط » : « التكرار مأخوذ من كلمة، كررّ تكريرا و تكرارا و تَكِرَّة، أعاده مرَّة بعد أخرى » [2].

فمن خلال ما سبق ذكره نخلص إلى أن التكرار من معانيه الرجوع و الإعادة، و البعث، و تجديد الخلق بعد الفناء، و لسان حال « ابن منظور» يقول :بأن المتلقي قد يسمع كلاما من المتكلم، و بعد فترة و ما إن يصل المتلقي إلى حد نسيان السلسلة الكلامية التي سمعها ، حتى يجددها المتكلم بتكرارها بعـــد أن كادت تنسى، كما يحمل التكرار في ثناياه بعضا من معاني الإيقاع بضم ظلفتي الرّحل، و الصوت الذي يحدثه الإنسان في قرارة نفسه .

2- اصطلاحا :

يهدف المفهوم الاصطلاحي للتكرار بنوعيه (المعنوي و اللفظي) إلى تحقيق غاية معينة « إمَّا للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو للتهويل أو للتعظيم أو التلذّذ بذكر المكرّر »[3] فمن خلال هذا التعريف يتبيـّـن لـــنا أن التكرار يستعمل غالبا للتَّأثير على المتلقي، و يسعى إلى خلق ذلك الجو النفسي المفعم بالحركة، من خلال توالي هذه المتشابهات الصوتية على سمعه، و إبراز أهميتها من خلال التأكيد عليها، و التركيز على نقطة حساسة في عبارة أو نص لدفع المتلقي لأخذها مأخذ الجد .

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص451، مادة « كررّ».

[2] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص925، مادة «كررّ »

[3] – موسي ربابعة، دراسة أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار كندي، أربد، الأردن، 2001م، ص14.

II- ظاهرة التكرار في الشعر الجاهلي :

لا يمكننا الحديث عن التكرار في القرآن الكريم دون تسليط الضوء على هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي فعندما جاء به القرآن الكريم أيقنوا – أي العرب الأوائل – على أنه لا مناص لهم من التسليم و الانقياد لهذا الوافد الجديد الذي تحداهم بأشياء مبثوثة في أشعارهم، فكانوا إذا أرادوا إثارة المتلقي و استمالته لفعل المكرومات و إنجاز البطولات، يلجأون للتركيز على هذا الأسلوب في الكلام مع طول النفس و حسن الإنشاد « الإنشاد عنصر من عناصر الجمال في الشعر، لا يقل أهمية عن ألفاظه ومعانيه، و حسن الإنشاد قد يسمو بالشعر من أحطّ الدرجات إلى أرقاها، كما أن سوء الإنشاد قد يخفض من قدر الشعر الجيّد، و يلقي على ألفاظه العذبة و معانيه السامية ظلالا لا تخفي ما فيه من جمال و حسن »[1] .

ففن الإلقاء يلعب دور أساسيا في إيصال الرسالة الشعرية، فما بالك إذا كان مصحوبا بالتكرار على حرف، أو كلمة، أو لازمة، أو نهاية في لغة راقية تبرز الجانب التأثيري الصادر عن موقف الشاعر* اتجاه حدث معين، لنصل الآن إلى إعطاء أمثلة على تكرار الحروف في الشعر الجاهلي قبل الخوض في تلك الرياض الجميلة في النظم القرآني.

1- تكرار الحروف :

إن تكرار الحروف يثير في النفس أثرا خلاّبا، لكن هناك ملاحظة أثارها علماء البلاغة منذ القديم، وتتمثل في أن تكرار الحروف المتقاربة المخرج يخلُّ بجانب الجمال في الكلمة أو في البيت الشعري، لذلك أعابوا على امرئ القيس استعماله لكلمة « مستشزرات » لتنافر حروفها، و ثقلها على اللّسان وعسر النطق بها، وكذا الحال مع هذا البيت الشعري :

و قبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر .

فهذا البيت نجده كثيرا في كتب البلاغة، و هو معيب عند أهل الاختصاص بسب مخالفة لشروط الفصاحة .

---

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقي الشعر، ص164.

* – من أشهر الشعراء الجاهليين الذين كانوا يعتمدون على التكرار هو المهلهل بن ربيعة، خاصة في تلك القصائد التي يرثي فيها أخاه كليب، و سنتطرق لها فيما يأتي .

و لكن البعض لهم رأي آخر من هذا التكرار حيث يرون فيه جمالا و زينة، بفضل نغمه المميز، و مثال ذلك قول امرئ القيس يصف حصانة .

« مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من عل »[1] .

فما يلاحظ على هذا البيت هو تكرار حرف الميم و الراء بشكل ملفت للنظر، مما يثير نغمة قوية « هذه النغمة أو الجرس الموسيقي القوي يتناسب مع قوة الحصان و سعته الهائلة التي يمتدحها امرؤ القيس في هذا البيت»[2].

و الحال نفسه ينطبق على الشاعر « الأعشى » حيث عاب البلاغيون عليه كثرة تكرار الشينات في الشطر الثاني من هذا البيت :

« و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مِشَلٌّ شلول شُلْشُلٌ شَوِلُ »[3]

إلاّ أن البعض الآخر يرى في هذا البيت قمة الإبداع الفني لتكراره هذه الشينات المصوَّرة لحالة السكر المؤدي إلى التلعثم و الاضطراب في اللسان، حيث عقَّب « النويهي » برأي بلاغي حين قال : « إن هذا الشعر من نوع الدعابة و السخرية، و إن المراد منه الإضحاك و هذا البيت يمثل الصورة الواضحة لسكارى يتمايلون و يتراقصون، و هم إذا حاولوا النشيد فلن يستطيعوه، لأن الشارب السكران يتلعثم في كلماته و ينعقر في نشيده، و لقد فضحته " الشينات " الست التي تواترت و تلاحقت في الشطر الثاني، فكان في تواليها تصويرا لهذا السكر المؤدي إلى التلعثم و اضطراب اللسان »[4].

و نحن لا ننكر أن في تراثنا الشعري العربي أمثلة راقية يتجلى فيها التكرار في أجمل حلله، حيث يصوّر ويقرّب للقارئ المشاهد التي عاشها الشاعر، و حالته النفسية في تلك اللحظة ، فعادة ما يرتبط الصوت بالمعنى الذي يريده الشاعر، مع ذلك التفاوت الجمالي طبعا من بيت لآخر، و من قصيدة لأخرى، تعود لمدى مقدرة الشاعر على تمكنه من فن التكرار.

---

[1]– أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، تح محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م، ص35.

[2] – موسي ربابعة، دراسة أسلوبية في الشعر الجاهلي، ص26.

[3] – أحمد الأمين الشنقطي، شرح المعلقات العشر، ص207.

[4] – محمد النويهي، الشعر الجاهلي، منهج في دراسته و تطبيقه، الدار القومية، القاهرة، دط، دت، ص79-80.

2- تكرار الكلمات :

رأينا فيما سبق أهمية الحرف في التكرار ، حيث يرى فيه البعض أنه يؤدي وظيفة جمالية وبلاغية رائعة ولكن تكرار الكلمة يختلف تماما عن تكرار الحرف ، فالتناسق و الانسجام يشكل لنا الدلالة السياقية للكلمة وبالتالي يكون تكرار الكلمة عدّة مرات من قبل المتكلم مدعاة للفت انتباه السامع ، فقد كان الشاعر الجاهلي يلجأ إلى تكرار الكلمة للتعبير عن حالة نفسية يعيشها ، وخطرات تجول في عقله ، وفق إيقاعات مختلفة ، فعادة ما تكون الكلمة المكررة في الشعر الجاهلي هي اسم المحبوبة ، أو اسم الشخص المرثي، وكذا اسم الشخص الممدوح ، ومن الأمثلة التي تستند إلى الصنف الأول من الكلمات المكررة قول امرئ القيس :

«ديار لسلمى عافيات بذي خال ألـــّحَ عليهما كـــل أسحـــم هطّال

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا مـــن الوحشي أو بيضا بميثاء محلال

وتحسب سلمـــى لا تزال بعهدنا بوادي الخزامى أو على رس أوعال

ليالـــي سلمـــى إذا تريك منصبا وجيدا كجيد الرئم ليس بمعطال»[1].

ويرى "ابن رشيق" أن تكرار هذا الاسم –سلمى- «لم يرد إلا على وجه الاستعذاب و التشوق، تعبيرا عن الحالة النفسية وعملية بنائه في صياغة جمالية فنية واسطتها التكرار[2]» ، فالتكرار إذن يعكس الحالة النفسية للشاعر فضلا على أنه لا ينبغي لنا أن ننظر إلى هذا التكرار على أنـــّه جاء بطريقة اعتباطية عشوائية ، أو وروده بمعزل عن المعنى و الإيقاع «بل ينبغي أن ينظر إليه على أنه وثيق الصلة بالمعنى و الإيقاع ، زيادة على أنـــّه عنصر من العناصر الفاعلة في تكوين أسلوب فني وفق سياق نغمي متميز[3]»، وما اشتغال القدامى عليه إلا ليقينهم بمقدار الخلخلة التي يحدثها في نفوس المستمعين ، فضلا على تصوير الحالة النفسية لذلك المبدع.

1 – امرؤ القيس، ديوانه ، تح حسن نور الدين ، دار الحكايات ، بيروت ، ط1، 2003، ص 58-59.

2 – ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1، 2000م ، ج2، ص 698.

3 – موسى ربابعة، دراسة أسلوبية في الشعر الجاهلي ، ص 35.

3- تكـــرار الجمـــل :

كما سبق وأن ذكرنا فإن التكرار يصور الحالة النفسية للمبدع وفق دلالات جمالية ، و بنى إيقاعية متميزة ، وسنمثل لكلامنا هذا بشاعر جاهلي بكى و أبكى وحزن حزنا شديدا على فراق أخيه ، وهو "المهلهل بن ربيعة*" ، حيث يعبر في الكثير من قصائده عن شدة وجده على فراق أخيه "كليب" في أبيات تجمع بين الحزن الشديد و الحنق و الغيض ، وإذا بأسلوب التكرار يبرز في قصيدته «وكأنه لازم من لوازم التوجع في هذا المقام إذ ليس هناك ما يعدد المناقب أو يستدر الدموع من مآقيها سواه»[1].

فكان مما قاله "المهلهل" المشهور "بالزير سالم" في رثاء أخيه :

«على أن ليس عدلا من كليب إذ طـــرد اليتيـــم عـــن الجـــزور

على أن ليس عدلا من كليب إذا رجـــف العضـــاة مـــن الدبور

على أن ليس عدلا من كليب إذا مـــا ضيـــم جيـــران المجيـــــر

على أن ليس عدلا من كليب إذا خيف المخوف مـــن الشعـــــور

على أن ليس عدلا من كليب غداة بلابـــل الأمـــــر الكبيـــــر

على أن ليس عدلا من كليب إذا بـــــرزت مخبـــأة الخـــــــدور

على أن ليس عدلا من كليب إذا علنت نجيـــــات الأمـــــــور[2]»

نلاحظ تكرار الشطر الأول «على أن ليس عدلا من كليب» في جميع صدور أبيات القصيدة ، وفق نغم يبيـــّن حالة الإحباط النفسي الذي يعيشه الشاعر، فضلا عن إثارة نفوس المتسمعين وفق جرس يتناسب و الجو السائد في تصوير اللوعة و الأسى .

---

* - هناك أيضا شاعر فحل معاصر للمهلهل وهو "الحارث بن همام" حيث برع في فن التكرار خاصة في قصيدته الجميلة في رثاء ابنه الذي قتله المهلهل، والتي مطلعها : " قرّبا مربط النعامة مني فإن قولي مطابق لفعالي" ، ويقصد بالنعامة فرسه.

[1] - صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي ، دراسة نقدية و أدبية حول إعجاز القرآن ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2003 ص 42.

[2] - المرجع نفسه ، ص 43.

كانت هذه وقفات ذكرناها اختصار في تتبع أسلوب التكرار في الشعر الجاهلي ، وتبيان مدى ولوع القدامى بهذا الفن ، الذي يؤدي حتما وظيفة هامة على مستوى البناء اللغوي ، وعلى مستوى الإيقاع ، فقد كانوا يركزون على الكلمات ، وعلى الجمل المراد تكرارها ، لتوضيح حالة معينة تتعلق بالشاعر و بأهمية الكلام المكرر ، وبإيصال رسالة معيّنة للمتلقي ، خاصة إذ عرفنا مدى حرص الشعراء الجاهليين على اختيار اللفظ المناسب للموقف المناسب ، واعتمادهم على حاسة الذوق ، والألفاظ الجميلة و الأذن الموسيقية وتجنّبهم حوشي الكلام ، أدركنا أنهم كانوا ينظرون إلى التكرار على أنه زينة وفضيلة وليس شينة ورذيلة، ومع نزول القرآن الكريم زاد هذا الفن في التوسع و الرقي فوجدوا – أي العرب- في كلام المولى عز وجل ما يأخذ بالقلوب و الألباب بأجمل أسلوب و أعذب لفظ ، فلا يملّ سامعه ولا قارئه من كثرة الترداد و التكرار ، فبعد أن وقفنا عند أساليب التكرار في الشعر الجاهلي ، نصل الآن إلى بيت القصيد وهو التطرق لألوان التكرار في القرآن الكريم .

II- التكرار في القرآن الكريم :

للتكرار دور مهم في سبيل وحدة النصوص و تلاؤمها سواء على المستوى اللغوي، أو على المستوى الإيقاعي، لأن هذا الفن القديم قدم اللغة العربية لم يكن بدعا من القول، فلقد عرفه العرب منذ العصر الجاهلي، و احتضنوه و طوّروه في شعرهم و نثرهم، فالتكرار عادة يقوم على الكلام الفصيح، الذي يقرع الأسماع ويستميل النفوس، لأن حسن توظيفه لا يتعارض مع البلاغة التي تقوم على الإيجاز في القول، و السرعة في الجواب، و لا يتعارض مع الجمال الذي يجعلنا نحسّ بقيمة النصوص و ذوقها فإذا كان الكثير من النقاد يرون أنه يذهب بشطر من جمالية العمل الأدبي، فإن الكلام كلام المولى عز و جل يسمو على هذه الآراء النقدية حتما، لما فيه من أسلوب رفيع حافل بالدلالات و الإيـــحاءات، فعادة ما نجد التكرار في القرآن الكريم على شكل ألحان عذبة مطردة الإيقاع، قوية التنغيم، ظاهرة الرنين يهدف المولى عز و جل إلى هتك الحجب ، ولمس شغاف القلوب بهذا الكلام المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إنه بستان العارفين ورياض الصالحين الذي تهفو إليه النفوس إذا أوحشتها الخطوب ، وهو ما دفعنا إلى الوقوف مع التكرار بكل أنواعه .

1- تكرار المعاني :

ويظهر هذا جليا في تكرار بعض الأخبار والقصص (خاصة قصص الأنبياء*)، فنجد المولى عز وجل يتعرّض لنفس القصة في عدد من السور، ولكن أسلوب العرض و السرد يختلف من سورة إلى أخرى ، كما يختلف معه حتى إيقاع الفواصل دون أن يشعر القارئ أو السامع للقرآن الكريم بالرتابة و الملل ، لأن هذا التكرار يقع في الأذن لطيفا مستساغا ؛ فتكرار المعاني له أسراره وحكمه لأن كلام المولى عز وجل في مستوى واحد من الفصاحة والبلاغة بعكس «كلام الأدمي إن امتدّ وقع فيه التفاوت ، و بان عليه الاختلال»[1] .

مع العلم أن تكرار المعاني في القرآن لا يخرج عن غرضين هامين:

أ- «إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى ، خشية تناسي الأول لطول العهد به»[2] ، وهذا الغرض عادة ما يرتبط بمعاني الوعد والوعيد ، يقول المولى عز وجل على لسان نوح عليه السلام : «ثم إني دعوتهم جهارا ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا»[3] ، فقد كان يكرر على قومه نفس موضوع الكلام وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده ، ولو بأساليب مختلفة قصد تثبيت الكلام في نفوس المخاطبين .
ب- إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارات ، وبذلك تتجلى مظاهر إعجازه وإنه لا مجال لكلام البشر في مجاراته والنسج على منواله ، فمثلا قصة موسى عليه السلام في سورة «طه» هي نفسها في سورة «القصص» لكن طريقة العرض القصصي تختلف بينهما إلى درجة يحس القارئ أنه أمام خبر جديد وقصة جديدة يتشوق إلى معرفة تفاصيلها ، وكما هو معلوم أن الكلام إذا تكرر تقرّر و لكل تكرار فائدة معينة، فالمولى عز و جل لم يلتزم في كلامه بأسلوب واحد في حديثه عن المواضيع المكرّرة، ففي كل مرة نجد هناك تغييرا في التصوير و التعبير، فيستحيل مع ذلك العثور في القرآن الكريم على معنى يتكرر بأسلوب واحد فقط .

إن وحدة المعاني و القصص في القرآن الكريم لا تعني تماما وحدة الأسلوب و الأداء ، فالقارئ للقرآن يلتقي في كل مرة مع إيقاع معين، يقرع سمعه و يهز عواطفه، فيلتقي بذلك مع كلام المولى عز و جل لقاء حقيقيا يتفاعل معه، و يهتدي بهديه .

* - من أكثر القصص المكررة في القرآن هي قصة موسى عليه السلام مع فرعون.
[1] - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 30.
[2] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 10.
[3] - نوح ، الآية : 8-9.

1- تكرار الحروف:

رأينا في ما سبق تلك المسحة الجمالية التي يظهرها تكرار الحرف في الشعر الجاهلي، و أكيد أنه لا مجال للمقارنة بين كلام المولى عز و جل و كلام البشر مهما وصلت و علت درجاتهم في الفصاحة و البلاغة فالقارئ المتدبر للقرآن الكريم يرى ذلك التناغم و الإيقاع الجميل؛ الذي تحدثه حركة حرف الروي في الفواصل القرآنية، حيث نجد فاصلة تنتهي بالياء، و أخرى بالنون، و أخرى بالراء و هكذا، فالقارئ يجد نفسه أمام تموجات صوتية رائعة لأن التكرار « يسمو في حروف الفواصل إلى أن تلتزم حرفا أو أكثر قبل حرف الرّوي و هو ما سمّاه العروضيون « لزوم ما لا يلزم » على حين يسميه البلاغيون في النثر « الالتزام » كأن يلتزم حرف قبل حرف الروي أو أكثر – بشرط عدم الكلفة – كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾، التزمت الهاء قبل الراء، و مثله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾، التزمت فيها الراء قبل الكاف»[1].

و من الملاحظ أيضا أنه في القرآن الكريم حروف كثر استعمالاتها في رؤوس الفواصل، و أكثر الحروف استعمالا في فواصل القرآن هو حرف « النون » ثم يليه حرف « الميم » و هما من حروف الترنم، في حين أننا لا نجد حرف « الخاء » فاصلة أبدا في القرآن الكريم، و هذا نظرا لصعوبة الوقف عليه، و قد تختلف الحروف في أواخر الكلمات، و لكننا نجد حركة حرف الروي تتكرر من أول السورة إلى آخرها[*] وفق نغمات إيقاعية مؤثرة، و هناك من المحدثين[*] من تطرق حتى للوزن العروضي لكلمات الفواصل، فوجدوا أن التفعيلة «فعولن» هي الشائعة في القرآن الكريم و لو أن كلام المولى عز و جل منزّه عن الشعر و القوافي.

إن تنوع الإيقاع في حروف الفواصل مرتبط تماما بتنوع جو السورة و الموضوع الذي تتناوله، فنجد أن جرس الألفاظ و فواصلها فيه رخاء و لطف مع آيات الوعد و التبشير، و أما المواضيع التي تقتضي الشدة والعنف، فتجيء فيها الفواصل مشدّدة في الغالب ، لأنه هناك بعض الفواصل ترد متماثلة حروف الروي على نسق واحد في سورة كاملة كما هو الحال في بعض سور المفصل ، وأطولها سورة «القمر» التي التزمت حرف الراء الساكنة ، وعلى الروي نفسه جاءت سورة «القدر» و «العصر» و «الكوثر» ،

---

[1] – محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص275-276.

[*] – كما هو الحال في سورة الإسراء، الكهف، الشمس، حيث حافظت هذه السور على نفس الحركة و هي حركة الفتحة الممدودة.

[*] - مثل محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ص272 و ما بعدها، و تمام حسان في كتابه البيان في روائع القرآن.

والتزمت سورة «الشمس» في الفاصلة حرف الهاء الممدودة ، والألف المقصورة في سورتي «الأعلى» و «الليل».

كما نجد مظهرا آخر من مظاهر تكرار الحروف، وهو تكرار فواتح السور الذي يعتبر قمة في الإعجاز لما في هذه الحروف من إشباع بالمد ، وبراعة بالاستهلال تتهيأ معه نفسية القارئ لما سيسمعه «لأن الحروف التي بنى عليها العرب كلامهم تسعة وعشرون حرفا ، وعدد السور التي افتتحت فيها بذكر الحروف ثمان وعشرين سورة ، ليكون هذا برهانا ساطعا على أن القرآن الكريم منتظم من الحروف التي ينتظم بها العرب كلامهم ممثلة – هذه الحروف- كل الظواهر الصوتية الموجودة في اللغة العربية ، مهموس ومجهور ، شديد ورخو »[1].

فالمولى عز وجل لم يكرر هذه الحروف في فواتح السور أو في الفواصل عبثا، وإنما كان هذا التكرار إعجازا للإنس و الجن ، وإثباتا لعجزهم وقصورهم في مجاراته ومعارضته «وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حدّ يتعلق به الإعجاز من وجه ، وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصّها في النظم إذا كانت حروفا كنحو "ا لم" »[2].

إنه كلام المولى عز وجل الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ففي كل سورة نجد نظما ونسقا وإيقاعا جديدا تهواه الأنفس وتلذ له الأسماع ، لأن الجمال في كل جزء منه معاد مردّد ، ومتى عدت لقراءته وسماعه كان في العود أحمد .

3- تكرار الألفاظ :

ويزخر القرآن الكريم بالألفاظ المكررة التي تأتي على وجه التأكيد ، فضلا عما تتضمنه من نكت بلاغية، كالتجسيم و التصوير ، والتهويل ، والترغيب ، والترهيب ، فصفة التكرار اللفظي في القرآن بلغت حد الإعجاز ، بعكس الكلام البشري الذي يؤدي به تكرار الألفاظ إلى الإطناب[*]، في الكثير من الأحيان، لأن مستويات الجمال والبلاغة تتفاوت في الكلام البشري بشعره ونثره ، فقد تفي بالغرض وقد تقصر، فتكرار اللفظ في القرآن يدل دون شك على عظمة المعنى الذي جعل من أجله ، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾[3] ، إن هذه اللفظة المكررة تلقي بظلالها على أجواء السورة

---

[1] – الباقلاني ، إعجاز القرآني ، ص 36.

[2] – المصدر نفسه ، ص 37.

[*] – نقصد بالإطناب معناه السلبي الذي يبعث فينا الشعور بالملل ، وليس بمعنى الإشباع الذي يستعمله أهل التفسير بمعناه الإيجابي .

[3] – الحاقة ، الآية : 1-3.

كلها حاملة معها كل معاني الجد والحق والكلام الفصل الذي لا مرية فيه ، بجرسها المدوي ومعناها المؤثر «... و الألفاظ في السورة بجرسها وبمعانيها وباجتماعها في التركيب ، وبدلالة التركيب كله ... تشترك في إطلاق هذا الجو وتصويره، فهو يبدأ فيلقيها كلمة مفردة، لا خبر لها في ظاهر اللفظ : «الحاقة» ...ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستهوال و الاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم «ما الحاقة؟» ثم يزيد هذا الاستهوال و الاستعظام بالتجهيل، و إخراج المسألة عن حدود العلم و الإدراك: «وما أدراك ما الحاقة» .. ثم يسكت فلا يجيب على هذا السؤال ، ويدعك واقفا أمام هذا الأمر المستهول المستعظم، الذي لا تدريه، ولا يتأتى لك أن تدريه! لأنه أعظم من أن يحيط به العلم و الإدراك !»[1].

إنه نفس التكرار الذي نجده في آية أخرى، قال تعالى : ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى *ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾[2]و في سورة «المدثر» في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾[3] إنها إيقاعات مميزة في رسم ملامح شخصية مستكبرة، و نفس خبيثة مراوغة، تعرف الحق و تعرض عنه .

إن جمالية تكرار اللفظ في فواصل القرآن الكريم قد بلغت شأنا عظيما، فبفضل جماليات تركيبها و جودة صياغتها، مع ما يصاحب تكرار اللفظ من إيقاع مقصود يهدف للتركيز على معنى معين، فقد خاطب المولى عز و جل الناس جميعا قصد التأثير في نفوسهم، و الأخذ بأيديهم إلى طريق الحق، فعندما يقول المولى عز وجل: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾[4].

ندرك أنها إشارة تفتح القلب و تنبه الوعي و تهز العواطف بجرس لفظها القوي، الذي يصور حالة التهويل والتعظيم و الدهشة و التساؤل «و القرع ضرب الشيء الصلب و النقر عليه بشيء مثله،و القارعة تقرع القلوب بالهول و الرعب، وتقرع الكون بالدمار و الحطم و ها هي ذي بجرسها تقعقع و تقرقع و تقرع وتفزع»[5].

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج6 ، ص3677.
[2] - القيامة الآية:34-35.
[3] - المدثر الآية :18-20.
[4] - القارعة الآية :1-3.
[5] - سيد قطب ،في ظلال القرآن، ج6، ص3677.

و هناك نوع آخر من التكرار يتمثل في تكرار الأفعال مع المزج بين أزمنة هذه الأفعال كمثل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ﴾[1]؛ فتكرار الفعل "غفر" كان بصيغة المزيد، لتأكيد المعنى المراد، مع جرس جميل.

و يقرب من هذا المعنى ما أسماه البلاغيون بأسلوب المشاكلة و هو : «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقريرا [*]»[2] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[3] ؛ أي مكروا بعيسى – و الضمير يعود على بني إسرائيل – بالحيلة و القتل، فجازاهم الله على مكرهم بالخيبة و الخذلان والخسران .

إذا فهذه الألفاظ المكررة بإيقاعاتها الجليلة ، وصورها وظلالها الوارفة ، وجرس فواصلها هي التي تأخذ النفس من أقطارها ، فتهزها هزا ، وتبعث فيها روعة الإعجاب ، والتسليم والانقياد ، لهذا الكلام الرباني الرفيع.

2- تكرار الجمل :

كما سبق وأن أشرنا فإن التكرار صورة من صور الإعجاز القرآني ، وهو من محاسن الفصاحة و البلاغة لأنه خال من التكلف، حيث نجده في الكثير من السور القرآنية بمستوياته الثلاث –الحرف، اللفظة ، الجملة –يساوق المعنى الذي جعل من أجله وفق إيقاعات مميزة ، فنجد مثلا في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ، أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4] ، دعوة للتأمل ، للتدبر في هذا الخالق الذي أتقن كل شيء ، فالشيء الذي يلفت النظر في هذه الآيات البيّنات أن جملة «أإله مع الله » هي الركيزة ،

---

[1] – التوبة الآية :80.

[*] – هكذا في الأصل و لعلها تقديرا!

[2] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص281.

[3] – آل عمران الآية : 54.

[4] – النمل ، الآية : 60-64.

وقطب الرحى الذي يدور حولها معنى الآية ككل ، وفيها بيان لمدى قدرة المولى عز وجل على الخلق والإبداع والتدبير والتسيير، فهذا الإله المستحق للعبادة هو الذي رفع ووضع ، و ضر ونفع ، ووهب ونزع ، وفرّق وجمع ، و أعطى ومنع، وسنّ وشرّع ، و أنشأنا من نفس واحدة بـــمستقر ومستودع ، هذه الكلمات «أإله مع الله» هي التي من أجلها خلق المولى عز وجل هذا الوجود لعبادته وتوحيده ، و أبرز سورة يتجلى فيها التكرار بوضوح هي «سورة الرحمن » «بهذا الإيقاع الصاعد الذاهب إلى بعيد ، يجلجل في طباق الوجود ، ويخاطب كل موجود ويتلفت على رنته كل كائن ، وهو يملئ فضاء السموات والأرض ، و يبلغ إلى كل سمع وكل قلب ... »[1] .

فنجد هذه الآية الكريمة ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قد تكررت في السورة إحدى وثلاثين مرة ، كما يجب أن لا نغفل ما يسبق وما يتبع هذه الآية الكريمة من تنوع في المواضيع ولو لم يكن هذا التنوع لكان ضربا من التكرار الممل ، الذي يتنـــزّه عنه القرآن الكريم كل التنـــزّه ، فالمولى عز وجل في هذه السورة ذكر نعمه على خلقه من الجن والإنس، وفق تسلسل منطقي عجيب، حيث استهل السورة بنعمة العلم ثم ذكر جملة من مخلوقاته العظيمة، كالسماء والأرض والشمس والقمر و النجم، ثم ذكر خلق الإنس والجن وذكر نعمه عليهما، ثم ينتقل مباشرة إلى الدار الآخرة ، فيذكر عذاب الكفار ونعم الأبرار مع تصوير حالة كل منهما في دار القرار، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ غرضه التقريع والتوبيخ ومعناه «فبأي نعم الله يا معشر الإنس و الجن تكذبان ؟ قال أبو حيان: و التكرار في هذه الفواصل للتأكيد والتنبيه و التحريك»[2] وفي سورة "القمر" تتكرر في هذه الآية الكريمة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [3]عقب كل حادث مروع لهؤلاء المكذبين عبر التاريخ ، وكيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، جراء جبروتهم وعلوّهم و استكبارهم عن آيات الله ، فهذا التكرار الجميل يصور لنا أن جزاء الإعراض و الطغيان في الأرض بغير حق يكون مآله العذاب في الدنيا و الآخرة، حيث يؤكد المولى عز وجل هذا المعنى بإيقاع سريع حسب ما هو عليه عرض الأحداث «يعكسه التماسك بين الحروف، و التجاذب بين الكلمات ، و التساوق في النغم المنبعث منها، فلا خلخلة ولا اضطراب ولا ثقل»[4] ، فهدف هذا التكرار واضح وهو التأثير في النفوس واتّعاظ اللاحق من السابق، فتكرار قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ثلاث مرات، وقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[5] مرتين ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج 6 ، ص3446.

[2] – الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج3 ، ص 280.

[3] – القمر ، الآية : 16.

[4]– محمود السيد حسن ، من روائع الإعجاز في القصص القرآني ، ص 140، 141.

[5] – القمر ، الآية : 37.

مُذَّكِرٍ﴾[1] أربع مرات ، لأن تجديد الأسماع وشحذ الهمم يحتاج لمثل هذا، ولسان الحال و المقال ، يا نائما استيقظ، و يا غافلا تنبّه.

ومثل هذا النوع من التكرار هو ما يسميه النقاد في الشعر بـــ «اللازمة» مثلما مر معنا مع قصيدة «المهلهل» التي كرر فيها الشطر الأول في كل الأبيات "على أن ليس عدلا من كليب" وهو ظاهرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[2] «ويتكرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة، وهو لازمة الإيقاع فيها، وهو أنسب تعقيب لملامحها الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد»[3] ، وقد يحدث في الآيات المكررة أن تحل لفظة مكان أخرى كما في قوله تعالى : ﴿ سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[4] المكررة في سورة «الصافات» يتغير فيها اسم النبي من «نوح» إلى «إبراهيم» إلى «موسى وهارون» إلى «آل ياسين» عليهم السلام، وهذا التكرار لقصد موافقة السياق من قصة إلى أخرى ، في جو بلاغي مثير، فيه التلطف و الإيناس مع هؤلاء الأنبياء الأخيار.

---

[1] – القمر الآية : 17.

[2] – المرسلات ، الآية : 15.

[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص 3789.

[4] – الصافات ، الآية : 79.

أسلوب الإيقاع في الفواصل القرآنية

إن للإيقاع – في مقاطع الفواصل- أثر كبير في تحسين الكلام و تجويده، و إيضاح المعنى و توصيله، إذ له أثر كبير في النفس، بعد أن يقرع الأذان، و يهز القلوب، و لقد رأينا فيما سبق كيف أن الفواصل القرآنية يبدو فيها الإيقاع جليا واضحا، بفضل التناسق الدقيق للحروف – أو الوحدات الصوتية- داخل اللفظة الواحدة، فالقارئ أو المستمع للقرآن الكريم يلمس فيه تلك المناسبة بين الألفاظ و معانيها، فلا المعنى سابق الفاصلة، ولا الفاصلة ينبغي لها أن تسبق المعنى، و لا هما معا على حساب سياق الكلام و أحواله، فنجد الفاصلة في القرآن تراعي المعنى، و السياق، و الجرس، و خاتمة الآية و جوّ السورة، و كل ما يتعلق بوجودة التعبير و جماليته، فورودها كما هي عليه له ما يبرره فنيا و لغويا، فقد كنا ذكرنا فيما سبق مدى اهتمام العرب بالأصوات، فكانوا «إذا ترنـــّموا فإنهم يلحقون الألف و الواو و الياء، و ما ينوّن و ما لا ينوّن، لأنهم أرادوا مد الصّوت»[1].

و قد كثر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد و اللين و إلحاق النون، وفق الطبيعة الإيقاعية للقرآن الكريم.

إن ورود النون بعد حروف المد متواكبة في القرآن قد أبان عن السّر الصوتي المتجلّي في جزء كبير في فواصل الآيات القرآنية، و لتوضيح ما ذهبنا إليه، نبرزه في الأمثلة التالية:

أولا: وردت الألف مقترنة بالنون بشكل كبير في فواصل سورة "الرحمن" على شكلين :

أ- ورودهما متتاليين و هما – الألف و النون – من أصل الكلمات، و جزء لا يتجزأ منها كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْءَانَ، خَلَقَ الإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[2].

ب-ورود الألف و النون متتاليين و لكن ملحقان بالكلمات، و ليس من أصلهما علامة على الرفع و دلالة على التثنية كما في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3] ففي كلا الموضعين يمد الصوت فيتحقق الترنّم.

---

[1] – سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج4، ص575.

[2] – الرحمن الآية:5.

[3] – الرحمن الآية: 19-21.

ثانيا:وردت الياء مقترنة بالنون في عدّة مواضع من الفواصل القرآنية، يقول الحق تبارك و تعالى مخاطب "نوح عليه السلام": ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ، ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾[1].

ثالثا: وردت الواو مقترنة بالنون في أجزاء عديدة من القرآن، فسورة الشعراء مثلا فيها تعاقب على الياء و النون، إضافة إلى تعاقب الواو و النون، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[2].

فالملاحظ أن هذه الحروف – المد و اللين و إلحاق النون- تخلق لنا جوًّا من الإطراب و المتعة، بفضل ما تحدثه من نغم جميل، ينشرح له الصدر، و يهفو له القلب، و تستلذه الأذن، لأنها فعلا ظاهرة صوتية تلقي بظلالها على الكثير من الفواصل القرآنية، و ما تفتأ تعطينا الجمال و المتعة «و ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى[*]، و هي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت و الوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، و تراها أكثر ما تنتهي بالنون و الميم، و هما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد، و هو كذلك طبيعي في القرآن»[3]، و قصد الأداء الصحيح لهذه الفواصل و التغنـــّـي بالقرآن وجب معرفة ضابط الوقف الذي يمكّننا من معرفة الفواصل صوتيا و قد حصرها العلماء في طريقيـــن:

1- الطريق التوقيفي:

هو الثابت بالكتاب و السنة و إجماع العلماء عليه «فما ثبت أنه صلى الله عليه و سلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة، و ما و صله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرّة ووصله أخرى ، احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام للاستراحة»[4].

---

[1] – المؤمنون الآية: 28-31.

[2] – الشعراء الآية:(54-57).

[*] – هذا اللفظ لم يسبق للقدامى و أن أطلقوه على القرآن، و لكن المحدثين يستعملونه بكثرة و يطلقونه على إيقاع الفواصل القرآنية، و لسنا ندري إن كان ذلك جائزا من الناحية الشرعية أم لا؟!

[3] – الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص216- 217.

[4] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص290-291.

فلقد وردت إلينا الكثير من الأحاديث تدعوا إلى قراءة القرآن و ترتيله، و كان صلى الله عليه و سلم يحب أن يسمع القرآن من غيره، و يعجبه الصوت الحسن الذي يبعث على الخشوع، فقد كان يقول عن الصحابي الجليل «عبد الله بن مسعود»، «أنه أوتي مزمارا من مزامير داوود عليه السلام»، و قد دعانا المولى عز و جل بقوله ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾[1]، و قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾[2]، «وقد أجمعوا على أن النقص في كيفية القرآن، و هيئته، كالنقص في ذاته و مادته، فترك المدّ و الغنة و التفخيم والترقيق كترك حروفه و كلماته، و من هنا وجب تجويد القرآن»[3]، فقد أثر عن الرسول صلى الله عليه و سلم أنه كان يقرأ القرآن آية، آية (يقطّعه) و يقف على رؤوس الآي، فالقارئ للقرآن وجب عليه أن يتأسى بالرسول صلى الله عليه و سلم في قراءته، نقلا عن جبريل عليه السلام، لأن من معاني «الترتل: تنسيق الشيء ورتلت الكلام ترتيلا، إذا أمهلت فيه و أحسنت تأليفه، و هو يترتل في كلامه إذا فصل بعضه من بعض» [4] .

فالعرب إذا كانت تعلم أن لفظة "رتّل" بمعنى فصل و فرّق، و هذا الكلام ربما يدعم تلك الآراء القائلة بأن الفاصلة لها سند شرعي في القرآن و سند عرفي مأثور عن العرب، فالفواصل بهذه الشاكلة موقوفة على قراءته صلى الله عليه و سلم، أي كما جاءت بالتلقي عنه.

2- الطريق القياسي:

يقول "الزركشي": «و هو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب و لا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه و لا نقصان، و إنما غايته أنه محل فصل أو وصل و الوقف على كل كلمة جائز و وصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياسي طريق تعرّفه فأقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، و قافية البيت في النظم، و ما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحدو و الإشباع و التوجيه فليس بعيب في الفاصلة، و جاز الانتقال في الفاصلة و القرينة و قافية الأرجوزة، من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيد»[5].

و على ما بنى عليه الزركشي رأيه كان الانتقال في الفواصل القرآنية، فلا التزام للوقوف عند حرف معين في مواضع من السور، و يلتزم الوقوف في مواضع أخرى، كما أنه يجمع بين الالتزام و عدمه في بعض

---

[1] – المزمل الآية :4.

[2] – البقرة الآية:121.

[3] – عبد الكريم مقيدش، مذكرة أحكام التجويد، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2008، ص 21.

[4] – الخليل، العين، ج1، ص215.

[5] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص98-99.

السور لأن الانتقال من الوقوف على حرف إلى الوقوف على حرف آخر، أو صيغة تعبيرية أخرى في فواصل القرآن أمر مطرد و شائع، ونمثل لكلامنا هذا بثلاثة أوجه :

أ- جمع القرآن بين "تحشرون" و "العقاب" و هما مختلفان في حرف الفاصلة و الوزن في قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ، وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، و في السورة نفسها جمع بين "تعلمون" و "عظيم" في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ* وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2].

و لما كان الأصل في الفاصلة و القرينة المجردة في آية القرآن و سجعة النثر المساواة و المماثلة، فقد أجمع أهل الاختصاص على ترك عد بعضها فواصل لعدم مشاكلة هذه الألفاظ للفاصلة التي قبلها، لذلك فهي قد تأتي وقفا جائزا للاستراحة أو لغيرها، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾[3]، و ﴿ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[4] و﴿وكَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾[5]، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾[6]، و ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[7].

ب-الوقوف عند حرف معين لا يتغير في الفاصلة : كما في سورة "الرّعد"، و سور أخرى متعددة، فمن أمثلته جملة من السور القصار، كسورة الإخلاص، الناس، الكوثر، الفيل، و بعض السور الوسطى كالقمر، و الأعلى لأن القارئ لهذه السور يراعي مواضع الوقوف فيها، و بالتالي يحس بإيقاع عجيب داخل السياق نتيجة «فواصلها السريعة، و مواضع التصوير و التشخيص بصفة عامة، و يتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطوال حتى تنفرد الدقة دونه في آيات التشريع ، ولكنه –على كل حال- ملحوظ دائما في بناء النظم القرآني»[8].

ج- الوقوف عند حرف معين للفاصلة في بعض السور ، و الانتقال منه للوقوف عند حرف آخر للفاصلة في بعضها الآخر، كما هو ملاحظ في عدد من السور كالمرسلات، النازعات، التكوير، الانفطار و

[1] - الأنفال الآية: (24-25).
[2] - الأنفال الآية: (27-28).
[3] - النساء الآية: 133.
[4] - النساء الآية: 172.
[5] - الإسراء الآية: 59.
[6] - مريم الآية: 97.
[7] - طه الآية: 113.
[8] - سيد قطب، التصوير الفني، ص85.

المطففين، ففي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ* أُولَئِكَ هُمْ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾[1]، نجد أن صوت الهاء فاصلة في عدد من آياتها، و بعدها يجد القارئ نفسه منتقلا إلى الراء الملحقة بالتاء القصيرة بعدها في آيات أخر، وفق نظام صوتي جميل «و نريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن و ائتلافه في حركاته وسكناته و مداته و غناته، و اتصالاته وسكتاته ، اتساقا عجيبا و ائتلافا رائعا يسترعي الأسماع و يستهوي النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم و منثور »[2].

لذلك يجد الإنسان نفسه متفائلا، وخاشعا وخاضعا لكلام الله تعالى خاصة إذا سمعه من صوت عذب أغنٍّ.

2- خصائص الإيقاع في الفواصل القرآنية :

كنا أشرنا فيما سبق – في بلاغة الفواصل القرآنية- إلى التقديم و التأخير، ومراعاة أماكن الألفاظ في الفواصل القرآنية لأسباب ذكرناها سابقا ، وفي هذا الجزء سنتطرق إلى بعض الخصائص الإيقاعية لهذه الفواصل، لأن «الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعى في كثير من آيات القرآن ، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة ، ولقد يتكلم البلاغيون في أغراض التقديم و التأخير فيوردون من أسباب ذلك أمورا تدور حول رعاية المعنى ، ربما جعلوا الاهتمام بمدلول اللفظ عنوانا يندرج تحته الكثير من هذه الأمور، وهذا الأمر لا اعتراض عليه، ولكنني لا أعلم واحدا منهم جعل من أغراض التقديم و التأخير والانتفاع بجرس اللفظ»[3].

والحقيقة التي لا مناص منها أن الفواصل القرآنية لها دور كبير في التناسق الصوتي و الدلالة على المعنى كما أن لها دورا في تناسب الإيقاع ، دون طغيان الأول على الثاني ، ولا الثاني على الأول ، لهذا يؤثر في هذا المقام حسن اختيار الفواصل القرآنية ذات الجرس المعيّن على أداء الوظيفة الجمالية للإيقاع ، ومن أجل ذلك يلفت نظر القارئ مراعاة المناسبة بين الإيقاع و المعنى من خلال ألفاظ نادرة الاستعمال في اللغة ، ومن ذلك إيثار أغرب اللفظين نحو "قسمة ضيزى" في قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾[4] فقد جاءت هذه اللفظة –الفاصلة- على نفس الحرف الذي جاءت السورة جميعها عليه.

---

[1] – عبس الآية: (34-42).

[2] – كمال الدين المرسي، فواصل الآيات القرآنية ، ص 194.

[3] – تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، نشر عالم الكتب، القاهرة ، دط، 1413 هـ، 1993م، ص 282.

[4] النجم الآية : 21-22.

إذن هذه اللفظة " ضِيزَى " — وهي مفردة لاشك- لو أفردت لما كان لها من انسيابية ووقع جميل على الأذن ما للكلمة المرادفة لها "جائرة" ولكن قيمتها تظهر في وجه إيقاعي عجيب عند توظيفها في النظم القرآني وقد وقف عندها الكثير من البلاغيين — قدماء ومحدثين- وقالوا كلاما جميلا حول غرابتها، وحسن توظيفها في المكان و السياق المناسب لها ، يقول "الرافعي" : «وفي القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط، إلا في موقعها منه، وهي كلمة " ضِيزَى " ، في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن و أعجبه ، ولو أدرت عليها اللغة ما صلح لهذا الموضع غيرها»[1].

إن "الرافعي" بذوقه الرفيع ، وحسّه البلاغي أدرك ذلك التناسب في السّياق و رأى أن غرابة اللفظة * من غرابة تلك القسمة الجائرة الظالمة التي تجعل الملائكة و الأصنام التي يعبدونها بناتا لله، لذا يتشكل في النفس عند نطقها إحساسا بثقلها على اللسان، وبغضها و النفور منها ، وفي هذه الآية تبدو دقة النظم و الإيقاع جلية «فلو قلت: "ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى" لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة "إذن" ولا يعني هذا أن كلمة —إذن– زائدة لمجرد القافية أو الوزن، فهي ضرورية في السّياق لنكت معنوية خاصة، وتلك ميزة فنية أخرى؛ أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق وتؤدي تناسب في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، أو يخضع النظم للضرورات » [2] و الكلام الذي قيل عن الفاصلة " ضِيزَى " نقوله عن الفاصلة التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[3] ؛ إذ لو قيل :"ومناة الثالثة" فقط لاختل الوزن عما سارت عليه الفواصل السابقة للسورة ، ولتعطل الإيقاع لعدم توافق القافية مع سابقاتها ، إضافة إلى النكتة المعنوية، لأن هذه الفاصلة جاءت موافقة لمجموع فواصل السورة إيقاعيا، حيث نجد سورة "النجم" «في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة ، و يلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة؛ ويبدو القصد فيه واضحا في بعض المواضع؛ وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية التضمن سلامة التنغيم ودقة إيقاعه — إلى جانب المعنى المقصود الذي تؤديه في السياق كما هي عادة التعبير القرآني»[4] .

---

[1] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب، ج2، ص 215.

* – أجهد العلماء القدامى أنفسهم في تأليف ما يعرف بغريب القرآن كابن قتيبة ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهم، وليس مرادهم أنها ألفاظ شاذة أو نافرة أو منكرة كما هو متداول في اللغة ، فالقرآن منــزّه عن هذا جميعه ، وإنما اللفظة الغريبة ها هنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها و سائر الناس. ينظر : الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار المنار ، القاهرة ، ط1، 1997م، ص 56.

[2] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص 86.

[3] – النجم الآية : 19-20.

[4] – سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج6، ص 3404.

ومن هذا يتجلى لمتلقي القرآن الكريم سبب إطلاق العرب الأوائل –زمن الرسول صلى الله عليه وسلم– اسم الشعر على القرآن الكريم لأنهم رأوا «أن تقفية الشعر تعني خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية ، وقد جعل الالتزام بالقافية جزءا من عمود الشعر الذي لا يكون الشعر شعرا إلا به ، وفي القرآن من الفواصل ما يتشابه جرسه في الأذن ولا يتطابق بالضرورة في الحرف، فحين سمع المشركون هذه الفواصل ولمحوا تشابه أجراسها غرّتهم عن ملكاتهم و أذواقهم فربطوا بينها بالباطل وبين تقفية الشعر ، ثم ادعوا لأدنى ملابسه أن القرآن قـــول شاعر ومن هنا جاء الرد القرآني عليهم﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾[1]»[2]، فهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه ليس بشعر و ليس بسحر، وجحدوا بحقيقة القرآن الكريم، واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوًّا ، وما ذلك إلاَّ لطغيانهم وتجبرهم، فلما زاغوا عن طريق الحق أزاغ الله قلوبهم ، وصنف آخر نظروا إلى القرآن الكريم نظرة إنصاف ، والإنصاف حلَّة الأشراف ، والأشراف قليلو الأصناف من أمثال هذا الأعرابي الذي «سمع رجلا يقرأ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾[3]، فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام (...) ذلك أن الآية ذكرت صفة اعتزالهم لجميع الناس، وانفرادهم من غيرهم وتقليبهم الآراء ظهرا لبطن ، وأخذهم في تزوير ما يلقون به أباهم عند عودتهم إليه ، وما يوردون عليه من ذكر الحادث ، فتضمنت هذه الآية القصيرة معاني القصة الطويلة»[4] نظرة صائبة بحق ، وحسّ بلاغي معلّل يدل حتما على حذقة وفطنته، وإلمامه بأسرار اللغة و أغوارها ، فقد أحسّ فعلا «بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب ، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر، لأن الموسيقى تتشابه أجراسها و تتقارب أنغامها ، فلا يفتأ السمع أن يملها ، والطبع أن يمجها ، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان و تتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالبا و إن طالت ، على نمط يورث سامعه السأم و الملل ، بينما سامع لحن القرآن لا يسأم و لا يمل ، لأنه ينتقل فيه دائما بين ألحان متنوعة ، وأنغام متجددة ، على أوضاع مختلفة ، يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة»[5].

هذا هو كلام الله ، أسّ الفضائل ، ولجام الرذائل ، الذي روّض كبار صناديد مكة ، فانقادت له راغبة مختارة، فميزة التطريب و التغني في كلمات القرآن، هي التي تؤنس النفوس، إذ أوحشتها الخطوب وترادفت عليها الضوائق، وطال عليها ليل المـــحن، فهناك فرق كبير بين من تليت عليهم آيات الله فزادتهم

---

[1] – الحاقة الآية : 41.

[2] – تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص 275.

[3] – يوسف الآية : 80.

[4] – كمال الدين عبد الغني المرسي، بلاغة الفواصل القرآنية، ص 62.

[5] – المرجع نفسه ، ص 150.

إيمانا ، وبين حثالة من أراذل الناس ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[1].

فالصنف الثاني لا يريد أن يسمع حتى النصيحة التي تخرجه من الظلمات إلى النور لذلك يلجأ إلى كل الطرق التي يعبر من خلالها عن إعْراضه وعتوه، فإيقاع الكلمة القرآنية —كما أسلفنا— والدقة في مبناها ومعناها داخل ذلك النظم الرباني الرفيع، هو الذي يعمل عمله في النفوس ، فيوقد الحس، ويجذب الحواس بشتى الألوان، وشتى الإيقاعات و المؤثرات ؛ فالمولى عز وجل يواجه كل قوم بما حذقوه وبرعوا فيه، فمعجزات الأنبياء ترتبط بما يعرفه القوم عادة، فعيسى عليه السلام يبرئ الأكمه و الأبرص ويحي الموتى بإذن الله ، في قوم برعوا في الطب، و" موسى عليه السلام" تنقلب عصاه إلى حية مع قوم برعوا في السحر، ومحمد صلى الله عليه وسلم مع قوم برعوا في الفصاحة و البلاغة و أفانين الكلام، فوصف فرعون و أتباعه "موسى عليه السلام" بالساحر ، وأطلق كفار قريش لفظ السحر على القرآن الكريم ، فأمية "موسى عليه السلام" بالسحر ، كأمية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة ، فكلاهما لم يكن له ممارسة حول ما جاء به ، وكان يجهل معجزته قبل الرسالة ، ومن هذا يتضح أن كلام المولى عز وجل معجزة خالدة أبد الدهر و ما حالنا معه إلا كحال ذلك القائل : «فمثل هذا البيان الرائع و الجرس العذب ، يسري في النفس سريان الروح في الجسد وأقسم بالله أنني أشعر بهزّة في نفسي كلما قرأت القرآن لما له من وقع عذب على السمع ، وأحيانا أجدني أتمايل طربا بدون شعور أكثر مما يتمايل المغرمون بالأنغام ، وما ذلك إلا لروعة البيان في هذا القرآن ، وصدق رسول الله حين قال : «إن من البيان لسحرا»»[2].

فمن خلال ما سبق نخلص إلى أهمية الإيقاع في الفواصل القرآنية ، وأنه جزء لا يتجزأ من جمالية الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم، وأن كلام الله لا مثيل له في كلام البشر ، ومن رواده شك في ذلك فليضع أية آية شاء مكان أخرى وستتجلى له تلك الحقيقة الناصعة ، وسيدرك أن الأسلوب القرآني قد خرج عن المعهود من كلام البشر.

---

[1] – نوح الآية : 7.

[2] – الصابوني ، صفوة التفاسير، ج3، ص 61.

الفاصلة في سورة الكهف

رأينا فيما سبق ذلك الجدل القائم بين الفاصلة و السجع، وطرحنا السؤال التالي: هل في القرآن سجع؟ وأجبنا بأنه لا سجع في القرآن [*]، وإنما هناك فاصلة ، «لأن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ؛ ولأجل تشريفة عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك؛ ولأن القرآن من صفاته تعالى ، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها»[1].

ورأينا كيف يتنوع الإيقاع في الفواصل بتنوع الجو و الموضوع ؛ فنلاحظ في سورة الكهف – النموذج في دراستنا- قد سارت من بدايتها حتى نهايتها على نفس الحركة؛ وهي حركة الفتحة الممدودة ، ففي بداية السورة يقول المولى عز وجل : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا، قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا »[2] وفي وسط السورة يقول المولى عز وجل : «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا ، وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا»[3] وفي ختام السورة يقول المولى عز وجل : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا»[4].

كما نلاحظ تنوعا في حركة حرف الروي ، بين الدال ، الراء، الباء، و اللام، ولو أن حرف الدال هو الغالب على السورة الكريمة ، ففي قصة أصحاب الكهف ، نجد حرف الروي "الدال" هو العنصر الغالب الذي تنتهي به فواصل الآيات (من الآية 03 إلى الآية 27) كما هو واضح في الكلمات «أبدا، ولدا، رشدا، عددا أمدا، أحدا، ملتحدا ...» ثم يبدأ التنوع بين الحروف في وسط السورة بين (الدال ، الراء، الباء) ثم سرعان ما يغلب حرف "الراء" على جو القصة بين «الخضر، وموسى عليهما السلام» من الآية (67 إلى الآية 82) حيث يرتعد رأس اللسان –يهتزّ- عند النطق بهاته الفواصل التي تنتهي بحرف الراء، خاصة إذا علمنا أن حرف الراء هو من حروف التكرار ، ثم يعود ذلك التعاقب و الاختلاف في

---

[*] – حجة العلماء الذين أثبتوا الفاصلة للقرآن و نزهوه من السجع ، أن السجع إما أن يأتي سهلا وتابعا للمعاني ، وإما أن يكون متكلفا يتبعه المعنى ، والقرآن لم يرد فيه إلا ما هو من القسم الأول لعلوه في الفصاحة.

[1] – السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ص 292.

[2] – الكهف الآية : 1-2.

[3] – الكهف الآية : 54-55.

[4] – الكهف الآية : 107-108.

حروف الروي حتى نهاية السورة ، كما نلمس ذلك التساوق بين بداية السورة ونهايتها من خلال الآيات التي تدعوا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.

كما نجد مراعاة الفاصلة في بداية السورة –التقديم والتأخير– في قوله تعالى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا، قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ »[1] «هذا من المقدم و المؤخر أي : أنزل الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا ، يعني مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، ولا اعوجاج ولا ميل عن الحق»[2].

فمعلوم أن القرآن الكريم جاء على سنن العرب في لغتهم بألفاظها وحروفها إذ أن المرتّل لهذه السورة الكريمة ، وفق أحكام الترتيل ، سيحسّ ولا شك بذلك الإيقاع و الجمال ينمو في نفسه في منحنى تصاعدي عند وقوفه على كل فاصلة «وهكذا تتبدّى تلك الموسيقى الداخلية في بناء التعبير القرآني ، موزونة بميزان شديد الحساسية تميله أفق الحركات و الاهتزازات ، ولو لم يكن شعرا ، ولو لم يتقيد بقيود الشعر الكثيرة ، التي تحد من الحرية الكاملة في التعبير الدقيق عن القصد المطلوب»[3].

فهذا التنوع في نظام الفواصل ، وحروف الروي من أول السورة إلى آخرها هو الذي أضفى على السورة تنوعا في الإيقاع ، مع نغمات صوتية مؤثرة وجذّابة.

---

[1] – الكهف الآية : 1-2.

[2] - الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج 2، ص 172.

[3] – سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ص 88.

توطئــــــــة:

أرسل المولى عز وجل الرسول صلىّ الله عليه وسلم إلى كفّار قريش وهم أهل فصاحة وبيان، فذهلوا واندهشوا من فصاحته وبلاغته حتى قال : «الوليد بن المغيرة »: «والله إنّي لأعلمكم بالشّعر وما هو بالشّعر، وأعلمكم بالنّثر و ما هو بالنّثر، وأعلمكم بكلام العرب، وإنّه يعلوا ولا يعلى عليه، وإنّ لقوله لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة...»[1] لكنّه سرعان ما نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم فكر وقدر، وطغى وتجبّر، و أطلق كلمة تخر لها الجبال هدّا ، فوصف القرآن بالسّحر، إذ أنّ «... العرب أمّة كانت تعشق كل كلام جميل ويأبى ضميرها البياني أن يشوّه جمال الكلمة، وهذا هو سرّ تردّد الوليد وعدم مطاوعة لسانه للقول في القرآن الكريم بما لا يعتقد حين أكره على ذلك، وقد صوّر القرآن هذه المنازعة النّفسية والولادة العسيرة لهذه الخاطرة الحمقاء الّتي رمى القرآن الكريم فيها بالسّحر »[2] وهذا وإن دلّ على شيء إنّما يدلّ على الأثر الّذي أحدثه القرآن الكريم في نفوسهم، ولكن هناك طائفة أخرى أثّر فيها كلام المولى عز وجل تأثيرا إيجابيا، فأخرجها من تلك الحياة المشتركة بين البهائم ، بل قد يكون حظّ كثير من البهائم منها أكثر من حظّ الإنسان، فمن لم يكن عنده لذّة إلاّ اللذّة الّتي تشاركه فيها السّباع والدوابّ والأنعام فذلك مسكين ينادى عليه من مكان بعيد، همّته همّة خسيسة دنيئة، فأين هذه اللذّة من اللذّة بقلب هزّه كلام الله عزّ وجل فسلا صاحبه عن الأبناء والنّساء والإخوان والأموال والمساكن والمراكب والمناكح والأوطان، ثم رضي بتركها كلّها والخروج منها شامخ الأنف ، رافع الرأس ، وادع النّفس ، منشرح الصّدر مطمئنّ القّلب يعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاقّ ، لعلمه أن الجنّة حفّت بالمكاره، ومن جملة هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر «عمر بن الخطاب »رضي الله عنه فقد كانت أوائل سورة «طه »سببا في هدايته، فقد التقى مع كلام المولى عزّ وجلّ لقاء حقيقيّا لا شعارا، لقاءا عميقا في تثبّت واعتزاز كيف لا يكون كذلك وقد التقى قلبه بأسمى الفضائل ولجام الرّذائل، وقوام الضمائر وسند العزم في الشّدائد ، وبلسم العبر عند المصائب،وعماد الرضا والقنّاعة بالحظوظ ، ونور الأمل في الصّدور وسكن النّفوس، وعزاء القلوب إذا أوحشتها الخطوب، فالنّفس الّتي لا تتفاعل مع كلام الله عزّ وجلّ مضطربة، حائرة ،متبرّمة، قلقة، تائهة خائفة كسفينة تتقاذفها الرّيح في لجج البحر وأمواجه، فالفرد الّذي لا يؤثّر فيه كلام الله تعالى حيوان شره فاتك لا تحدّه شراهته، ولا تقلّم أظافره، سئم حديده، فعجم عوده، وحطّم قيوده.

---

[1] - ابن هشام عبد المالك الأنصاري، السيرة النبوية، تح محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة، دب، دط، ج1،ص16.

[2] - محمد الأمين الخضري ورفاقه، أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 1997 م ،ص17.

الــــــذوق

يعترف المرء أن الفقيه من حقه أن يأخذ من القرآن حظوظه، و أن البياني والبلاغي له من الحقّ أن يأخذ بغيته، فمن الواجب علينا أن نقرّ أن الإنسان المسلم يأخذ من القرآن الكريم راحته واطمئنانه، فحينئذ يعبّر الفقيه عن حظوظه بلغته، ويشرح البلاغي والبياني ما أخذ بعباراته وكذا من حقّ المتذوّق لإنسانيته في القرآن الكريم أن يشرح للنّاس عواطفه وأحاسيسه مع هذا الكتاب العزيز العظيم الجليل فمن أعرض عن قراءته فله ذلك، فهو أدرى بنفسه ماذا يحب وماذا يشتهي وماذا يريد، لكن ليس له أن يحجر على النّاس ويقيّد الكلّ في ذاته ومراده، وهذا النّوع من الكتابة لم يكتب ليأخذ به شهادة العلم والتّقدير، ولم يكتب كذلك ليأخذه النّاس ويستشهدوا به في أبحاثهم وعلومهم، فهو لم يرد هذا وليس هو في نيّته ولكنّه شعر بقهر الكلمة له وأسرها له، فكتب، فإن شئت أعرضت ولا يضرّه في ذلك شيء، ولا يعني كلامنا فتح الباب لكلّ من هبّ ودبّ، فالفهم الصّحيح له قواعده و أصوله «... و إنّما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف اللّغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب و خطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها، و أراجيزها، و أسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب و معدوله، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة، وأجناس التّجنيس وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال، فإذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب العزيز ورأى ما أودعه سبحانه وتعالى فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أوتي العجب العجاب، والقول الفصل اللّباب، والبلاغة الناصعة الّتي تحيّر الألباب وتغلق دونها الأبواب (...) ولذلك يقع في النّفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة، و النفوس خشية، وتستلذّه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطّباع، سواء كانت فاهمة لمعاينة أو غير فاهمة »[1] وبذلك لا يستطيع أحد معه مسكة من عقل أن يجعل الأمر نهبا لكل أحد ، خاصة إذا علمنا أن كتاب الله تعالى هو كتاب هداية لكل مناحي الحياة وكتاب بصيرة لكل مشكلة، وكتاب علاج لكل طوارق الدروب، فالناس نوازعهم شتى وظروفهم مختلفة وميولاتهم متعددة ، وكتاب الله تعالى يقوم لذلك كله، ونحن نفهم خطأ من أغلق باب الفهم عن الله في كتابه، وانحراف زعم من زعم أنه ما ترك الأول للآخر شيئا، فإن كان القرآن قد توقّف نزوله بموت الرّسول صلى الله عليه وسلم ولحوقه بالرفيق الأعلى، ونحن نعلم أن ما عند الله خير لرسول الله، لكنّنا نجزم أن تنزّلات الرّحمة والفهم ستبقى ممدودة موصولة بين السّماء والأرض مادام القرآن بين أيدي المؤمنين به يقرؤونه وتفتح المعارف والمعاني ما يحمدون الله تعالى عليها .لهذا سيتجدّد في النّاس من يصرخ صرخة ذلك « الأديب » حين قال :«لقد وجدت القرآن » أو يقول ما قال ذلك العبد الصّالح لابنه: «يا بني اقرأ القرآن وكأنّه عليك يتزّل » ولعلّنا نحن أيضا نحبّ أن نقرأ ما في نفوسنا من كلام الآخرين وحين يتمّ التّطابق بين

---

[1] - ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص8.

المقروء وبين ما في نفوسنا سنصرخ بكلّ جوارحنا : هذه هي والله هي البلاغة وهذا هو والله قمّة الذّوق وهذا هو تعليم الله لعباده أو كقول القدامى : لله درك لقد أتيت على ما في نفوسنا !

فجلال المعنى الحاصل في النّفس ووضوحه هو الّذي يعطي الكلمة جمالها ويحبّب للنّاس سماعها وهذا هو الّذي يطرب له ويصغى له ويعلم النّاس أنّه ذوّاق رفيع النفس أديب العقل والقلب، يفهم عن نفسه فيفهم النّاس عنه، يقول «الباقلاني»:«...ثم انظر فيه آية آية، وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النّظم وبديع الوصف؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدّلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها، تجري في الحسن مجراها و تأخذ في معناها ؟ ثم من قصة قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور ذلك الفصل وصلا ببديع التأليف، وبليغ التنزيل »[1] .

فهذا المراد من كتاب الله ومن تلاوته وتدبّره ، راحة نفسيّة ، ومعاني شريفة ، واطمئنان بال وذهاب همّ، ومتعة وتذوّق قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَــزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[2].

فجعل سبحانه وتعالى آثار هذا القرآن على القلب والنفس والبدن هي الهداية ومن لم يجعل له شيئا من ذلك أو بعضه فهو على طريق الضّلالة، وهذه الآية قالها المولى عزّ وجلّ عقب قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[3] ؛ فهداية الله لعبيده إلى الإسلام وشرح قلوبهم له إنّما طريقه هو هذا الشعور النّفسي والقلبي لهذه الكلمات الربّانية الجليلة فالحديث عن هذه المشاعر وهذه المعاني القلبية هو الحديث عن مقصد القرآن وهدفه ومراده «... فالقرآن أعلى منازل البيان (...) وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتمكّن في النفوس ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويلمع ويؤنس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح، ويمكن ويزعج، ويشجن ويطرب ويهزّ الأعطاف و يستميل نحو الأسماع، ويورّث الأريحية والعزّة، وقد يبعث على بدل المهج

[1] - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص124.
[2] - الزمر الآية:23.
[3] - الزمر الآية :22

والأموال شجاعة و جودا، ويرمي السّامع من وراء رأيه مرمى بعيدا، وله مسالك في النّفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة »[1] .

فانظر إلى الذّوق الرّفيع لهذا البياني وكيف فسّر قيمة الكلام وأهميّته، وكيف جعله عظيما عاليا فالكلام العادي هو الذي يحدث آثارا على إرادات الإنسان وقراراته وتصوّراته فيأسرها معه ، فهنا تكمن قيمة الكلام وأهميّته أولا، نعم فعظمة القرآن ليس من هذا الباب فقط ، لكنّه الباب الأول الذي لا تقوم بقية الأبواب إلاّ به، من علوم ومواعظ وحقائق وتنبؤات وترغيب وترهيب ووعد و وعيد لكنّ كلّ هذه وغيرها من مقاصد القرآن مطويّة في داخل ما تقدّم، وبهذا تعلم أن الحديث عن هذا الجانب هو حديث عن القرآن وتفسير له، حتّى لو رأيت إعراض النّاس عنه، أو أكثر لديك كثرة الشّامتين له، إذ همّهم الوحيد أن يقفوا مع الحرف، أو يهيموا في الأطر القديمة .

فحين يقرأ المؤمن كتاب الله فيأسره، ويتخلّل قلبه وروحه ومشاعره، فيرتقي معه في درجات الصّفاء والنّور والحقّ، فما يخرج منه حينئذ من عبارات — إن كان صاحب عبارة – هو تفسير لكتاب الله تعالى وكشف لبعض جوانب الحقّ والنّور فيه، لأنّ هذا القرآن الّذي تحدّى به العرب لم يكن «مؤلّفا من غير حروف لغتهم الّتي رضعوا ألبانها صغارا وارتضوا أنفسهم على أدبها —شعرا ونثرا كبارا ، وقد ذكر الله عز وجل في مطلع سور من كتابه حروفا مقطّعة للتّنبيه به من العرب، ولكنّه —مع هذا —هو ذلك الكتاب المعجز الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله ، الكتاب الذي يتحدّاهم مرّة ومرّة و مرّة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله فلا يملكون لهذا التحدّي جوابا »[2] فكلّ من يسمع القرآن ويقرأ القرآن ويعيش معه سيرقى ويتفاعل معه، لأنّ الكلمة القرآنية أسرته وقهرته وحكمت مع مشاعره وجوارحه، إن كان من أهل الإيمان، أما من كان من المعرضين فإنّه أيضا لا يملك إلا الاعتراف بالعجز أمام مواجهة هذا التّأليف العجيب والنّظم الفريد، لأنّ أهل البيان الأوائل « لما قرأ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة ، ألحانا لغوية رائعة، كأنّها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به وكان ذلك أبين في عجزهم »[3] فكتاب الله تعالى لا يمكن أن يعطي آثاره كاملة ويحدث هذه المشاعر والمعاني حتىّ يكون قارئه ذوّاقا للكلمة كما سبق و أن أشرنا عالما بها، يحسّ بجرسها على نفسه وعقله، فإن ما يميز الإنسان عن العجماوات هو البيان، وهو سرّ الله

---

[1] - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 173.

[2] - محمد بن سعيد بن رسلان، فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، نشر دار العلوم الإسلامية، القاهرة، دط، 1409 هـ، 1989م، ص8 .

[3] - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2 ، ص171 .

في خلقه ﴿الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان ﴾[1] فمن رحمة الله على الإنسان أنه خلقه على هذه الهيئة الحسنة ، وأن أعظم منّة على إنسانية هذا الإنسان بعد حسن الخلقة هو البيان في أصل الخلقة، أما حين كان الأمر متعلّقا ببداية المنّة الإلهية بالهداية والإرشاد فإن الله تعالى ذكر منه القراءة وأداتها القلم ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[2] فالإحساس القويّ بالكلمة هو الّذي يحفظ للإنسان إنسانيته وربّما هذا ما دفع ببعض المفكّرين الإسلاميين إلى اعتبار أن كل حضارة تفقد دقّة الذّوق تفقد أسباب بقائها ، وهذا التذوّق لا يصنع الرّذيلة كما يفعل ذائقوا الرّجس الحرام إنّما هو ذوق يصنع ملكات الخير والفضيلة .

ولذلك حقّ لمن تذوّق الكلمة أن يسمى في لغتنا أديبا ، وعلى هذا فمن تذوّق هذا الكلام الحسن وسرى في نفسه وقلبه وعقله، فإنّه ولا شك سيرتقي في أعمال الخير، وستسمو نفسه معه، وهذا فرق بين أمّتنا وبين غيرنا ،فإنّك ترى ذواقّ الكلمة عندنا وفي تاريخنا هو الرجل الملتزم، فهو مثال لكلمته، وحقيقة لصورة عباراته على غرار هذا الأديب في وصفه للقرآن : « ألفاظ إذا اشتدّت فأمواج البحار الزافرة، و إذا هي لانت فأنفاس الميّاه الآخرة، تذكر الدنيا، فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنّتها وصرامها ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب »

ففقه المرء للقرآن يعرف حين تظهر آثار القرآن على نفس الإنسان وعلى خلقه وعلى سلوكه كما هو شأن النّبي صلى الله عليه وسلم كما وصفته عائشة رضي الله عنها«كان خلقه القرآن » وكلّما ازداد المرء تذوّقا لهذا الكلام الجميل كلّما ازداد قربا من عبوديته لهذا المتكلّم الجليل، وهناك فرق بين التذّوق الفطري وبين هذا التذوّق، وهو القائم على الأصول والقواعد والفهم والفقه، والأول في داخل كلّ إنسان وهو يقع عن طريق الفطرة وإحساس المرء بإنسانيته، أما الثّاني – هذا الأخير– فهو لا يقع إلاّ بالفقه والتّبصرة والإدراك والنّظر المتوالي مرّة بعد مرّة في كلام الله تعالى حتى تعلم ما يريد، وتفقه على الله تعالى خطابه فتخرج منه اللآلي والدرر ومعالي العلوم والمعارف ولهذا التذوّق أدوات أعظمها هو فقه اللّغة الّتي نزل بها كلام المولى عز وجل ومعرفة الأصول والإحاطة بالعلوم الشارحة لهذا الكلام«فلابد في مثل نظم القرآن من إخطار معاني الجمل وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللّغة، بحيث لا تندّ لفظة، ولا تتخلّف في كلمة، ثمّ استعمال أمسها رحما بالمعنى، وأفصحها في الدّلالة عليه، وأبلغها في التّصوير و أحسنها في النّسق و أبدعها سناء، و أكثرها عناء، و أصفاها رونقا وماء »[3].

---

[1] - الرحمان، الآية :1-4

[2] - العلق الآية : 3-4.

[3] - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2 ، ص171.

فقراءتنا للقرآن الكريم واحدة ولكن الفهم ورد الفّعل اتّجاه هذا النّص المقدّس تختلف باختلاف الأشخاص ومكانتهم العلمية .

وبما أننا اتخذنا«سور الكهف » نموذجا في دراستنا فلا بأس أن نقف على جانب من جوانب الذّوق في بعض آياتها، يقول المولى عزّ وجلّ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[1]، يقول«أبو جعفر الطبري*»:«إنّما افتتح الله عز و جل ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو أهل، وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله إخبارا منه المشركين من أهل مكة، بأنّ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك أن المشركين سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن أشياء»[2] ويقول «أبو حيان الأندلسي** » « والكتاب: القرآن وعوج في المعاني كالعوج في الأشخاص، ونكّر عوجا ليعمّ جميع أنواعه لأنّها نكرة في سياق النّفي والمعنى أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه ، ولا حوشيه ولا عي في تراكيبه ومبانيه»[3] ثم يواصل وقوفه مع الآية التي تليها مباشرة ﴿ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[4] «... الأجر الحسن: الجنّة ولما كنّى عن الجنّة بقوله: أجرا حسنا، قال ماكثين فيه: أي مقيمين فيه، فجعله ظرفا لاستقامتهم، ولمّا كان المكث لا يقتضي التّأبيد، قال: أبدا »[5].

وبعد هذا المدخل نذهب مباشرة لنستعرض حال الفتية عند دخولهم الكهف، قال تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[6].

الدّعاء بطلب الرّحمة من المولى عز وجل يدلّ على إحساهم الظنّ بالله و أنّه هو الوحيد القادر على نصرهم على هؤلاء الظّلمة وأنّه لا ملجأ ولا منجى إلاّ إليه، فقولهم :« أمرنا » هذه «... إشارة إلى

---

[1] - الكهف، الآية: 1.

* هومحمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري أبو جعفر، شيخ المفسرين له فضل السبق في التصنيف كما كان عالما بالسنن والسير له «تهذيب الآثار» و«تاريخ الأمم والملوك » كان من العلماء المجتهدين توفي سنة 310 هـ ينظر الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، معرفة القراء الكبار، تح: بشار عواد، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984 م ،ج1،ص264 والداودي أحمد بن محمد الأدهوني، طبقات المفسرين، تح سليمان بن صالح الخزي مكتبة العلوم والحكم ،دب، ط1 ، 1998م، ص51.

[2] - الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، د ط ، د ت ، ج 15 ص191.

** هو محمد بن يوسف علي بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، إمام في اللغة والنحو والتفسير وعلم القراءات، والحديث، توفي سنة 745هـ ، ينظر، الداودي، طبقات المفسرين،ج2، ص286.

[3] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، دط، دت، ج6، ص95 .

[4] - الكهف، الآية :3.

[5] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض، دط، دت، ج6، ص99.

[6] - الكهف، الآية : 10.

قضيّتهم الجماعية وهي قضية سياسية عقدية عسكرية، واجتماعية أيضا، إن أمر المواجهة فيها غير مأمونة العواقب، و إن الاستسلام فيها هو الموت الحقيقي للإيمان والمبدأ »[1] ثم يواصل المولى عز وجل في وصف الفتية داخل الكهف بقوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾[2].

والتّصريح هنا بلفظ « الكهف »ثانية «...هو تأكيد الصّمت العميق الذي يتلاءم مع النّوم العميق في العمق العميق من باطن الكهف، وهي أحوال أقرب إلى وحشة المقابر منها إلى صخب الحياة، وهي أحوال بمقاييس الحياة الإنسانية مشحونة رعبا وتحمل كل ضمنيات المجهول، والمفزع، والترقب الحذر، ووقوع المفاجآت»[3]؛ فصورة هؤلاء الفتية داخل الكهف يستطيع أن يستحضرها كل من يقرأ هذه الآيات البيّنات بتدبّر وتفكّر، لأن صورة هذا الجّو هي الّتي تستدعي هذه المخاطبة الرقيقة .

ولنقف مرة أخرى مع الآية في وسط السورة وهي قوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[4] فالإنسان مفطور على حبّ المال والسّعي وراء تحصيله وهو أيضا حريص على أولاده حتّى لا ينقطع ذكره بعد وفاته ، لذلك اعتبرها المولى عز وجل زينة الحياة «... والإسلام لا ينهي عن المتاع بالزّينة في حدود الطيّبات ، ولكنّه يعطيها القيمة الّتي تستحقّها الزّينة في ميزان الخلود ولا يزيد ، إنّهما زينة ولكنّهما ليسا قيمة ، فما يجوز أن يوزن بهما النّاس و لا أن يقدروا على أساسهما في الحياة »[5] وهناك شبه إجماع من طرف المفسّرين على أنّ المقصود بالباقيات الصّالحات هي كل الطّاعات والقربات الّتي تزيد في قربنا من المولى عز وجل «... والظاهر أن الباقيات الصّالحات كلّ عمل خير، فلا وجه لقصرها على الصّلاة لأنّ العبرة بعموم اللّفظ إلاّ بخصوص السّبب »[6].

ويقول «الطبري »«قيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه : ما الباقيات الصّالحات ؟ قال : هن :لا إله إلا الله، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[7] ثمّ يختم المولى عز وجل السورة الكريمة بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[8] إنّها دعوة صريحة لاتّباع طريق الحقّ ، والعمل للقاء

[1] - محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة الكهف، دار عمار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001 م،ص42.
[2] - الكهف، الآية :11.
[3] - محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة الكهف،ص44.
[4] - الكهف، الآية :46.
[5] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 4، ص2272.
[6] - محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة الكهف،ص101.
[7] - الطبري ، جامع البيان، ج 15، ص254-255.
[8] - الكهف الآية : 110.

المولى عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، لقد أنكروا على عقولهم أن يكون رسولهم بشرا و لم ينكروا على عقولهم أن يكون ربّهم حجرا أو مدرا أو قمرا ! إنّها دعوة صريحة للخلق أجمعين ، بأن ينتبهوا إلى غفوتهم، ويستيقظوا من سباتهم في براثن الشّرك والجهل، فالربّ الذي يشرّع ويوجّه، ويرزق ويحاسب ويتصرّف ويحي ويميت هو الإله الواحد القهّار المستحقّ للعبادة، ولا معبود بحقّ سواه، ثم يختم سبحانه وتعالى كلامه بالدّعوة إلى الابتعاد عن آفة الرّياء والسمعة، وحبّ الظهور وابتغاء محمدة النّاس، و ما على المؤمن إلا السّمع والطّاعة، و الإذعان والانقياد وقبل ذلك استحضار العقل وعقد العزم، وشحذ الهمّة وتوقّد القريحة .

وقد اكتفينا بالاستشهاد ببعض الآيات فيما يخصّ «الذوق» لأنّنا لو وقفنا على كل جوانب السورة لأفردنا له كتابا خاصة به؛ فتذوّق الكلمة الآسرة هو سرّ التّفسير الصّادق، لأنّ الكلمة العربية لها ذوق خاص بجرسها ودلالاتها، ففيها سحر خاص قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنّ من البيان لسحرا » وهذا سرّ من أسرار العربية تتميّز عن غيرها به ، والعربي الأوّل لّما كان ذوّاقا للكلمة، عالما بها ملكت عليه حياته كلّها ،فعماد حياته، عطاء وغصب، حرب وسلم، حب وبغض، ولاء وبراء كان مبناه على الكلمة، والّتي هي أداة الإبانة عن النّفوس، والقرآن الكريم كلام الله تعالى أبان لنا به عن نفسه، وفضل كلامه على كلام غيره كفضل الله تعالى على خلقه فهو كلام عالم حكيم رحيم متكبّر، وكلامه هو إبانة لمقتضيات هذه الصّفات الحسنى الجليلة، فحينئذ سيكون في كلامه جلّ جلاله جليل المعاني وعظيم الغايات و أشرف الهدى، وسيكون فيه الحقّ الّذي يطمس كلّ باطل والنّور الّذي يذهب كلّ ظلمة، ولا يمكن لأحد أن يعرف ذلك حقّ معرفته إلاّ إذا كان النّاظر فيها، التّالي لها ذوّاقا لهذه الكلمات، وكلّما ازداد المرء بصيرة بهذه الكلمات كلّما ارتقى في درجات العلم بهذا الكلام .

النكت البيانية

إن المتأمل في الخطاب القرآني سيقف و لاشك وقفة إجلال و إعجاب أمام ذلك التناسق و الانسجام بين المفردات القرآنية و مضمونها ودلالتها ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ...﴾[1].

فكلنا نقرأ القرآن، ولكن فهمه وتذوقه و استخراج مكنوناته، واستنطاق معانيه لا يتأتى لكل أحد، فالعنوان المشار إليه –النكت البيانية– هي كل إشارة لطيفة في القرآن تستخرج بعد فهم عميق وطول نظر وتدبر، لذلك نجد أن الباحثين في هذا المجال قلة قليلة مقارنة بأهل التفسير مثلا، فالألفاظ القرآنية لم توضع هكذا جزافا، وإنما وضعت لمزية جليلة، وشرف عظيم علمها من علمها وجهلها من جهلها، فالناظر في الكثير من الآيات القرآنية يجدها لا تخرج عن نطاق الاهتمام بألفاظ القرآن و تراكيبه و إعجاز نظمه واستفاء شروط الفصاحة و البلاغة في أسلوبه، بينما نجد المهتمين بأسرار ألفاظه وتعاورها يعدون على أطراف الأصابع منذ أمد بعيد، فقد نجد في آية واحدة إعجازا نحويا و بلاغيا و علميا و تشريعيا وما ذلك على الله بعزيز، فالناظر في القرآن تتكشف له آفاق وراء آفاق من الانسجام و الاتساق، فكلمات القرآن ونظمها تتراص فيما بينها كحبات اللؤلؤ في تأليفها للعقد، ولا يمكن لأية كلمة أن تحل محل الأخرى أو أن تعمل عملها، فمثلا الفعل "سخّر" لم ترد نسبته إلى الرحمن مطلقا في القرآن و إنما نسب إلى الله، وهذا لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

ومادمنا نعيش مع أجواء سورة الكهف فسنقف على عدة جوانب من هذه النكت و اللمسات البيانية التي وردت في تعبير عذب، ومعنى جلي، ونظم بليغ، وتصوير فني مجسم، فالقرآن الكريم هو البحر العميق الذي لا تنفذ عجائبه و لا تنقطع غرائبه.

يقول المولى عز وجل : «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنة ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا»[2]، بدأ المولى تبارك وتعالى السورة بالحمد و لم يبدأها بالشكر لأن «الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، و أما الشكر، فهو مختص بالإنعام الواصل إليك»[3]، فالحمد إذن أعم من الشكر، ثم قال المولى عز وجل «ماكثين فيه أبدا» و لم يقل «خالدين» لأن «المكث في اللغة هو الأناة

[1] – محمد الآية : 24.

[2] – الكهف الآية : 1-4.

[3] – الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، دط، 1981 م، ج1، ص219.

واللبث و الانتظار وليس بمعنى الخلود أصل المكث، الله تعالى يقصد الجنة (أن لهم أجرا حسنا) و الأجر يدفع مقابل العمل وننظر ماذا يحصل بعد الأجر، والجنة تكون بعد أن يوفى الناس أجورهم ، وفي الآية قال تعالى (أجر حسنا) فالمقام هنا إذن مقام انتظار و ليس مقام خلود بعد، وعلى قدر ما تأخذ من الأجر يكون الخلود فيما بعد الأجر وهو الخلود في الجنة، ومن حيث الدلالة اللغوية الأجر ليس هو الجنة لذا ناسب أن يأتي بالمكث و ليس الخلود للدلالة على الترقب لما بعد الأجر»[1].

أما عن دلالة واو العطف في قوله تعالى : ﴿ سَبْعَةٌ، وَ * ثَامِنُهُمْ، كَلْبُهُمْ ﴾[2] مع أنها لم ترد فيما قبلها «ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم»، فهناك شبه إجماع من طرف أهل التفسير على أن الواو «تفيد التوكيد و التحقيق أي كأنها تدل على أن الذين قالوا أن أصحاب الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلبهم هم الذين قالوا القول الصحيح الصواب، ومنهم الزمخشري، الواو إذن هي واو الحال ولكنها أفادت التوكيد و التحقيق بأن هذا القول صحيح، لأن الواو يؤتى بها إذا تباعد معنى الصفات للدلالة على التحقيق و الاهتمام «هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن» إذا اقترب معنى الصفات لا يؤتى بالواو «هماز مشاء بنميم» هنا الصفات متقاربة فلم يؤتى بالواو، وفي قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] نلاحظ أن الواو ذكرت مع الصفة الأخيرة وهي الأشد على النفس والآخرين وباقي الصفات الأولى كلها متقاربة لكن النهي عن المنكر يكون أشد على الإنسان وقد يؤدي إلى الإهانة و القتل أحيانا»[4].

وقدم المولى عز وجل البصر على السمع في آية سورة «الكهف» و سورة «السجدة» حيث قال المولى عز وجل في سورة الكهف : ﴿ قُلْ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[5] وقال في سورة السجدة ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمُجْرِمُونَ

[1] – فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التتريل، دار عمار للنشر، عمان، دط، دت، ص38.

[*] - لقد أطال علماء النحو و التفسير النفس في حديثهم عن هذه الواو، حيث تضاربت الآراء حولها و لتفصيل أكثر ينظر : الخطيب الإسكافي، درة التتريل وغرة التأويل، دار الآفاق العربية، بيروت، ط2، دت، ص 280-281.

و الكرماني محمد حمزة، أسرار التكرار في القرآن، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة،دب، دط، دت، ص 167.

و الزجاج أبو إسحاق، معاني القرآن و إعرابه، تح عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1414هـ، ج3، ص 277، ومنهم من أطلق على هذه الواو «واو الثمانية». حيث يقولون أن العرب عندما تبدأ الحساب تقول : ستة سبعة وثمانية !.

[2] – الكهف الآية : 22 .

[3] – التوبة الآية : 112.

[4] – فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التتريل، ص 40.

[5] – الكهف الآية : 26.

نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾[1]، وسبب ذلك «أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر في التكليف و التبليغ، لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه، أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه بالإضافة إلى أن السمع نشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين، أما لماذا قدم البصر على السمع في الآيتين المذكورتين ؟ فالسبب يعود إلى أنه في آية سورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لكي لا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراهم القوم، إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في سورة السجدة ، الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة و أحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظن و لو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان (عين اليقين) و الآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع»[2].

أما عن ربط المستقبل بـــ«غدا» في قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً ﴾[3]، وغدا «... مستعمل في المستقبل مجازا وليست كلمة غدا مراد بها اليوم الذي يلي يومه ولكنه مستعمل في معنى الزمان المستقبل، كما يستعمل اليوم بمعنى زمان الحال و الأمس بمعنى زمن الماضي وقد جمعها قول زهير:

وأعلم علم اليوم و الأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

وظاهر الآية اقتصار إعمالها على الإخبار بالعزم على فعل في المستقبل دون ما كان من الكلام إنشاء»[4].

وسبب استخدام (فأردت) ، (فأردنا)، (فأراد ربك) في قصة «موسى والخضر» عليهما السلام هو أن المولى عز وجل لم ينسب الشر إلى نفسه في القرآن أبدا، فمثلا في قصة «يوسف» عليه السلام قال تعالى:﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[5]، فأضاف الخير إلى نفسه، حيث

[1] – السجدة الآية : 12.

[2] – فاضل صالح السمرائي، لمسات بيانية في نصوص من التتريل ، ص43.

[3] – الكهف الآية : 23.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص297.

[5] – يوسف الآية : 43.

صرفه عن كيد النسوة، ولما ذكر السجن أضافه إليهم فقال : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1]، وكذلك في قوله تعالى على لسان «إبراهيم» عليه السلام : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2] فقال المولى عز وجل «و إذا مرضت» و لم يقل «يمرضني تأدبا مع الله»، أما إذا عدنا إلى جو «سورة الكهف» فإننا نجد المولى عز وجل يقول : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[3] «فنسب الخضر العيب إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله لأنه تسبب في حدوثه، و إن كان قد علل لذلك الفعل في نفس السياق»[4]، أما في حادثة قتل الغلام فقال تعالى:﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾[5] «والإرادة في الآية الكريمة و إن كانت في ظاهرها منسوبة إلى الخضر عليه السلام، غير أنها في الحقيقة من الله تعالى ويعبر عنها بالقضاء الذي قضاه الله وجعل له الأسباب من عنده سبحانه، ودليل ذلك أنه –أي فعل الإرادة– أتى بصيغة الجمع فقال (فأردنا) وكأن المعنى: (فأرد ربك أن يبدلها خيرا منه زكاة وأقرب رحما) »[6]، فجانب القتل من الخضر عليه السلام، و جانب الإبدال بالذي هو خير من الله تعالى .

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ ﴾[7].

«في هذه الآية الجدار كله خير فنسب الفعل لله وحده و أنه يدل على أن الله تعالى هو علام الغيوب وسبق في علمه أن هذا الجدار تحته كنز لهما وإنه لو سقط سيأخذ أهل القرية المال من الأولاد اليتامى وهذا ظلم لهم والله تعالى ينسب الخير لنفسه عز وجل، وهذا الفعل في الآية ليس فيه اشتراك و إنما هو خير محض وجاء بكلمة رب في الآيات بدل لفظ الجلالة (الله) للدلالة على أن الرب هو المربي والمعلم ، والراعي والرزاق والآيات كلها في معنى الرعاية والتعهد و التربية لدى ناسب بين الأمر المطلوب واسمه الكريم سبحانه»[8].

---

[1] – يوسف الآية 35.

[2] – الشعراء الآية : 78-80.

[3] – الكهف ، الآية : 79.

[4] – محمود السيد حسن ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية مصر ، ط2، 2003 م ، ص 361.

[5] – الكهف الآية : 81.

[6] – محمود السيد حسن ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ص 361.

[7] – الكهف الآية : 82.

[8] – فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص39.

أما الفرق موجود بين كلمة (قرية) وكلمة مدينة في سورة الكهف هو أن «... القرية في اللغة إذا اتسعت تسمى مدينة، والقرية قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة، وفي سورة «يس» وردت الكلمتان ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[1] و ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[2] أي أن أصحاب القرية جدوا في التبليغ حتى وصلوا إلى أبعد نقطة في المدينة مع بعدها وقوله تعالى: ﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ أي أن هذا الرجل جاء يحمل هم الدعوة والتبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة مع أنها متسعة وهذا فيه دليل على جهدهم لنشر الدعوة، والذي جاء حمل هم الدعوة من أقصى المدينة وفي سورة الكهف ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْل قَرْيَة اِسْتَطْعَمَا أَهْلهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيد أَنْ يَنْقَضّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْت لَاتَّخَذْت عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3]﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[4] استطعم موسى والخضر أهل القرية على سعتها أي أنهما جال فيها كلها وبلغ بهم الجوع كثيرا حتى استطعموا أهلها»[5].

أما «مصطفى مسلم» فله رأي آخر في تفسيره لسبب استعمال كلمة «قرية» تارة واستعمال كلمة «مدينة» تارة أخرى «... فعندما كان الحديث عن بخل ولؤم السكان جاء التعبير بكلمة «أهل القرية» لأن مادة «قرى» تدل على الجمع ومن مستلزماته الإمساك والبخل، بينما جاء التعبير «المدينة» لأن زحمة المدينة وكثرة الوجوه الغريبة فيها أليق بإضاعة المساكين والضعفاء ، كما أن التحايل والغبن يكثر في المدن أكثر منها في القرى»[6]، أما عن سبب تنكير الغلام وتعريف السفينة في قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾[7]، وقبل ذلك قال المولى عز وجل: ﴿فَانْطَلَقَا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾[8] .

حسب بعض أهل التفسير أن « الخضر و موسى عليه السلام لم يجدا سفينة لما جاء إلى الساحل ثم جاءت سفينة مارة فنادوها فعرفوا الخضر فحملوهما بدون أجر و لهذا جاءت السفينة معرفة لأنها لم تكن أية

[1] – يس الآية: 13.
[2] – يس الآية : 20.
[3] – الكهف الآية: 77.
[4] – الكهف الآية : 82.
[5] – السامرائي، لمسات بيانية، ص 39.
[6] – مصطفى مسلم، التناسق بين العبارة و الموضوع www.55a.net.
[7] – الكهف الآية : 74.
[8] – الكهف الآية : 71.

سفينة، فأما الغلام فهما لقياه في طريقهم وليس غلاما محددا معرّفا»[1]، أما عن الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعـــالى : ﴿شيئاً إمرا﴾ و ﴿شيئاً نُكرا﴾ فقد قال تعالى على لسان موسى للرجل الصالح عندما خرق السفينة ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وقال تعالى عندما قتل الرجل الصالح الغلام ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

«الإمر: العظيم المنكر، قال أبو عبيدة «الإمر الدهياء العظيمة، وأنشد :

قد لقي الأقران مني نكرا   داهية دهياء و أمرا إمرا

ويقال : أمر الإمر، أي عظم وتفاقم (...) و«النكر» هو : المنكر، وهو أبلغ من الإمر، لأن معه القتل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه[2]»، ونلاحظ أنه لم يكن ليحسن مجيء أحد الوصـــفين في موضـــع الآخر، وهذا الإختلاف يدخل في فواصل الآية في القرآن الكريم.

أما عدم الحذف في قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْـتَطِع عَّلَيْـــهِ صَبْراً﴾[3] وحذف التاء في الآية ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[4] «ذلك أن المقام في الآيـــة الأولى مقام شرح و إيضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل، وأما الآية الأخرى فهي في مقام مفارقة و لم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه، فحذف من الفعل[5]».

ويكمن الفرق من الناحية البيانية بين فعل «استطاعوا» و «اسطاعوا» هو أنه في قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[6] زيادة التاء في فعل استطاع تجعل الفعل مناسبا لحث، ومـــن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى، لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه»[7].

[1] – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص187.
[2] – محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج4، ص 526-527.
[3] – الكهف الآية : 78.
[4] – الكهف الآية : 82.
[5] – فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2006م، ص16.
[6] – الكهف الآية : 97.
[7] – محمد الطاهرين عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج14، ص38.

لأن السد قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد و النحاس المذاب لذا استخدم «اسطاعوا» مع الصعود على السد و «استطاعوا» مع النقب، فحذف مع الحدث الخفيف أي الصعود على السد و لم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له «... ثم إنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث[1]».

أما اختيار المولى عز وجل كلمة الأخسرين في قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾[2] والفرق بين «الخاسرين » و «الأخسرين» هو أن المولى عز وجل استعمل كلا من الكلمتين في القرآن الكريم ، يقول المولى عز وجل في سورة النحل﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴾[3] و الأخسرين كما جاء في سورة «هود» ﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴾[4] وفي سورة النمل ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[5].

«وفي اللغة الأخسر أكثر خسرانا من الخاسر، ندرس أولا ما السبب في اختيار كلمة الأخسرين في سورة هود؟، إذا لاحظنا سياق الآيات في سورة هود نجد أنها تتحدث عن الذين صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم أيضا، بينما السياق في سورة النحل فهو فيمن صد عن سبيل الله وحده و لم يصده أحدا غيره فمن المؤكد إذن أن الذي يصد نفسه وغيره عن سبيل الله أخسر من الذي صد نفسه عن سبيل الله لوحده فقط»[6].

كما نلاحظ في آية سورة الكهف أن المولى عز وجل استعمل لفظة «ضل» مع لفظة «سعيهم» و لم يقل ضل عملهم مع أن الحديث عن الأعمال الصالحة و السيئة قد ورد في عدة مواضع في القرآن «لأن السعي هو العدو أو المشي الشديد دون العدو، وقال في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا والإحسان هو الإتقان وليس العمل العادي، في اللغة لدينا فعل وعمل وصنع، أما الفعل فقد تقال للجماد (نقول هذا من فعل الرياح) و العمل ليس بالضرورة صنعا فقد يعمل الإنسان بدون صنع، أما الصنع فهو أدق من الصنعة كما في قوله تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[7] والصنع لا يستعمل إلا للعاقل الذي يقصد

[1] – فاضل صاع السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص10.
[2] – الكهف الآية: 103-104.
[3] – النحل الآية: 109.
[4] – هود الآية : 22.
[5] – النمل الآية : 57.
[6] – فاضل صالح السمرائي، لمسات بيانية في نصوص من التتريل، ص41.
7 – النحل الآية : 88.

يقصد العمل بإتقان، إذن آية سورة الكهف جاء فيها ضلال وسعي وصنع لذا استوجب أن يؤتى بكلمة الأخسرين أعمالا ومن الملاحظ أنه في القرآن كله لم ينسب جهة الخسران للعمل إلا في هذه الآية»[1].

يقول المولى عز وجل بعد ذلك : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[2]، وعن سر استعمال المولى جل وعلا لفظ «حبط» دون لفظ آخر هو أن أصل الحبوط «... هو انتفاخ بطن الدابة حين تأكل نوعا ساما من الكلأ ثم تلقى حتفا وهذا اللفظ أنسب شيء لوصف الأعمال، فإنها تنتفخ و أصحابها يظنونها صالحة ناجحة رابحة ثم تنتهي إلى البوار»[3].

وفي ختام هذا المبحث وجب علينا أن نقر بأن النكت البيانية في القرآن الكريم أكبر بكثير من يقوم شخص بإعدادها و الإحاطة بها، وما هي و الله منا إلا غيض من فيض، لأن كلام المولى عز وجل معجز في جميع جوانبه وسيبقى إلى يرث الله الأرض ومن عليها.

[1] – فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التتزيل، ص42.
[2] – الكهف الآية : 105.
[3] – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص196.

الإحساس الجمالي

إن القارئ الفطن لكتاب المولى عز وجل ليتساءل عن سرّ الحكمة من مجيء القرآن الكريم في خطابه للعرب وللبشرية بجميع أجيالها وبيئاتها معتمدا على الخطاب الأدبي أسلوبا ؟ ولماذا لم يأت الخطاب الرباني للبشرية بأساليب أخرى من الخطاب ،كالخطاب العلمي أو الخطاب الفلسفي أو الجدلي أو خطاب الحقائق والأرقام وبصياغة أخرى : لماذا اختار الله عز وجل أن تكون رسالته الخاتمة لخاتم النبيّين والمرسلين في تبليغ البشرية كافة على صورة الخطاب في أعلى مراتبه البيان و أرقى أساليب الإعجاز ؟ هل هو التحدّي والإعجاز للعرب البلغاء الذين خوطبوا به في زمانهم ؟

مع العلم أن المعجزة قائمة ودائمة، لا تخصّ العرب أو البشرية في جيل محدّد، ولأن الخطاب القرآني دائم للبشر في جميع الأجيال، و الإعجاز دائم ومستمر إلى يوم الدّين، لابدّ أن هناك حكما أخرى غير تحدي العرب البلغاء في ذلك الزمان و أن تحدي أولئك العرب جزء من ذلك الإعجاز ولكن إعجاز القرآن أكبر من ذلك لأنه إعجاز ممتد في تحدي البشرية إلى نهاية أجيالها على وجه الأرض، فالآن وفي هذا العصر بالذات أصبح بإمكاننا أن نتعرف على حكم أخرى بعد أن ارتقت الأمم بفنونها الأدبية، وتعمقت في تحليل هذا الخطاب، و أدركت عظمته وفضله على أذواق الأمة، والرقي بها نحو أهدافها المنشودة «... ما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه و إعجاز تركيبه بصور كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا، ثم هو بعد لا يزال عندهم على ذلك خلقا جديدا ومراما بعيدا، وصعبا شديدا ... »[1]، وسوف يتأكد لنا ذلك أكثر عندما نتعرّف على السّمات التالية التي يتميز بها الخطاب الأدبي عن غيره من أنواع الخطاب :

1- قدرة الخطاب الأدبي على التأثير في أذواق المخاطبين والرقيّ بها نحو الأهداف المرغوبة، فضلا عن إيصال محتواه لجميع شرائح المجتمع ليسر أداته (اللغة) .

2- هو أقرب أنواع الخطاب للتّربية وتعديل السلوك وتعليم الناس ، حيث أنه يرقى بالتفكير والقلب و السلوك من خلال أساليبه المختلفة كالأساليب النّوعية (القصة، الحوار) أو الأساليب البيانيّة (التشبيه، الاستعارة، والمجاز)، أو الأساليب البديعية (السجع، الطباق، المقابلة...) وهي أساليب تنبّه الحس الجمالي والمتعة في النفوس، وتحمل الفائدة المرجوة في ثنايا الخطاب الممتع، فتوصلها بطريقة محببة بعيدا عن أساليب الجدل الجاف الذي لا تبصر له النفوس، ولا ترغب فيه.

---

[1] - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص108-109.

3- الخطاب الأدبي لا يؤثّر عليه تقلّب الزّمان ولا تغيّر المكان ، ولذلك هو أدوم تأثيرا وخلودا من أساليب (العلم والجدل، الخبر) المتقلّبة لتطوّرها وتغيّرها المستمر وجفافها، ربما تقرأ الخبر مرّة واحدة ولا ترغب في العودة إليه بينما بقي الخطاب الأدبي متميّزا بالجمال والمتعة والحيويّة والفائدة، وكذلك بالبقاء والثّبات والخلود، ولا يؤثّر على قيمته أو دلالته أو جاذبيّته تقادم الزّمان والمكان وتقلّب الأجيال ! لأنّه لا يؤدّي إلى الملل الّذي تقع فيه الأساليب الأخرى فالنّفس لا تملّ من تكرار السّماع له مرّات ومرّات، لأنّه معجون بالجمال الجذّاب للنّفوس وبما أنّ محور دراستنا هو الأسلوب البلاغي فيمكننا القول عن البلاغة «... أنّها السّورة الحسيّة الّتي تتوافق أجزاؤها فيما بينها مع السيّاق الموقفي، لضمان التّأثير في المتلقي أنّ حقيقة الجمال في البلاغة العربيّة هي في إدراك عناصر الصورة الحسيّة، وفي ضبط الإحساس الجمالي بقيّم بلاغيّة تتعاون فيما بينها على تحلية منابع التّأثير»[1] فعلى الرّغم من أنّنا أطلنا النّفس في الفصل الأوّل من خلال تعريفنا للجمال والجماليّة إلاّ أنّ هذا لا يمنعنا من إبراز سمة من سمات الأسلوب القرآني والّتي تتمثّل في الإحساس الجمالي ، لذا نجد الأسلوب البلاغي يتقاطع مع ما يعرف بفلسفة الجمال ، لأنّ كل منهما يعتني بالجمال والفن «ولكن ورغم هذا التّقاطع ، وغنى العربية بالألفاظ ومشتقّاتها ، فإنّه من الملاحظ أن البلاغين قد أكثروا من استخدام مصطلح الحسن، بينما لم يستخدموا مصطلح الجميل في البلاغة إلاّ نادرا، فما تفسير ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم سئل: «فيم الجمال ؟ فقال في اللسان ، وكان صلى الله عليه وسلم يريد البيان »لأنّه قال: «إنّ من البيان لسحرا»[2]

ولعلّ من جملة الأسباب الّتي دفعت بالعرب إلى عدم استخدام مصطلح الجمال أو الجميل هي :

«أولا : أن الجمال بمعناه اللّغوي لا يعنى بالمتلقي.

ثانيا : إيمان البلاغيين بأن صيغ الشّعراء لا يزيد على كونه محاولات تسعى جاهدة نحو الاستواء والكمال بلا جدوى لقصور الإنسان، وخاصّة أن الإسلام قد عزّز هذه الفكرة، حين تحدّاهم القرآن الكريم بأن يأتوا بسورة من مثله أو آية فلم يستطيعوا .

ثالثا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قرن مصطلح الجميل بالله سبحانه وتعالى حينما قال : «إنّ الله جميل يحبّ الجمال » .

---

[1] - عبد الرحيم محمد الهبيل ، فلسفة الجمال في البلاغة العربية ، الدار البيضاء للنشر والتوزيع ، دت، دط ، 2004 م، ص35.

[2] - المرجع نفسه ص36.

رابعا : ذيوع فكرة الجمال، في وقت متأخّر، كمفهوم فلسفي عقلي ربما دفعهم إلى اتّخاذ هذا المصطلح كرؤية عقلية ، ينسجون على منوالها مصطلحات بلاغية، تتآزر فيما بينها في تبيين معالم الجميل من الكلام »[1] فضلا على تأثر البلاغيين بلغة القرآن الكريم، فمن الملاحظ أن كلمة الجمال لم ترد في القرآن الكريم إلا مرّة واحدة، و أنّ كلمة الجميل لم تأت إلاّ في ثلاث مواضع محدّدة ، حيث وردت في «سورة يوسف » مرّتين في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[3] وفي «سورة الحجر» في قوله تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[4] وفي سورة «الأحزاب » في قوله تعالى : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[5] وفي قوله عزّ وجل في سورة «المزّمّل» ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾[6].

كما أنّ «الاستعمال القرآني أظهر أن الجميل وصف لأمر معنوي معقول ، وأن الجمال سعادة نفسيّة شعوريّة، أما الحسن فقد بيّن القرآن الكريم أنّها تطلق على الحسّي والمعنوي، وبهذا لم يجد البلاغيون في الجمال إلا آثار القيمة، كما أنّهم لم يجدوا في الجميل إلاّ جزءا فقد وجدوا فيه ما يلبّي رغباتهم الفنّية والحياتيّة(...) وبإيجاز فقد وجدوا في مصطلح الحسن ما يكشف القيمة، وهي غاية تستحسن لذاتها استحسانا مطلقا»[7] فكلّ كلام مؤثّر ومؤكد يهزّ العواطف والوجدان، وتتفاعل معه خلجات النّفوس وتحسّه وتطمئنّ إليه إلاّ وقلنا أنّه كلام جميل، ينعش العليل، ويشحذ الكليل ويبعث الوسنان، ويوقظ الهاجع، وينشر المطوي، ويفتح المغلق، وينهض المقعد، ويمشي الكسيح، فالمولى عزّ وجل لما قال: ﴿ الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[8] تأكيدا منه سبحانه وتعالى أنّه لا مكانة للهواجس والوساوس والشّك والرّيب في هذا الكتاب الحكيم والّتي من شأنها أن تكون معاولا تهدم الجمال فيه « ومن عجيب أمر هذا الجمال اللّغوي، وذاك النّظام الصّوتي أنّهما كانا دليل إعجاز من ناحية، وكانا سورا منيعا لحفظ القرآن الكريم من ناحية أخرى وذلك شأن الجمال اللّغوي والنظام الصّوتي، أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرّك داعية الإقبال في كلّ إنسان إلى هذا القرآن الكريم

---

[1] - عبد الرحيم محمد الهبيل ، فلسفة الجمال في البلاغة العربية ، ص37.
[2] - يوسف الآية :18.
[3] - يوسف الآية :83.
[4] - الحجر الآية: 85.
[5] - الأحزاب الآية : 49
[6] - المزمل الآية :10.
[7] - شكري محمد عياد ، دائرة الإبداع مقدمة في أصول النقد : دار إلياس العصرية ، القاهرة ، دط ، 1987م، ص69.
[8] - البقرة الآية: 1-2.

وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق، وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم، فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله »[1] فالإحساس بالجمال له قيمة كبيرة في معرفة القيمة الفنّية والجمالية للصّوت في نفس المتلقي وجرس الألفاظ وأثر إيقاعها، فالنّفس تسعى دائما إلى استقبال الجميل من الكلام، كما ترغب العين في رؤية الجميل من الأشياء ، لأنّ الجمال في أصله يبنى على الرّاحة واللذّة والطّمأنينة وقد يكون هذا الأمر هو الذي دفع «بالجرجاني »إلى تقسيم الجمال إلى صنفين :

«صنف تبحث عنه بكلّ حواسّك ، فهو بحاجة إلى استقصاء وتتبّع حتى تقتنع به وترضى به نفسك ، وصنف يملأ قلبك للوهلة الأولى حتىّ كأنه لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل أو تعليل، لما فيه من روعة وخلابة تمتلك الأحاسيس، وكلا النّوعين عنده حسن جميل، يتقبّلهما المرء، ويسعد بهما، إذا جاء كلّ منهما متطابقا مع الموقف، منسجما مع موضعه»[2] .

وقبل أن نتحدث عن الجمال في القرآن الكريم نشير إلى أن هناك مصطلح ورد بقوة في القرآن الكريم وهو لفظ «الزينة » ومشتقاته حيث نجده في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[3] .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾[4] وفي قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[5] وفي قوله قوله جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾[6].

وفي قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾[7] إنّها دعوة للتأمّل للتدبّر والتّفكر في مخلوقات الله ، في جمال الصورة وروعة الإبداع، في صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، فالنّجوم والقمر والشّمس كلّها مظاهر للزّينة والجمال يشعّ منها النّور والضّياء «ونظرة إلى السّماء كافية لرؤية هذه الزّينة ولإدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون ؛ وأنّ صنعة الصّانع فيها بديعة التّكوين جميلة التّنسيق، وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي (...) والسّماء وتناثر الكواكب فيها أجمل مشهد

---

[1] - عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ،تح فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط4، 2002م، ج2 ،ص 246.

[2] - عبد الرحيم محمد الهبيل، فلسفة الجمال في البلاغة العربية، ص166-167.

3 – ق الآية :6.

[4] – الملك الآية : 5.

[5] – فصلت الآية : 12.

[6] – الحجر الآية : 16.

[7] – الصآفات الآية : 6.

تقع عليه العين ، ولا تملّ طول النّظر إليه وكل نجمة توصوص بضوئها وكلّ كوكب يوصوص بنوره، وكأنّه عين محبّة تخالسك النّظر، فإذا أنت حذقت فيها أغمضت وتوارث؛ وإذا التفت عنها أبرقت ولمعت! وتتّبع مواقعها وتغيّر منازلها ليلة بعد ليلة و آناً بعد آن متعة نفسيّة لا تملّها النّفس أبدا »[1] .

إنّها جاذبيّة الزّينة في الفكر والوجدان، لأنّ النّظر والتدبّر في المشاهد الجماليّة من حولنا ، هو الّذي يبعث فينا ذلك الإحساس الجمالي، وذلك اليقين بأنّ هذه المخلوقات أوجدها وصوّرها في أحسن صورة نور السّموات والأرض، فقد ذكر المولى عزّ وجل أنه زيّن السّماء الدنيا في أكثر من أربعة مواضع في القرآن، وهذا لحكمة لا يعلمها إلاّ هو، وذكره للسّماء الدّنيا بحكم أنّها الأقرب إلينا والجمال الموجود فيها يختلف باختلاف الوقت ففي اللّيل نجوم وكواكب، وفي النّهار شمس وكلّها أشياء تستحسنها العين وتعشقها النّفس، «إنّه الجمال، الجمال الّذي يملك الإنسان أن يعيشه و يتملاه، لكن لا يجد له وصفا في ما يملك من الألفاظ والعبارات ! والقرآن يوجه النّفس إلى جمال السّماء ، وإلى جمال الكون كلّه، لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود »[2] وعندما ذكر المولى عز وجل لفظة الجمال في القرآن قال : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىَ بَلَدٍ لّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاّ بِشِقّ الأنفُسِ إِنّ رَبّكُمْ لَرَؤُوفٌ رّحِيمٌ﴾[3] فقد جاء هذا التّصوير القرآني في نسق آية الجمال فقد بدأ سبحانه في الخلق ثمّ المنفعة، ثم الجمال، ثم التسخير ««والأنعام خلقها» أي : وخلق الأنعام لمصالحكم وهي الإبل والبقر والغنم «ولكم فيها دفء» أي: لكم فيها ما تستدفئون به من البرد ممّا تلبسون وتفترشون من الأصواف والأوبار «ومنافع ومنها تأكلون» أي: ولكم فيها منافع عديدة، من النّسل والدّر و ركوب الظهر ومن لحومها تأكلون وهو أعظم المنافع لكم.

«ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون» أي ولكم في هذه الأنعام والمواشي زينة وجمال حين رجوعها من المرعى وحين غدوّها صباحا لترعى، وجمال الاستمتاع بمنظرها صحيحة سمينة فارهة «وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس» أي : وتحمل أحمالكم الثّقيلة وأمتعتكم الّتي تعجزون عن حملها إلى بلد بعيد لم تكونوا لتصلوا إليه إلا بجهد ومشقّة »[4].

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 2983- 2984.

[2] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص 3634.

[3] – النحل الآية : 5-7.

[4] – الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص 113.

فالمولى عزّ وجل قدّم جمال الصّورة على التّسخير لأنّه « يعتمد على تجسيد الصبغة الجمالية، بما يستنهض الوجدان والفكر ويثير في النّفس حبّ الاستطلاع والمشاهدة لما يصوّر من مظاهر الزّينة وروائع الجمال»[1] .

فإذا كان هذا الجمال والزّينة في مخلوقاته، فكيف يكون الحال في كلامه سبحانه وتعالى فقد أمرنا في كتابه بالجمال في كل شيء، الجمال في الكلام، في المشي و الصوت، والجمال في تلاوة القرآن والجمال في الطهارة ومعاملة الناس، أما عن جمال الأسلوب القرآني وبديع نظمه، فقد أعيي أرباب الفصاحة و البيان على مر التاريخ لأن «... الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حين يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير و أجمله و أحياه أيضا، مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة و الظلال و الجو ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد، بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه، وبحيث لا يجور الجمال على الدقة، ولا الدقة على الجمال، ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد كما يدرك ذلك من يزاولون فن التعبير فعلا، لأن هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال»[2].

لقد كان العرب يهتزون للكلمة الواحدة و البيت الشعري الواحد، فما بالك بالقصيدة، فيهبون لإنجاز البطولات، وفعل المكرومات، ولا يحبذ أحدهم أن تقال في حقه كلمة واحدة تشينه وتحط من قيمته، وكل هذا بسبب إدراكهم لقوة مفعول الكلمة في نفوسهم، فالمنظر الجميل و الكلمات الجميلة التي تهز المشاعر وتحرك العواطف هي التي تفعل فعلها فيهم، فتشتغل النفس بها لأنها تعطيها اللذة والراحة والاطمئنان، ومن خلال ما سبق نستنتج مقدار الخلخلة التي أحدثها القرآن الكريم في الذهنية الجاهلية فخروجه عن المعهود من كلام البشر أحدث فيهم صدمة التلقي ! «وأعجب شيء في أمر هذا الحس الذي يتمثل في كلمات القرآن أنه لا يسرف على النفس ولا يستفرغ مجهودها، بل هو مقتصد في كل أنواع التأثير عليها، فلا تضيق به ولا تنفر منه، ولا يتخوّنها الملاَل، ولا تزال تبتغي أكثر من حاجتها في الروح والإصغاء إليه والتصرف معه و الانقياد له، وهو يسوغها من لذتها و يرفه عليها بأساليبه وطرقه في النظم والبيان»[3].

---

[1] – محمد عبد الواحد حجازي، الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، الإسكندرية، دط، 1998 م ، ص 37.

[2] – عدنان محمد زرزور، علوم القرآن (مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص 257.

[3] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص 178.

إنها لذة لا تعدلها لذة، وحلاوة لا ينعم من لم يذقها، لقد ملك كلام المولى عز وجل على العرب أقطار أنفسهم واستحوذ عليهم، وكل ذلك راجع لعدة عوامل نجملها فيما يلي :

«1- منها ذلك التنسيق في تأليف العبارات، بتخير الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها (...).

2- ومنها تلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص (...).

3- ومنها تلك النكت البلاغية التي تنبه لها الكثيرون، من التعقيبات المتفقة مع السياق، كأن تجيء الفاصلة: «وهو على كل شيء قدير» بعد كلام يثبت القدرة، والفاصلة : «إن الله عليم بذات الصدور» بعد كلام في وادي العلم المستور (...) .

4- ومنها ذلك التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض (...).

5- ولعل أعلى نوع من التناسق تنبهوا إليه هو هذا التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص ، والخطوات النفسية التي تصاحبها»[1].

وما دمنا نعيش مع أجواء سورة «الكهف» فلا بأس أن نقف عند بعض الآيات الكريمة، ودرجة تناسقها الفني وجمالياتها.

يقول المولى عز وجل: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[2] «فالمطلوب هنا هو تفظيع ما قالوا من أن الله اتخذ ولدا، وتكبير هذه الفرية بكل طريقة، فقال : «كبرت» و أضمر الفاعل ثم جعل الكلمة تمييزا منكرا، ليكون في الإضمار و التنكير معنى الاستنكار و التكبير «كبرت كلمة» ثم جعلها تخرج من أفواههم كأنها رمية من غير رام «تخرج من أفواههم » وتنسيقا لجو التكبير كله جاءت كلمة «أفواههم» وأنك لتحتاج في نطقها أن تفتح فاك بالواو الممدودة، و أن تخرج هاءين متواليتين من الحلق في عسر ومشقة، قبل أن تطبق «فاهك» على الميم الأخيرة!»[3].

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 72- 73.

[2] - الكهف الآية : 5.

[3] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص78.

ولنتأمل أيضا قول المولى عز وجل : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[1].

فقد شبه المولى عز وجل الرسول صلى الله عليه وسلم «...بذلك الرجل الذي فارقه أحبته و أعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم، وتلهفا على فراقهم، وأتى بهذه الصورة الفريدة صيانة لتشبيهه من الابتذال، فإن التلهف على فراق الأحبة، واستشعار الوجد أمر شائع تناوله الشعراء في أشعارهم (...) ونعود إلى الآية فنقول : أن الله تعالى أراد أن يسلي نبيه و أن يهدهد عنه ما ألم به من جوى و ارتماض، فعرض الموقف بصيغة الترجي، و إن كان المراد به النهي أي : لا تبخع نفسك، ولا تهلكها من أجل غمك على عدم إيمانهم، وأتى بهذا التشبيه التمثيلي البديع، و الأسف : المبالغة في الحزن»[2].

ثم يصل الإحساس الجمالي و التعبير البياني إلى قمة التصوير في قوله جل وعلا: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[3] حيث استعمل المولى عز وجل الضرب على الآذان للدلالة على النوم العميق، وليس صورة إغماض العينين المتعارف عليها والتي تدل عادة على النوم «فالصورة البيانية لا تتجسد إلا باعتمادها على أسس جمالية ونفسية قريبة من البحوث الحديثة، وقد ذكر الجماليون الإحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتم وجه وهي الإحساسات البصرية (...) ولا يقف الأمر عند حاسة البصر، بل حاسة السمع هي التي أوجدت أرفع الفنون: الشعر، و الموسيقى و البلاغة، قال الرماني في كتابه «النكت في إعجاز القرآني » وإحساس السمع في قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ وحقيقته : منعناهم الإحساس بأذانهم من غير صمم، فكأن الاستعارة قصدت إلى هذا التصوير السمعي وإبراز فقدان حاسة السمع دون سائر الحواس، ودون الدلالة على الصمم النهائي»[4].

ونافلة القول من كل ما ذكرنا أن الإحساس الجمالي في القرآن يبقى صورة مشرقة براقة قشيبة بفضل تركيب ألفاظه ودلالتها، مع العلم أن «... المفردات الجمالية موضوعة في الأصل اللغوي تعبيرا عن روائها وحسنها، وكذلك فإن القرآن اتخذ بعضها في صورة فنية أو تشبيه رائع أو كناية بديعة، أو إسناد بليغ وحينئذ يمكن أو ينظر لها و إلى أهميتها من وجوه ثلاثة :

أ- فهي تعبير عن مضمون جمالي مادي أو معنوي في وضعها اللغوي الأصيل.

[1] - الكهف الآية : 6.

[2] - محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه،ج4، ص 440- 441.

[3] - الكهف الآية: 11.

[4] - محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه،ج4، ص 4447.

ب–ودلالة على تلاحم المفردة مع سائر الجملة القرآنية في نسق بياني معجز، تتخذ لها إطارا جماليا آخر.

ج– ثم إنها الأداة في تصوير فني لألوان من الجمال اللفظي و المعنوي في صورة أو مشهد تأخذ الكلمة المستعارة بعدا جماليا إضافيا ومتنوعا»[1].

وعليه نخلص إلى أن الإحساس الجمالي ألفه العرب لأمرين :

1– الأمر الأول : تراثي، إذ لا أحد ينكر اهتمام شعراء الجاهلية بالجمال في المفردات (التزيين) والجمال في التصوير (التخييل والتجسيد)، وقد سار على هذا الدرب من لحق بهم من الشعراء إلى غاية يومنا هذا .

الأمر الثاني : ديني، فالعرب بفطرتهم وذوقهم الجمالي وجدوا في الجمال الفني القرآني ما يغنيهم عن الجمال المثالي، لأن الجمال القرآني له خصوصية، ولذته المحبوبة لذاتها لا لغيرها، لأنه يجمع بين الجمال الظاهر الذي تدركه الحواس والباطن الذي يدرك بالتأمل و التدبر.

---

[1] – نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، السعودية، ط1، 1412 هـ، 1991 م، ص 21.

الخاتمـــــة:

لكلّ بداية نهاية ، وها نحن نأتي إلى ختام هذه المذكرة ، بعد زمن قضيناه في كتابتـــها ، ورصـــف حروفها ، وحبك نسجها ، والمعنون لها بـــ " الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم " ، أودعناها طرفا مـــن نصوص بعض العلماء الأفذاذ ، ونتفا من حرص طلاّب العلم على العلم ، دون نسيان قطب الرحى الذي حوله ندندن وهو كتاب المولى عز وجل ، الذي يحمل في ثناياه طاقات علمية نادرة ، ومحطات فذّة مدهشة أثارت فضول البلاغيين ، والنّحويين وعلماء الكلام ، والفلاسفة وغيرهم من الباحثين الذين أشفوا غليلهم منه بعدما وجدوا بغيتهم فيه ، فكان لأهل العلم تذكرة ، وللعامّة والخاصّة تبصرة، فبغض النّظر عما تضيفه هذه المذكّرة إلى المكتبة الجامعية ، خاصة في مجال البلاغة القرآنية ،إلا أنّنا نرجو ا أن ينعش بهـــا العليـــل ويشحذ بها الكليل ، ويبعث الوسنان ، فقد سعينا بكل ما أوتينا من جهد وقوّة إلى جعلها كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة باختلاف الآكلين ، ونحن لا ندّعي – معاذ الله – أنّنا أتينا فيها بجديد ، ولا ندّعي أنّنا أتينا بخفيّ أو دقيق ، فهي أشهر من أن تذكر ، جمعناها من كتب شتّ مجتهدين فقط ، باختيار اللّفظ المناسب للموقف المناسب ، فنأمل أن تكون قد جاءت كما كنّا نتمنّى ؛مشكّلة المباني ، مختلفـــة المعـــاني راجين أن تنبع من الجوانح لتصل إلى الجوانح وتظهر على الجوارح ،فلقد خفّفنا و إن أكثرنا ، واختصرنا وإن كنا أطلنا ، وتوقّينا ما يتوقّاه من رضى بالغنيمة بالإيّاب ، لكننا لم نجد بدّا من الوقوف على ما أودعناه هذه الصّفحات ، مع علمنا أنّها لا تخلو من عيب أو نقص ، فمن وجد عيبا فليستره ، و من وجد نقصـــا فليتمّه ، و من وجد خطأ فليصحّحه.

من ذا الّذي ترجّى سجاياه كلّها   كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه

ولكن هذا لا يمنعنا من توضيح وتبيان الكثير من النّقاط والنّتائج الّتي توصّلنا إليها في هذه المذكرة والقول فيها بما نراه – حسب جهدنا – صوابا ينبغي الوقوف عنده.

نتائج الدراسة النظرية :

كما سبق و أن أشرنا في طيّات هذه المذكرة ، وهو أنّ الأسلوب البلاغي في القرآن له ميزة خاصّـــة في ذاته، تختلف وتعلوا على أيّ كلام آخر مهما كان منمّقا وجميلا وهذا ما نؤكّده في الوقفات التّالية:

* الأسلوب القرآني يعلوا ولا يعلى عليه ، سواء في نظمه أو في إيقاع فواصله فلا مجال لمقارنته مع كلام البشر سواء كان شعرا أو نثرا .
* البلاغة العربية لوحة فنّية ، جمعت أنواعا عديدة من محاسن الكلام وزادها القرآن الكريم زينة وجمـــالا ومنحها اتّساعا كبيرا وما اهتمام العرب بالكلام البليغ و احتفائهم به إلاّ دليل على ملكتهم اللّغويـــة الكبيرة .
* الإيقاع مصطلح عربي فنّي خالص، لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بالإرث اليوناني الّذي يعـــني التدفّق والجريان .
* الخطاب القرآني يقوم على ثلاثة عناصر أساسيّة ، المخاطِب ، المخاطَب، والرسالة ، مع الاخـــتلاف في أسلوب الخطاب حسب أحوال المخاطبين .
* الجمال هو الذي يبعث في النّفس الأثر الخلاّب والمتعة والشعور بالرّاحة .
* يعتبر كلاًّ من الجناس والطّباق من أكثر المحسّنات ورودا في القرآن الكريم ، مع الدور الذي يلعبه كـــلّ منهما في تحسين الكلام ، وتزيينه.
* السّجع معلم من معالم البلاغة العربية ، ودوره في تحسن الكلام لا ينكره أحد ، أما كراهته عند البعض فليس لذاته، وإنّما بسبب التكلّف الذّي يلجأ إليه البعض في أحايين كثيرة .
* كلّ الأسس الّتي وضعها اللاّحقون لعبد القاهر الجرجاني لمعايير حسن السّجع لم تخرج على الأساس الّذي أرساه الجرجاني من قبل ، في دعوته للبعد عن التكلّف .
* الجدل القائم حول وجود السّجع في القرآن من عدمه خرج من عند البلاغيّين إلى علماء الكلام حيث ذهب كل برأيه ، واستدلّ كل طرف بما يراه صوابا .
* استقرّ رأينا على انّه لا سجع في القرآن ، و إنّما هناك فواصل، استئناسا بحجج من نفوا السّـــجع في القرآن ، على الرّغم من أنّ الكثير من البلاغيّين لايستنكف في الاستشهاد للسجع بآيات من القرآن.
* تناولنا لمصطلح الفاصلة في القرآن الكريم تأكيدا منّا على جمالية الأسلوب البلاغي في القرآن متكـــئين على أبرز ما وصلنا من الكلام المتناثر في مصنّفات عدد من العلماء السّابقين واللاّحقين والمهتمّين بهذا المجال .
* أكّد البحث أنّ تسمية الفواصل بهذا الاسم مصدرها القرآن الكريم كما في قوله تعالى في أوّل سورة "هود ": «ألر، كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير » وكما في قوله تعالى في سورة " فصّلت": «كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيّا لقوم يعلمون » ، بينما يسمّى غيره من الكلام الذي تتفق عباراته في اللّفظ بالتّماثل، والمزاوجة والسّجع .

* لم يخل تقديم ما حقّه التّقديم في الفاصلة القرآنيّة من أسرار بلاغيّة، فضلا على صلاحيّة بعض الألفـــاظ المتقدّمة على الفاصلة أن تكون فاصلة، وبها تتمّ الرعاية مثل «حكيم عليم».
* كشف البحث عن بعض أسرار الإعجاز في الفواصل القرآنية، كالتّكرار، والتّناغم والإيقاع، و إحكام الرّبط الفني ، والمزاوجة ...
* قد يستدعي المقام استعمال فاصلة معيّنة كما رأينا في لفظة « ضيزى».لتدل غرابة اللّفظ على غرابـــة القسمة ، كما تحقّق غرض رعاية الفاصلة .
* الإيقاع في الفواصل القرآنية تابع للأسلوب القرآني المعجز، في انسجام الحروف وائتلافها تبعا لقصـــر الفواصل وطولها، حيث تنسجم الفاصلة مع الآية الّتي تحتويها محقّقة نغما مؤثرا في النّفوس، ومشـــوّقا للمتلقّي على الإصغاء والاستماع.
* التكرار في القرآن الكريم فن من فنون البلاغة القرآنية ، فضلا عن الغرض الذي يؤدّيه والمتمثّل في تأكيد الكلام، ولفت انتباه السامع .
* تذوق القرآن الكريم فن لا يتأتّى لكل النّاس، بالإضافة إلى إلمامه باللّغة العربيّة و أسرارها، وهذا ما يدفع بالنّفوس إلى التّصنيف و التّأليف.
* يزخر القرآن الكريم بتلك الإشارات اللطيفة، والنكت البيانية التي تستخرج بعد عمق نظـــر، وطـــول تأمل، عندها سيدرك المرء عظمة كلام الخالق جلّ وعلا ، حيث لا تجد كلمة إلا ولها رونقا وجمالا.
* الإحساس الجمالي في القرآن الكريم يقوم على عنصر التّصوير والتّجسيم، حيث يجعل القارئ للقـــرآن الكريم بتدبّر وتفكّر و كأنّه يرى تلك القصص والمشاهد رأي العين .
* وجد العرب في القرآن الكريم من الرّوعة والجمال ما يغنيهم عن السّعي وراء الجمال المثالي.

نتائج الدراسة التطبيقيّة :

* اعتمدنا في بحثنا على المزج بين النظري والتطبيقي في الفصل الثاني ، والثالث ، والرابع ، حيث طبّقنا على كلّ عنصر من هذه الفصول ، خوفا من الإخلال بمنهجية البحث ، إن نحن أفردنا لهذه العناصـــر فصلا تطبيقيا مستقلا ، كما تجدر بنا الإشارة إلى تكرار بعض الآيات أثناء التّطبيق ، ومقارنتها بآيات في سور أخرى ، ويتجلّى هذا خاصّة في مبحث " النّكت البيانيّة "، على الرّغم من أنّنا اتخذنا من سورة " الكهف " نموذجا في دراستنا ، فضلا عن تطرّقنا لتناسب الفواصل القرآنية مـــع أجـــواء الســـورة ومواضيع الأحداث ، وكيف أن المولى عزّ وجلّ عبّر عن كل موقف باللّفظة الّتي تناسبه.

توصيات:

*إنّ أهم الاقتراحات والوصايا الّتي ينبغي علينا إدراجها لكي تكون مفتاحا لدراسات لاحقة هي:

* ضرورة الفصل الكلي بين السجع كمحسّن بديعي نجده في الكلام العادي، وبين الفاصلة التي تتعلق أساسا بالقرآن الكريم .

* التركيز على أن كلام الله عز وجل له ميزة خاصّة في ذاته يختلف عن كلام البشر، كما يختلف عن كلام المتنبّئين، لأنّه ليس مقصورا على السّجع فقط.

* إبراز دقة التّعبير القرآني، وقوّة التّناسق بين العبارة والموضوع ، إذ لا يمكن لأيّة لفظة أن تحلّ محلّ الأخرى .

آفاق الدراسة :

بالنظر إلى إشكالات الدّراسة الّتي حدّدت الموضوع ومجالات البحث فيه لا يسعنا هنا إلاّ الإشارة إلى بعض العناوين حتّ تكون مفتاحا لدراسات لاحقة بإذن الله :

* جمالية الفاصلة في القرآن الكريم .
* الإعجاز الإيقاعي في سور الربع الأخير من القرآن الكريم .
* دقّة التّعبير القرآني بين اللّفظ والموضوع .

وفي النّهاية لا يسعنا إلّا أن نسأل المولى عزّ وجلّ بعزته وقدرته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، رغم ما فيه من نقص – وهذا ما جبلنا عليه — و أن يجعل جهودنا هذه مفتاحا لدراسات أخرى تمسّ القرآن الكريم و أن ينتفع به قارئه وربّ حامل علم إلى من هو أعلم منه، رغم تقصيرنا وعيوبنا، ورغم ما واجهناه من لَأْوَاء الطّريق.

فهرس الآيات حسب ترتيبها في المصحف

هود	﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	1	60
	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾	10-9	53
	﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴾	22	135
	﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾	37	19
	﴿ يوم يأت ﴾	105	80
يوسف	﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾﴾﴾	18	139
	﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾	35	132
	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	43	132
	﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾	80	115
	﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾	83	139
الرعد	﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾	3	72
إبراهيم	﴿ هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾	52	25
الحجر	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾	16	140
	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	57	19
	﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾	85	139
النحل	﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	7-5	141
	﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴾	109	135
الإسراء	﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾	36	93
	﴿ وكَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾	59	112
مريم	﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾	97	112
طه	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾	18-17	22-21
	﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾	67	92
	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ...﴾	95	19
	﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	113	112
الحج	﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ** يَأْتُوكَ **رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ** مِن **كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾	27	92
	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	61	93
المؤمنون	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾	3-1	32

	﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ، ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾	31-28	109
الفرقان	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾	63	19
الشعراء	﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	57-54	109
	﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾	82-75	90
	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	80-78	132
النمل	﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	44	63
	﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾	57	135
	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ، أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	64-60	106
الروم	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ	55	64
السجدة	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾	12	131
الأحزاب	﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	10	88
	﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾	49	139
	﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾	66	89
	﴿فأضلونا السّبيلا﴾	67	89
يس	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	13	133
	﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	17	25
	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾	20	133
	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾	69	61
الصافات	﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾	6	140
	﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾	79	107
ص	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾	20	18

	﴿ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾	23	23
الزمر	﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿اللَّهُ نَــزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾	22 23	122 122
غافر	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾	28	91
فصلت	﴿حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	3 12 37	82 140 92
محمد	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ...﴾	24	129
ق	﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾	6	140
النجم	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾	3-1 20-19 21-21	52 114 113
القمر	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ، مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	3-1 8-6 17 37	32 90 107 107
الرحمن	﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْءَانَ، خَلَقَ الإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	5 21-19	108 109
الواقعة	﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾	66-65	58
الحديد	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾	3	72
الملك	﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾	5	140
الحاقة	﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ، هَلَكَ	3-1 29-18	104 89

114	41	عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾	
83 90	**9**-8 14-11	﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾	المعارج
115 51	7 9-8 14-13 22	﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ «ثم إني دعوتهم جهارا ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا» ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوارًا ﴾ ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾	نوح
110 136	4 10	﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾ ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾	المزمل
69 104	3 20-18	﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	المدثر
104	35-34	﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى *ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾	القيامة
52 107	2-1 15	﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً ﴾ ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	المرسلات
18	4	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾	النبأ
83	5-1	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾	النازعات
112	42-34	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ* أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾	عبس
83	4-1	﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾	الانفطار
82	4-1	﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ ﴾	الطارق
72	13	﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾	الأعلى
90 91-90	4 16-15	﴿و الليل إذا يُسْر﴾ ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾	الفجر
51	10-9	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾	الضحى
105	3-1	﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾	القارعة

فهرس الأحاديث	
إياكم و سجع الكهان	49
أسجعا كسجع الكهان	49
اللهم أعط منفقا خلقا ، وأعط ممسكا تلفا	51
من حفظ عشر آيات (...) عصم من الدجال	44
كان رجل يقرأ سورة الكهف (...) السكينة تنزلت بالقرآن	44
إن من البيان لسحرا	116
إن الله جميل يحب الجمال	138

فهرس الأشعار

حلو الشمائل و هو مـــر باسل	يحمي الديار صبيحة الإرهاق		72
خلقوا و ما خلقوا المكرمـــة رزقوا و ما رزقوا سماح يـــد	فكأنّهـــم خلقوا و ما خلقوا فكأنّهم رزقـــوا و ما رزقوا		74
قوم لو أنهموا ارتضوا لما قرضوا	أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا		64
إذا رماك الدهـــر في معشر فدارهم ما دامت في دارهم	و أجمع الناس علـــى بعضهم و أرضهم ما دمت في أرضهم		65
يا سيـــد أحـــاز رقـــي أحسنت بـــرا فقـــل لي	بـــما حبا نـــي و أولـــى أحسنت في الشكر أو لا ؟		65
لا تعرضن على الرواة قصيـــدة و إذا عرضت الشعر غير مهذب	ما لم تكـــن بالغـــة في تهذيبها عدّوه منك وساوسا تهذي بها		65
و المكر مهما استطعت لا تأته	لتقتني السؤدد و المكرمـــة		66
و سألتها بإشـــارة عـــن حالـــها فتنفست صعدا و قالت ما الهـــوى	و علـــيّ فيها بالوشاة عيون إلا الهـــوان فزال عنه النون		67
يمدون من أيدعو من عواصم	تصول بأسياف قواضن قواضب		67
حسامك فيه الأحباب فتـــح	و محك فيه الأعـــداء حتـــف		68
ليـــل أضـــاء هلالـــــــــه	أنـــي يضـــيء بكـــــوكب		69
منعم الجسم تحكي الماء رقته	وقلبه قسوة يحـــكي أب أوس		69
يا حمـــزة اسمح بوصـــل في ثغرك اسمك أضحـــي	و امنـــن علينـــا بقـــــرب مصحفـــــا و بقلبـــــــــي		69

فهرس الأعلام

الخفاجي	81	مسلم بن الوليد	46
الخليل	78-71-62-26-22	مصطفى مسلم	133
الداني	80	معاوية بن أبي سفيان	20
الرماني	144	معمر بن المثنى	81
الزركشي	111-110-84-81	موسى عليه السلام	134-115-102
الزمخشري	15	هارون عليه السلام	107
السيوطي	55	هشام القرظي	59
الفراء	81	هيجو	13

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

1- البخاري محمد بن إسماعيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط،دت.

2- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط ،1992م.

3- مسلم محمد بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1995م.

I- المصـــادر:

01- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطبع و النشر، الفجالة، القاهرة، دط، دت.

02- ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تح عبد الرحمان الوكيل ، مكتبة ابن تيمية ، المملكة العربية السعودية، دط ، دت.

03- ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

04- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، المقدمة، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002 م .

05- ابن رجب الحنبلي ، الذّيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت.

06- ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مكتة الخانجي ، القاهرة ، ط1، 2000م

07- ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية،ط3، دت .

08- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الشعر و الشعراء ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،1424هـ،2003م

09- ابن كثير إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007 م.

10- ابن كثير إسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت لبنان، دط، دت.

11- ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، لبنان، ط1، 1992م.

12- ابن هشام عبد المالك الأنصاري، السيرة النبوية، تح: محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة، دب، دط.

13- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ،مكتبة النصر الحديثة، الرياض، دط، دت.

14- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ،صيدا، بيروت،ط1، دت.

15- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري، تح أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة ، ط4 ،دت .

16- الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، تح عبد الرحمن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2001 م.

17- البستاني عبد الله، البستان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1992م.

18- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1424 هـ، 2003 م.

19- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001 م.

20- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، دط، 2001 م.

21- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح ميسر عقاد، مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004م.

22- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، دط،1997م.

23- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 199م.

24- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، دط،1419هـ،1999م.

25- الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، دار الآفاق العربية، بيروت، ط2، دت.

26- الخليل بن أحمد الفراهدي ، «كتاب العين » ، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1424هـ، 2003 م .

27- الدوادي أحمد بن محمد الأدهوني، طبقات المفسرين، تح سليمان بن صالح الخزي مكتبة العلوم والحكم، دب، ط1، 1998م.

28- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003م.

29- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، معرفة القراء الكبار، تح بشار عواد، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984 م .

30- الزجاج أبو إسحاق، معاني القرآن و إعرابه، تح عبد الجليل عبده شبلي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1414هـ.

31- الزركشي بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث، القاهرة ، ط3، 1984م.

32- الزمخشري جار الله محمود بن عمر ، أساس البلاغة، تح مزيد نعيم و شوقي المعتري مكتبة لبنان ط1998،1 م

33- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.

34- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،1988م.

35- الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات، دار المعرفة، بيروت لبنان، ج1، دط، دت.

36- الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

37- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، تح: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، دط،1987م.

38- الصفدي أبي الصّفاء خليل بن أيبك ، الروض، الباسم والعرف الباسم، تح محمّد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1425هـ، 2005م.

39- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، دار الفكر، بيروت،د ط،د ت.

40- علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تح صبري إبراهيم السيد، مكتبة رحاب، الجزائر،دط، 1989م.

41- الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، دط،1981م.

42- الفيروز آبادي محمد ، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003 م.

43- القرطاجي حازم، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح محمد خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م.

44- القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة و المعاني، و البيان و البديع، تح، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 1416 هـ، 1996 م.

45- القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، دط، دت.

46- الكرماني محمد حمزة، أسرار التكرار في القرآن، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة،دب، دط، دت.

II- المراجــع:

01- إبراهيم أنيس، موسيقي الشعر ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، 1965 م.

02- أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، تح محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م.

03- أحمد بدوي ، أسس النقد العربي عند العرب ، نهضة مصر لطباعة و النشر و التوزيع دط ، 1996م.

04- أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، تح أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1418 هــ، 1998 م.

05- أحمد رحماني، نظريات نقدية وتطبيقاتها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1،1425 هــ ،2004 م.

06- أحمد كمال زكي، دراسات في النقد الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ، ط1،1997.

07- امرؤ القيس، ديوانه ، تح حسن نور الدين ، دار الحكايات ، بيروت ، ط1، 2003.

08- أمير حلمي، فلسفة الجمال، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، ط1، 1998م .

09- بدوي طبانة، علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، دار الثقافة، بيروت لبنان،ط1 ، 1981 م.

10- بلقاسم بغدادي، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992م.

11- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، نشر عالم الكتب، القاهرة ، دط، 1413 هــ، 1993.

12- توفيق الفيل، فنون التصوير البياني، منشورات السلاسل الكويت، ط1 ،1407هــ ،1987 م.

13- جابر عصفور، مفهوم الشعر، مطبوعات فرح، قبرص، ط4، 1990 م.

14- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، يناير ، 1984 م.

15- حسين جمعة ، في جمالية الكلمة ، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2002 م .

16- خلود العموش، الخطاب القرآني ، دراسة في العلاقة بين النص و السياق ،عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1، 1429 هــ ،2008 م.

17- ديفن استوارت، السجع في القرآن، تر: ابراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دط، 1998م.

18- ردة الله الطلحي، دلالة السياق في القرآن الكريم ، منشورات جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ،ط1، 1424 هــ،2003 م.

19- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني (مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط ، 1998 م.

20- سميح أبو مغلي و رفاقه، دروس في علم العربية، دار الفكر لطباعة والنشر، عمان الأردن، ط1، 2000م.

21- سمير إستيتيه، اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة و الرسم الساحر، المؤسسة العربية بيروت، دط، 2002 م.

22- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، دط، دت.

23- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط35 ، 2005م .
24- شكري محمد عياد ، دائرة الإبداع مقدمة في أصول النقد : دار إلياس العصرية ، القاهرة ، دط ، 1987.
25- شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط12، دت.
26- صلاح الدين محمد عبد التواب النقد الأدبي، دراسة نقدية و أدبية حول إعجاز القرآن ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، 2003م .
27- صلاح عبد القادر، فن العروض و الإيقاع الشعري، شركة الأيام، الجزائر، ط1 ،1996 م.
28- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1996م.
29- طارق سعد شلبي، دراسات لغة النص، زهرة المدائن للنشر و التوزيع، مصر، دط،2000 م.
30- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، ط1، 2000 م.
31- عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط3، دت.
32- عائض القرني، مملكة البيان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 ،1422 هــ،2001 م.
33- عباس حسن ، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط8،ج1987،3 م.
34- عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية، دار الأرقم للطباعة و النشر ، مصر، 1993م.
35- عبد الرحمان تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر ،دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2003 م .
36- عبد الرحيم محمد الهبيل ، فلسفة الجمال في البلاغة العربية ، الدار البيضاء للنشر والتوزيع ، وب ، دط ، 2004.
37- عبد الرحيم محمد الهبيل، فلسفة الجمال في البلاغة العربية.
38- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتابة، تونس ، ط2 ، 1982م .
39- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط ، د ت.
40- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن.
41- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 2002م.
42- عبد الفتاح لاشين، ابن القيم و حسّه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
43- عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، دط،، 1982م.
44- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1998م.
45- عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، القاهرة، ط1983،1، ص41 .
46- عبد الكريم مقيدش ، مذكرة في أحكام التجويد، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2008م.
47- عبد الكريم مقيدش، مذكرة أحكام التجويد، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2008 م.

48- عبد الكريم هلال خالد ، أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة .
49- عبد الكريم هلال خالد، أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة (دراسة لوجهات نظر بعض الفلاسفة في النقد الجمالي) منشورات قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط1 ،2003 م .
50- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم ، تساؤلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.
51- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، علم البليغ، علم البديع، مكتبة الآداب القاهرة، دط، 1999 م.
52- عبد الواسع أحمد الحميري ، شعرية الخطاب في التراث النقدي و البلاغي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، ط1، 1425 هـ ،2005 م .
53- عدنان محمد رشيد، دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1405 هـ، 1985 م.
54- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن (مدخل تفسير القرآن وبيان إعجازه)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
55- عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط ،2000م .
56- عقيل مهدي يوسف ، الجمالية بين الذوق والفكر ، مطبعة سلمى الفنية ، بغداد، ط 1 ،1988م.
57- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، دار المعارف، بوفاريك الجزائر، دط، دت.
58- فادي إسماعيل الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة و التقدم والحداثة، دب، ط3، 1992 م.
59- فاضل صالح السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2006م.
60- فاضل صالح السمرائي، لمسات بيانية في نصوص من التتزيل، دار عمار للنشر، عمان، دط، دت.
61- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط، 421 هـ، 2000 م.
62- فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود جمعة، دار الفكر دمشق، ط1، 1424هـ، 2003م.
63- كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1420هـ، 1999م.
64- كمال الدين عبد الغني المرسي، مراعاة النظير في كتاب الله العلي القدير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1997م.
65- محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، دب، دط،1418هـ، 1998 م .
66- محمد الأمين الخضري ورفاقه، أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 1997م.
67- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2، 2000م.
68- محمد السعيد رزاز ، بدر التمام في اختصار الاعتصام، دار الإمام مالك، الجزائر، دط، 1999م .

69- محمد الصالح خرفي ، بين ضفتين ، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، ط1 ،2005 م.
70- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م.
71- محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي ، المطبعة العصرية ، تونس ، دط ،1976 م .
72- محمد النويهي، الشعر الجاهلي، منهج في دراسته و تطبيقه، الدار القومية، القاهرة، دط، دت.
73- محمد بركات، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية،دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2004م.
74- محمد بركات، دراسة في الإعجاز البياني ، دار وائل للطباعة والنشر، دب، ط1، 2002 م.
75- محمد بن سعيد بن رسلان، فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، نشر دار العلوم الإسلامية، القاهرة، دط 1459 هـ.
76- محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط1 ،دت.
77- محمد عبد الواحد حجازي،الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، الإسكندرية،دط،1998م.
78- محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة الكهف، دار عمار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001م.
79- محمد علي الصابوني، تفسير القرآن الكريم (الكهف ، مريم ، يس)، مكتبة الغزالي، دمشق، ط1، 1401هـ، 1981م.
80- محمّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الجميل، بيروت،ط1، 2001م.
81- محمد غنيمي هلال، النقد العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت لبنان،1973م.
82- محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم، ديوان المطبوعات الجمالية بن عكنون، الجزائر، دط، 1998م.
83- محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1990م.
84- محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية، علم البديع، دار العلوم العربية بيروت، ط1،1991م.
85- محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية مصر ، ط2، 2003 م .
86- محمود المسعدي، الإيقاع في السجع العربي، نشر عبد الكريم بن عبد الله، تونس، دط،1996 م.
87- محي الدّين الدّرويش، إعراب القرآن و آياته، اليمامة للطبع و التّوزيع، دمشق ط6، 1999م
88- مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار المنار ، القاهرة ، ط1، 1997م.
89- معمر حجيج، إستراتيجية الدرس الأسلوبي (بين التأصيل والتنظير و التطبيق) دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، ين مليلة ، الجزائر،ط1، 1428 هـ،2007 م.
90- منير سلطان، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي، منشأة المعارف، الإسكندرية ، ط1 ،2000 م.
91- منير سلطان، البديع تأصيل و تجديد، منشأة المعارف الإسكندرية، دط، دت.
92- موسى ربابعة، دراسة أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار كندي، أربد، الأردن، 2001.
93- مي يوسف خليف، الأداء الخطابي بين الشاعر و الكاتب، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة،دط، دت.
94- نبيل راغب ، التفسير العلمي للأدب ، نحو نظرية عربية جديدة ، دار نوبار لطباعة ، القاهرة ، ط1،1997 م .

95- نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، دار نوبا للطباعة، مصر، ط1، 1996م.
96- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، السعودية، ط1، 1412 هـ، 1991م.
97- وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،القاهرة،ط1، 1997 م.

III- المجلات و الدوريات :

- محمد رجاء حنفي، مقال بعنوان: الفواصل أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، مجلة الوعي الإسلامي، مصر، العدد377، 1418هـ، 1998م.

IV- المواقع الإلكترونية:

- مصطفى مسلم، التناسق بين العبارة و الموضوع، www.55a.net.

فهرس المحتويات

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة خاصة بالقرآن ، والتي ميزته و تميزه عبر العصور عن كلام البشر ، من خلال الأسلوب البلاغي الرفيع الذي يتشكل عنه كتاب المولى عز وجل ، والمحسنات البديعية التي تزينه ، مع تطرقنا لذلك الجدل القائم حول جمالية السجع ، والجدل القائم حول وجود السجع في القرآن، ينتهي رأينا حول الفاصلة التي تعد السمة للأسلوب القرآني ، وما تتميز به من بلاغة ، وتكرار و إيقاع ، وتقديم و تأخير، ثم نأتي في الختام إلى خصائص الأسلوب القرآني ، من ذوق ، ونكت بيانية، و إحساس بالجمال ، وهذه السمات هي التي جعلت كل محاولات معارضة القرآن الكريم تبوء بالفشل ، لأنها ليست عليها طلاوة القرآن وحلاوته التي تناولناها في هذا الموضوع ، ليبقى كلام الله تعالى معجز لأنه خرج عن المألوف من كلام العرب.

Résumé

Ce document traite d'un phénomène particulier au Coran, et que l'avantage et l'excellence à travers les âges sur les mots des êtres humains, par la méthode de haute rhétorique, qui est synthétisée par le Livre d'Allah Tout-Puissant, et Alibdieip bienfaiteurs qui ornaient, avec notre approche de la controverse sur la beauté de la rime, et la controverse sur la présence de la rime dans Coran, se termine notre avis sur ce point, qui est caractéristique de la manière dont le Coran, et se caractérise par son éloquence, et la répétition et le rythme, et la fourniture et de retard, puis nous arrivons à la conclusion aux propriétés de la méthode de l'coranique de goût, et les graphiques des blagues, et un sens de la beauté, ces caractéristiques sont toutes les tentatives d'opposer le Saint Coran en vain, car il n'est pas le Coran et le charme doux que nous avons abordé ce sujet, de tenir parole de Dieu pour le miracle qu'il a quitté le langage familier des Arabes.